سلسلة البحوث العلمية المحكمة (٤١)

التربية الجماعية

في الإسلام

دراسة تأصيلية

تأليف

نايف بن محمد القرشي

دار ابن الجوزي

التربية الجماعية

في الإسلام

جَمِيعُ الحُقُوقِ مَحْفُوظَةٌ

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ

حقوق الطبع محفوظة © ١٤٣٢هـ، لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي نظام ميكانيكي أو إلكتروني يمكن من استرجاع الكتاب أو ترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر.

دار ابن الجوزي
للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية: الدمام - طريق الملك فهد - ت: ٨٤٢٨١٤٦ - ٨٤٦٧٥٩٣، ص ب: ٢٩٨٢
الرمز البريدي: ٣١٤٦١ - فاكس: ٨٤١٢١٠٠ - الرياض - تلفاكس: ٤١٠٧٢٢٨ - جوال: ٠٥٠٣٨٥٧٩٨٨
الإحساء - ت: ٥٨٨٣١٢٢ - جدة - ت: ٦٣٤١٩٧٣ - ٦٨١٣٧٠٦ - ٠٥٦٣٤٧٦٣٨٨ - بيروت - هاتف:
٠٣/٨٦٩٦٠٠ - فاكس: ٠١/٦٤١٨٠١ - القاهرة - ج م ع - محمول: ٠١٠٦٨٢٢٧٨٣ - تلفاكس:
٠٢٤٤٣٤٤٩٧٠ - الإسكندرية - ٠١٦٩٠٥٧٥٧٣ - البريد الإلكتروني:
aljawzi@hotmail.com - www.aljawzi.com

بسم الله الرحمن الرحيم

بحث تكميلي لنيل درجة «الماجستير»
في التربية الإسلاميَّة والمقارنة
إشراف الأستاذ الدّكتور: حامد بن سالم الحربي

آية كريمة

قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

حديث شريف

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ:
قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:
«وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ؛ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»[1].

إهـــــداء

- إلى والدي العزيز؛ مثال الأب الحاني، والمربّي البارع، أسأل الله أن يبارك له في عمره، وينسأ له في أجله.

- إلى نور قلبي؛ والدتي العزيزة، والموجّهة الأولى، الّتي لا تزال دعواتها وتوجيهاتها ترنّ في أذني، أسأل الله أن يرزقني برّها.

- إلى قرّة عيني ورفيقة دربي؛ زوجتي الغالية أمّ أنس، والّتي كانت نِعْمَ المُعين، أسأل الله أن يوفّقني لإسعادها.

- إلى رجالات التَّربية وحرَّاس الفضيلة الَّذين نذروا أنفسهم لتربية أبناء هذا الجيل.

إلى كلّ أب وأمّ يتوقان لتربية أبنائهما تربية أفضل.

- إلى جميع هؤلاء.

أهدي هذا العمل

الفصل الأوَّل

الإطار العام

المقدّمة.

موضوع الدّراسة.

أهميّة الدّراسة.

المقدِّمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على سيِّد المرسلين، وبعد:

فإنَّ الحاجة إلى التَّربية قائمة؛ لأنَّ أمرها كبير، وشأنها مهمٌّ في تربية النَّاشئة على الخُلق القويم، والانضباط والتَّوازن، وعدم التَّداعي والانسياق وراء كلّ فكرة.

والتَّربية الإسلاميَّة هي توجيه الفرد في فكره وسلوكه على منهج سليم من خلال الكتاب والسنَّة؛ ليبصر واقعه برؤية صحيحة واقعيّة، وليتعامل مع الأحداث بشكل متّزن.

ولعلّ أوضح جوانب الدّور المطلوب من التَّربية الإسلاميَّة هو أن تتمكّن من «بناء أجيال ناهضة، قادرة على الحفاظ على جوهر شخصيّتها وهويّتها في هذا العالم المضطرب»[١]. ولن يأتي هذا إلَّا بإعداد المربِّي ذاته، وإعطائه المفاهيم الَّتي تشكّل تفكيره، وتثري وجدانه، وتجعله قادراً على تربية جيل مسلم يكون بحجم الواقع المعاصر الَّذي نعيش فيه.

«ولهذا فالتَّربية لا تتمّ بموعظة تلقى.. أو خطبة جمعة تُسمع.. ولا هي تتحقَّق بكتاب يؤلّف.. أو بحث يُقرأ.. ولا بدرس يُحَضَّر.. أو بمحاضرة تلقى فحسب.. إنَّ عمليَّة التَّربية أعمق معنى، وأوسع مدى من هذا كلّه»[٢].

---

(١) سعيد إسماعيل وآخرون: التَّربية الإسلاميَّة المفهومات والتّطبيقات، الرِّياض، مكتبة الرّشد، ١٤٢٥هـ، ص١١.

(٢) عدنان العرعور: منهج الدّعوة في ضوء الواقع المعاصر، المدينة المنوّرة، جائزة نايف بن عبد العزيز العالميّة، ص٤٢.

إنها جهد متواصل، وتدريب دؤوب، ومتابعة مستمرّة للمتربّين، فلا تتحقَّق إِلَّا بممارسة عمليَّة، وإشراف مباشر على المتربّين.

ولذلك لم يرسلِ الله رسلاً من الملائكة ليس من طباعهم معاشرة النَّاس، بل أرسل الله ﷻ الأنبياء والرُّسل بشراً من جنسهم يعايشون النَّاس، حتَّى يتمكَّنوا من دعوتهم وتربيتهم، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ⑨﴾ [الأنعام: ٩].

وكذلك لم يكتفِ الله تعالى لهداية النَّاس بإنزال الكتب، «إذ كان الله قادراً على أن ينزل في كلِّ بيتٍ صحفاً تتلى، أو كتاباً بالصَّوت ينطق، وأن يريح الأنبياء من العناء، والرُّسل من الابتلاء، ولكن العمليّة التَّربويَّة إذ ذاك لن تحصل؛ لأنَّ التَّربية لا تكون إِلَّا بمربٍّ يتتبَّع، وبمدرِّبٍ يدرِّب، وبموجّهٍ يصحِّح، وبأبٍ يحنو، وبشيخٍ يعطف، ولا تكون إِلَّا في تجارب تصوَّب أو تخطَّأ.. هكذا كانت حياة الأنبياء بين أقوامهم»(١).

ولقد كانوا ـ عليهم الصَّلاة والسَّلام ـ يقومون في أممهم بالدّعوة إلى الله، وإلزامهم منهج الله ومعالجتهم على ذلك، كما قال موسى ﷺ: «**عَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ**»(٢)، ثمَّ كان لنبيِّنا ﷺ اليد الطُّولى في ذلك، وقد أخرج جيلاً فريداً صار معجزة من معجزاته.

وممَّا لا شكَّ فيه أنَّ التَّربية الإسلاميَّة أخذت على عاتقها تربية أبناء الأمَّة الإسلاميَّة تربية شاملة، ومتكاملة في جميع الجوانب الشَّخصيَّة الَّتي تضمن للفرد أن يحيا حياة طيِّبة وسويَّة بأساليبها المختلفة، وقد جاء هذا التنوّع في الأسلوب تبعاً لطبيعة المجال والموقف الَّذي تبحثه.

ومن أساليب التَّربية الإسلاميَّة: التَّربية الذَّاتيَّة، «حيث يربِّي الفرد نفسه

---

(١) عدنان العرعور: منهج الدّعوة في ضوء الواقع المعاصر، مرجع سابق، ص٤٣.

(٢) محمَّد بن إسماعيل البخاريّ: صحيح البخاري، الرِّياض، بيت الأفكار الدّوليّة، ١٤١٩هـ، باب ذكر الملائكة، رقم (٣٢٠٧)، ص٦١٧.

ويوجِّهها وجهة سليمة بما يوافق الغاية الَّتي من أجلها أوجده الله»(١)، ويتوجّه هذا الأسلوب من أساليب التَّربية الإسلاميَّة إلى إلقاء المسؤوليَّة على الفرد لبناء نفسه بنفسه، فهو يتولّى تربية نفسه وتزكيتها، والوصول بها إلى الكمال البشريّ الَّذي ينشده كلُّ مسلم.

وعلى الرَّغم من أهميَّة التَّربية الذاتيّة، إلَّا أنَّها وحدها لا تنشىء كياناً سويّاً للإنسان؛ وذلك لأنَّ «المخلوق البشريّ كما خلقه الله كائن ذو شعبتين في آن واحد، ملتقيتين بلا انفصال ولا تعارض في هذا الكيان.. شعبة فرديَّة ذاتيَّة، وشعبة جماعيَّة (غيريَّة) كلتاهما جزء منه، وهو يتكوَّن منهما جميعاً، ولا بُدَّ أن تعملا معاً ليتكامل كيانه، من أجل ذلك لا يمكن أن يتربَّى الإنسان تربية حقيقيَّة متكاملة إلَّا في جماعة»(٢).

وبذلك نخلص إلى أحد أساليب التَّربية الإسلاميَّة، وهي التَّربية الجماعيَّة الَّتي تسهم في بناء شخصيَّة الفرد المسلم في جوانب متعدّدة، لا يمكن أن تُبنى إلَّا من خلال جماعة يتربَّى معهم؛ «لأنَّ هناك جوانب من النَّفس البشريَّة لا تنضج ولا تعمل إلَّا في داخل جماعة فيها أفراد آخرون غير ذات الإنسان، فإذا لم يلتق الإنسان بالجماعة، أو لم يتعوَّدِ التَّعامل معها، فستظلُّ هذه الجوانب كامنة معطَّلة غير مدرَّبة على العمل، فتنكمش وتتضاءل، كما ينكمش ويتضاءل كلُّ عضو لا يُستخدم في جسم الإنسان»(٣).

والتَّربية الجماعيَّة موافقة لفطرة الإنسان، فالإنسان «اجتماعيٌّ بفطرته وغريزته، فالبشر لا يعيشون إلَّا مجتمعين، يأنس بعضهم ببعض، ويتوادّون، ويتراحمون، ويُسخِّر بعضهم بعضاً، لتتمَّ وتستمرَّ حياتهم؛ لأنَّ الفرد البشريَّ لا يستطيع وحده أن يستكمل كلَّ ما يحتاجه لحياته من الضَّروريَّات كالمسكن،

---

(١) هاشم الأهدل: التَّربية الذَّاتيّة من الكتاب والسنّة، مكّة المكرّمة، دار التَّربية والتراث، ١٤٢١هـ، ص٣.

(٢) محمَّد قطب: منهج التَّربية الإسلاميَّة، ط٨، بيروت، دار الشّروق، ١٤٠٩هـ، ٢/ ٣٩.

(٣) المرجع السَّابق، ص٣٨.

والمأكل، والدِّفاع عن النَّفس، ونحو ذلك»[1].

ومن ثمَّ كان السجن الانفراديُّ عقوبة زائدة، يعاقب بها بعض المجرمين، ومن ذلك يتبيّن أهميَّة الاجتماع في حياة الإنسان.

موضوع الدِّراسة:

إنَّ الحديث عن التَّربية بات أمراً مهمّاً، يحتاج إليه جميع طبقات المجتمع بلا استثناء، فالتَّربية الإسلاميَّة: جهد يقوم على تطبيق منهاج الله في الأرض، وهذا الأمر يجب على الجميع السّعي فيه.

ولقد كان الرَّجُل من أصحاب النَّبيِّ ﷺ يُسْلم، فما يلبث أن يحسن إسلامه، ويعظم أمره، ممَّا يلقى من حسن الرِّعاية وعظيم التَّربية.

ثمَّ تتابع النَّاس بعد ذلك جيلاً بعد جيل يعنون بالتَّربية، فالآباء يُلزمون أبناءهم مجالس العلم، وحِلق الذِّكر، وربما طلبوا لهم مؤدِّباً، ومربِّياً، تُوكل إليه مهمَّة العناية بهم، ورعاية أدبهم، وتكميل جوانب النّقص فيهم.

حتَّى إذا أقبل علينا هذا الزَّمن بما فيه، وفُتحت علينا فيه الثَّقافات، وغزتنا الأفكار من كلّ جانب، وهاجت أعاصير العولمة، واهتزّت القيم والمبادئ، واضطربت الثَّوابت؛ صار الحديث عن التَّربية أشدّ إلحاحاً من ذي قبل؛ بغية تحصين المجتمع، وتقوية ثوابته، وحفظ مبادئه وقيمه.

ولئن كان الزَّمن قد تغيَّر، والأحوال قد تبدَّلت، فإنَّ واجب التَّربية الإسلاميَّة أن تأتي بطرائق وأساليب مختلفة، تتناسب ومجريات العصر الَّذي نعيش فيه، وتلبّي حاجات الفرد المسلم، إذ إنه من الحاجات الأساسيَّة للفرد، أن يعيش في ظلّ جماعة يألفهم ويتبادل معهم المشاعر والأحاسيس، فالإنسان مدنيٌّ بطبعه، وقد راعى الإسلام ذلك كلَّه، وهو دين الجماعة والفطرة،

(١) عبد الرَّحمٰن النّحلاوي: التَّربية الاجتماعيَّة في الإسلام، دمشق، دار الفكر، ١٤٢٧هـ، ص١٩.

قال تعالى: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

وتعميقاً لوحدة جماعة المؤمنين شبّه الرَّسولُ ﷺ المؤمنين بالبنيان يشدُّ بعضه بعضاً، روى البخاريُّ عن أبي موسى الأشعريّ رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ الله ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً**»[١]، وشبّك بين أصابعه.

ولتغذية روح الجماعة في المسلمين الَّتي هي حاجة من حاجات البشر، أقام الإسلام مناسبات دينيَّة قائمة على الجماعة، وحثَّ المسلمين على شهودها، من أهمِّها صلاة الجماعة.

لذا فالتَّربية الَّتي تتعامل مع الإنسان باعتباره كائناً منفصلاً، تُعدُّ تربية قاصرة؛ لأنَّ الإنسان الَّذي ينشأ في عزلة لا يستطيع التَّأثير في محيطه الَّذي يعيش فيه.

وإذا كانت الجماعة من الوجهة الشَّرعيَّة واجب لا يتمُّ الإيمان إلَّا به، فإنَّ التَّربية في جماعة «واجب؛ لأنَّهُ لا يمكن أن يتمّ البناء النَّفسيُّ والأخلاقيُّ الصَّحيح للإنسان إلَّا في داخل الجماعة، حيث يبرز الجانب الجماعيُّ من الإنسان بصورة تلقائيَّة بحكم ضرورة التَّعامل مع الآخرين، وحيث يمكن للمربِّي أن يلاحظ أسلوب التَّعامل، فيقوِّم ما قد يكون فيه من انحراف، أو يثبِّت ما يجده فيه من استقامة»[٢].

والسؤال الَّذي يطرح نفسه هنا: كيف يمكن للإنسان أن يكشف عن الصِّفات الحميدة في نفسه، مثل الإيثار، والصّبر، والعفو، والأخوَّة، والإحسان إلى النَّاس، وغيرها من صفات المتّقين، فيعزّزها، ويقوّيها في نفسه، وأن يكشف عن الصِّفات الذَّميمة في نفسه، مثل الأنانيّة، والحسد،

---

(١) مسلم بن الحجَّاج النَّيسابوري: صحيح مسلم، مرجع سابق، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم، رقم (٢٥٨٦)، ٤/١٥٨٧.

(٢) محمَّد قطب: منهج التَّربية الإسلاميَّة، مرجع سابق، ٢/٤٠.

وحبِّ السّيطرة، وغيرها من صفات الخاسرين فيجتنبها، ويخلّص نفسه منها؟

إنَّه لا سبيل لكشفها، واختبار النّفس فيها، إلَّا من خلال وسط جماعيٍّ يتربَّى فيه[١]، وإنّه ليعزُّ على المربِّي ملاحظة طباع من يربِّيهم إلَّا من خلال الجماعة أيضاً، يقول محمَّد قطب: «لا يستطيع المربِّي أن يعرف طبيعة الشَّخص الَّذي يربّيه حتَّى يوجد في جماعة، ويرقب طريقة تصرّفه إزاءها، ثمَّ يقوِّم ما يحتاج في نفسه إلى تقويم»[٢].

لأجل ذلك كان موضوع هذه الدِّراسة بعنوان: «**التَّربية الجماعيَّة في الإسلام؛ دراسة تأصيليّة**».

أهميَّة الدِّراسة:

إنَّ المتتبِّع لحال المجتمعات الإسلاميَّة اليوم يجد أنَّ هناك الكثير من النَّاس قد أغفل تربية أبنائه، فضلاً عن أبناء هذا الجيل الَّذين هم بحاجة إلى من يفرِّغ جُلّ وقته لهم، ويبذل طاقته وجهده في سبيل تربيتهم والعيش معهم، وهي مهمَّة صعبة لا يشغلها إلَّا مربٍّ يحمل في نفسه مؤهِّلات علميَّة، ونفسيَّة، وعقليَّة، واجتماعيَّة عالية الجودة، إلى جانب الخبرة والممارسة في ميدان التَّربية.

فالتَّربية المنتِجة، تكون بتنمية شخصيَّة المتربِّي بجميع جوانبها، العقليّة منها والجسميّة والرّوحيَّة والنّفسيّة والاجتماعيَّة، بحيث تُعطي كلَّ جانب من هذه الجوانب حقَّه في الرِّعاية والتَّوجيه، مراعية مراحل العمر المختلفة، لا تقف عند سنّ معيّنة، ولا تعمّم لجميع المراحل أسلوباً تربويّاً واحداً.

---

(١) قد يقول قائل: يمكن أن يكشف الإنسان عن مقدار تحقّقه بتلك الصّفات من عدمها عن طريق مخالطة النَّاس، فأين الحاجة للتَّربية الجماعيَّة؟!

الجواب: الإنسان في مجلس التَّربية والتَّعليم أقرب إلى تغيير العادة السيئة، والاتّصاف بالعادة الحسنة؛ لأنَّه يشعر أنَّه تلميذ يتلقّى ويتعلّم، بينما في حياته العامّة مع النَّاس قد لا ينتبه إلى عيوبه، ولربما أخذته العزّة بالإثم في التخلّص منها.

(٢) محمَّد قطب: منهج التَّربية الإسلاميَّة، مرجع سابق، ٢/ ٤٠.

ويجب أن نعلم أنَّ المسلم الَّذي يفقد الشَّخصيَّة النَّاضجة المتكاملة، قد لا ينجح في المهمّة الَّتي تُنتظر منه، فالَّذي يعدُّ للمهمَّة الدَّعويَّة يحتاج مع الصَّلاح والتَّقوى إلى ما يهيئه لهذه المهمَّة ويعدُّه لها.

من أجل ذلك لا يمكن أن يتربَّى الإنسان تربية حقيقيَّة متكاملة إلَّا في جماعة يتفاعل معها، ويبادل أعضاءها الحبّ والتَّقدير، والأخوَّة الصَّادقة، وغير ذلك من المعاني الَّتي ترتقي بشخصه، وتزكي طبعه، وتهذِّب نفسه.

وإلى جانب ذلك، فالمسلم قد يربِّي ابنه على أخلاق يستوحيها من كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ، ثمَّ لا يستطيع أن يحبسه في معزل عن المجتمع، بل إنه إن حبسه عن المجتمع فلن تكتمل شخصيّته الإسلاميَّة السويَّة، فالإسلام ليس عُزلة عن الحياة، بل هو حركة حيَّة في واقع الأرض.

وتبرز أهميَّة هذه الدِّراسة في النّقاط التَّالية:

١ ـ أنَّ هذه الدِّراسة جديدة، ولم تُطرق تربويّاً على حدّ علم الباحث، وجديرة بالاهتمام.

٢ ـ كونها تكشف عن أسلوب من أساليب التَّربية، يُلبِّي حاجات نفسيَّة في كيان الفرد، وينسجم مع رغباته، ومن تلك الحاجات: الحاجة للعيش في كنف الجماعة، والحاجة للانتماء والتَّقدير، وتنمية الذَّات.

٣ ـ من خلال هذه الدِّراسة يتبيّن المنهج التَّربويُّ الَّذي من خلاله يتمُّ الكشف عن أخطاء النَّفس وترويضها، فالإنسان الَّذي يعيش في عزلة، تجده حاداً ومثالياً في أحكامه، وبالمخالطة يربِّي نفسه على الحلم والعفو والصَّبر والواقعيَّة وغيرها من الصِّفات الحميدة.

٤ ـ إنَّ كثيراً من المتقهقرين والمتراجعين عن دينهم من أبناء الأمَّة الإسلاميَّة، لم يصبهم ذلك غالباً إلَّا بسبب خلوتهم المفرطة بذواتهم، ممَّا فتح المجال لكيد الشَّيطان بهم، فإنما يأكل الذئب القاصية من الغنم، ناهيك عن اليأس والقنوط الَّذي يصيبهم بسبب عزلتهم، وذلك عند النَّظر لأحوال الأمَّة الإسلاميَّة اليوم.

٥ ـ «إنَّ جلائل الأعمال الكبرى لا تتحقَّق إلَّا عن طريق العمل الجماعيّ المنتظم المتعاون، بخلاف العمل الفرديّ، فإنَّه لا يثمر في الغالب إلَّا أعمالاً تتناسب مع مستوى طاقات الأفراد شدَّة وضعفاً»[1]، ولهذا نرى إبراهيم ﷺ يستعين بإسماعيل ﷺ في بناء البيت، وموسى ﷺ يدعو ربّه أن يشدَّ عضده بأخيه هارون ﷺ.

٦ ـ كما تُبيِّن هذه الدِّراسة فوائد التَّربية الجماعيَّة الجمَّة، ومن ذلك: تهذيب الأخلاق، والتدرّب على كثير من الفضائل والآداب، واقتباس الثَّمرات المفيدة الَّتي يتوصّل إليها الآخرون، سواءً أكانت علميَّة أم عمليَّة، والاجتماع ينشِّط النَّفس ويدفعها للحركة والعمل.

٧ ـ كما أنَّ من الأمور المهمّة الَّتي دفعت الباحث لتناول هذا الموضوع بالكتابة، كون هذا الموضوع يستفيد منه جلُّ أفراد المجتمع ومؤسساته التَّربويَّة، ومن ذلك:

أ ـ جمعيَّات تحفيظ القرآن الكريم، بمناشطها التَّربويَّة والدَّعويَّة.

ب ـ الأندية الصيفيَّة التَّابعة لوزارة التَّربية والتَّعليم، والأنشطة اللَّاصفيَّة كذلك، مثل نشاط التَّوعية الإسلاميَّة، والكشَّافة، وغيرها.

ج ـ مكاتب الدّعوة والإرشاد وتوعية الجاليات، وجمعيَّات رعاية الأيتام... إلخ.

د ـ المعلِّم الفاضل في مدرسته، والوالدان الكريمان مع أسرتهما، وكلُّ من يحمل همَّ تربية أجيال هذه الأمَّة في أيِّ محضن تربويٍّ.

وكتبه
نايف بن محمّد القرشي
Gr0101@hotmail.com

(١) عبد الرَّحمٰن حسن الميداني: الأخلاق الإسلاميَّة وأسسها، ط٣، دمشق دار القلم، ١٤١٣هـ، ص١٧٢.

الفصل الثَّاني

الإطار المفهومي للتَّربية الجماعيَّة

مفهوم التَّربية الجماعيَّة.

الجماعيَّة في واقع الحياة وفي الإسلام.

العلاقة بين الفرديَّة والجماعيَّة في التَّربية.

مفهوم التَّربية الجماعيَّة

يتكوَّن مصطلح التَّربية الجماعيَّة من كلمتين هما: (التَّربية)، و(الجماعيَّة)، ولكلّ منها دلالتها اللُّغويَّة والاصطلاحيَّة، كما إنَّ لمصطلح التَّربية الجماعيَّة مفهوماً يدلّ عليه، وبيان ذلك على النَّحو التَّالي:

١ ـ تعريف التَّربية في اللُّغة والاصطلاح:

أ ـ التَّربية في اللُّغة:

معناها: الازدياد والنموّ، أو التنشئة والتَّغذية.

ـ «فالربُّ في الأصل التَّربية، وهو إنشاء الشَّيء حالاً فحالاً إلى حدّ التَّمام، يقال: ربَّه، وربَّاه، وربَّبه»[(١)].

ـ وفي المعجم الوسيط: «يقال: ربَّاه: نمَّاه، وربَّ الوليد: تعهّده بما يغذّيه وينمّيه ويؤدّبه»[(٢)].

ـ وفي التَّنزيل: قوله تعالى: ﴿وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ﴾ [البقرة: ٢٧٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ﴾ [الروم: ٣٩].

ـ والعرب تقول: «لئن يربّني فلان أحبّ إليَّ من أن يربّني فلان؛ يعني أن يكون سيّداً يملكني، ويكون الربُّ المصلح ربَّ الشيء إذا أصلحه»[(٣)].

ولقد وردت كلمة تربية في موضعين من القرآن الكريم هما: قوله تعالى:

(١) الرَّاغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، بيروت، دار المعرفة، ص١٨٤.
(٢) إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، استانبول، المكتبة الإسلاميَّة، ص٣٢١.
(٣) ابن منظور: لسان العرب، بيروت، دار إحياء التُّراث، ١٤١٦هـ، ٥/٩٥.

﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾﴾ [الشعراء: ١٨].

فالتَّربية في الآية الأولى تشير إلى مسؤوليَّة الوالدين في الإعداد والرِّعاية في مرحلة الطُّفولة، أمَّا في الآية الثَّانية فيمتنُّ فيها فرعون على سيِّدنا موسى عليه السلام بأنَّه ربَّاه وهو صغير ولم يقتله ضمن من قتل من الأطفال.

وقد ورد في القرآن الكريم وفي السُّنَّة النَّبويَّة كلمات عدَّة تقترب كثيراً ممَّا تعنيه كلمة (تربية)، ومن بينها ما يلي:

١ ـ كلمة (تزكية) كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة: ٢]، وقوله تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [البقرة: ١٥١].

جاء في تفسير السَّعدي أنَّ المقصود بقوله تعالى: ﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾: «أي يطهِّر أخلاقكم ونفوسكم؛ بتربيتها على الأخلاق الجميلة، وتنزيهها عن الأخلاق الرَّذيلة»(١).

٢ ـ كلمة (تعليم)، وقد ورد ذكرها في الآيتين السَّابقتين. وكلمة ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ﴾ و﴿وَيُعَلِّمُكُمُ﴾ «تشتمل على الجانب التَّعليمي، وكلُّ أنواع المعرفة، وكافَّة مجالات العلم الَّتي تتَّصل بكلِّ ما ينفع النَّاس في دينهم ودنياهم، وفي معاشهم ومعادهم، وفي أجسادهم وأرواحهم»(٢).

٣ ـ كلمة (هدى) كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [الأنبياء: ٧٣]؛ أي: «أئمَّة يُؤتمُّ بهم في الخير في طاعة الله في اتِّباع أمره

---

(١) عبد الرَّحمٰن بن ناصر السَّعديّ: تيسير الكريم الرَّحمٰن في تفسير كلام المنَّان، بيروت، دار ابن حزم، ١٤٢٤هـ، ص٥٩.

(٢) عبد الرَّحمٰن عبد الخالق الغامدي: مدخل إلى التَّربية الإسلاميَّة، الرِّياض، دار الخريجي، ١٤١٨هـ، ص٥، ٦.

ونهيه، ويُقتدى بهم، ويتّبعون عليه»[١].

٤ ـ كلمة (تأديب) كما في قوله ﷺ: «ثَلَاثَةٌ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ: الرَّجُلُ تَكُونُ لَهُ الأَمَةُ فَيُعَلِّمُهَا فَيُحْسِنُ تَعْلِيمَهَا، وَيُؤَدِّبُهَا فَيُحْسِنُ أَدبهَا، ثُمَّ يُعْتِقُهَا فَيَتَزَوَّجُهَا فَلَهُ أَجْرَانِ...»[٢].

٥ ـ كلمة (رعاية) كما في قوله ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ: الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ... وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»[٣].

ولكلمة (رعاية) معانٍ عدّة في مجال التّربية والتّعليم، فهي تعني: «المسؤولية، والإشراف، والحرص، والرّقابة، والمساعدة، والإرشاد، والتّوجيه، ومراقبة الطّفل، والسّهر عليه، وقد تعني التنشئة والتربية والتّعليم»[٤].

وقد عرّف علماء المسلمين الأوائل كثيراً من معاني مصطلح التّربية؛ مثل التأديب والتّهذيب والتّعليم، وقد حوت عناوين مؤلّفاتهم بعضاً من تلك المعاني، منها على سبيل المثال: كتاب «آداب المعلّمين» لابن سحنون، وكتاب «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البرّ، وكتاب «تذكرة السّامع والمتكلّم في أدب العالم والمتعلّم» لابن جماعة، والمتصفّح لتلك المؤلّفات وما شاكلها يجد آراء تربويّة إسلاميَّة قيّمة، وقد كشفت عدد من الدّراسات الحديثة بعضاً من تلك الآراء التّربويّة.

---

(١) محمّد بن جرير الطّبري: تفسير الطّبري، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤١٢هـ، ٥/ ٤٧.

(٢) محمّد بن إسماعيل البخاريّ: صحيح البخاري، مرجع سابق، فضل من أسلم من أهل الكتابين، رقم (٣٠١١)، ص٥٧٦.

(٣) المرجع السّابق، باب الجمعة في القرى والمدن، رقم (٨٩٣) ص١٧٩.

(٤) الاستبرهيروان: التّخطيط لرعاية الطّفولة وتربيتها في البلدان النّامية، (ترجمة مكتب اليونسكو)، الرّياض، مكتب التّربية، د.ت، ص١٢.

ولهذا فقد أخطأ من يقول: إنَّ المسلمين لم يعرفوا في تاريخهم علماً يسمَّى علم التَّربية الإسلاميَّة. نعم قد لا يكون بعض المربّين المسلمين السَّابقين استخدموا لفظ التَّربية الإسلاميَّة، ولكنّهم استخدموا مصطلحات تأخذ المفهوم نفسه، والعبرة في ذلك بالحقيقة والجوهر، لا باللّفظ أو المظهر، والمتأمّل منهج الإسلام وشرائعه؛ يجد أنَّ التَّربية الإسلاميَّة دعامة من دعائمه العظام.

ب ـ التَّربية في الاصطلاح:

تعدّدت التَّعاريف للمفهوم بتعدّد الانتماءات الفكريَّة، والخلفيّات الثَّقافيّة، وذلك مثل العديد من المصطلحات في الدّراسات الإنسانيّة المعاصرة، حتَّى إنَّ الباحث قد لا يجد مصطلحاً محدَّداً مجمعاً عليه عند الباحثين، ومع ذلك يظلّ هناك قدرٌ من الاتّفاق حول بعض المضامين.

وقد أغفلتُ ذكر المصطلحات الَّتي لا ترتكز على المنظور الإسلامي في تعريف التَّربية، وتنحى المنحى النّفعيّ المصلحيّ للفرد والمجتمع، وتحسب بأنّ عمليَّة التَّربية لا تكاد تتجاوز رغائب الفرد ومجتمعه، مغفلة جانب القِيم والدِّين وعلاقته بالتَّربية.

ولمَّا كانت التَّعاريف كثيرة وعديدة اكتفيتُ هنا باثنين فقط:

١ ـ التَّربية الإسلاميَّة هي: «منظومة متكاملة من نسقٍ معرفي من المفاهيم، والعمليّات، والأساليب، والقيم، والتّنظيمات الَّتي يرتبط بعضها بالبعض الآخر في تآزر واتّساق تقوم على التَّصوّر الإسلامي لله والكون والإنسان والمجتمع، وتسعى إلى تحقيق العبوديّة لله بتنمية شخصيَّة الإنسان بصفته فرداً وجماعة من جوانبهما المختلفة بما يتّفق والمقاصد الكليَّة للشّريعة الَّتي تسعى لخير الإنسان في الدّنيا والآخرة»[١].

٢ ـ التَّربية الإسلاميَّة هي: «علم إعداد الإنسان المسلم لحياتَي الدّنيا

---

(١) سعيد إسماعيل عليّ: أصول التَّربية الإسلاميَّة، القاهرة، دار السَّلام، ١٤٢٦هـ، ص٣٢، ٣٣.

والآخرة إعداداً كاملاً من النَّاحية الصحيَّة والعقليّة والعلميّة والاعتقاديّة والروحيَّة والأخلاقيّة والاجتماعيّة والإداريّة والإبداعيّة في جميع مراحل نموّه في ضوء المبادئ والقيم الَّتي جاء بها الإسلام، وفي ضوء أساليب وطرق التَّربية الَّتي بيّنها»[١].

وبالنَّظر إلى هذين التَّعريفين يتبيّن أنَّ التَّربية الإسلاميَّة لا تعني فقط تلقين الجانب الاعتقادي أو العبادي، كما أنَّها لا تقتصر على تعليم المبادئ الأخلاقيّة فحسب، بل هي أعمق من ذلك، فهي منهج كامل للحياة.

٢ ـ تعريف الجماعيَّة في اللُّغة والاصطلاح:

أ ـ الجماعيّة في اللُّغة:

قال ابن فارس رحمه الله: «الجيم والميم والعين أصل واحد يدلّ على تضام الشيء»[٢].

وقال ابن منظور رحمه الله: «الجمع: اسم لجماعة النَّاس، وقد استعملوا ذلك في غير النَّاس، حتَّى قالوا: جماعة الشَّجر، وجماعة النَّبات».

«أمر جامع: يجمع النَّاس... وفي أسماء الله الحسنى: الجامع؛ قال ابن الأثير: هو الَّذي يجمع الخلائق ليوم الحساب... والجميع ضدّ المتفرّق»[٣].

قال الرَّاغب الأصفهانيّ: «الجمع: ضمّ الشيء بتقريب بعضه من بعض، يقال: جمعته فاجتمع: ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ۝٢﴾ [الهمزة: ٢]، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ﴾ [سبأ: ٢٦]... ويقال: أجمع المسلمون على كذا: اجتمعت آراؤهم عليه»[٤].

---

(١) مقداد يالجن: معالم بناء نظريَّة التَّربية الإسلاميَّة، الرِّياض، دار عالم الكتب، ١٤١١هـ، ص٧٤.

(٢) أحمد بن فارس: المقاييس في اللُّغة، بيروت، دار الفكر، ١٤١٥هـ، ص٢٢٤.

(٣) ابن منظور: لسان العرب، مرجع سابق، ٢/ ٣٥٥.

(٤) الرَّاغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، مرجع سابق، ص٩٦ ـ ٩٧.

ب ـ الجماعيَّة اصطلاحاً:

الجماعيّة ضدّ الفرديّة أو الانعزاليَّة، ويمكن أن تعرّف بأنَّها «الميل إلى العيش في الجماعة، والتَّعايش معها»[(١)].

وقد جاء تعريف الجماعيَّة في كتاب الأخلاق الإسلاميَّة بأنَّها: «شعور الفرد بأنَّه جزء من جماعة وهو عضو من أعضائها، أو خليّة من خلاياها، مع شعوره بأنَّه محتاج إليها»[(٢)]، وشعور الفرد بأنَّه جزء من الجماعة يدفعه لحبّ الأجزاء الأخرى مثل محبّته لنفسه؛ لأنَّها من مكوّناته وأجزائه، روى مسلم عن النُّعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ الله ﷺ: «**الْمُسْلِمُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ؛ إِنِ اشْتَكَى عَيْنُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ، وَإِنِ اشْتَكَى رَأْسُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ**»[(٣)].

ومن المصطلحات المقاربة للجماعيّة مصطلح المجتمع، وقد عرَّفه النّحلاوي بأنَّه: «مجموعة أفراد تجمعهم تصوّرات وأهداف مشتركة يعملون على تحقيقها؛ فتنشأ بينهم روابط متينة تشدّهم بعضهم إلى بعض، وتحبّب إليهم العيش المشترك، وتبعثهم على التّعاون والتّكافل والتَّراحم والتّكامل»[(٤)].

ومفهوم الجماعيّة نسبة إلى الجماعة مفهوم له دلالاته في الإسلام؛ وذلك لعدّة أمور، منها:

١ ـ إنَّ الجماعة تدلّ على نبذ الافتراق، وتكثير السَّواد في الإسلام، وهذا من المقاصد العليا في الدِّين.

٢ ـ إنَّ سلف هذه الأمّة أطلقوا لفظ الجماعة على الأمّة الإسلاميَّة، وصار سمة بارزة لهم تميّزهم عن غيرهم من أهل التفرّق والأهواء، فيقال لهم: (أهل السُّنّة والجماعة).

---

(١) السيّد محمّد نوح: شخصيّة المسلم بين الفرديّة والجماعيّة، ط٣، المنصورة، دار الوفاء، ١٤١١هـ، ص١٢.

(٢) عبد الرَّحمٰن حسن الميداني: الأخلاق الإسلاميَّة وأسسها، مرجع سابق، ص١٦٩.

(٣) مسلم بن الحجّاج النّيسابوري: صحيح مسلم، مرجع سابق، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم، ج٤، رقم (٢٥٨٦)، ص١٥٨٧.

(٤) عبد الرَّحمٰن النّحلاوي: التَّربية الاجتماعيَّة في الإسلام، مرجع سابق، ص٧٦.

٣ ـ إنَّ الإسلام هو دين الجماعة، وهو دين الاعتصام.

وبالنَّظر إلى مفهوم الجماعيّة من خلال التَّعريفات السَّابقة الَّتي تناولت هذا المفهوم بشكل شموليّ؛ يتبيّن أهميّة الانتماء للجماعة والعيش في كنفها، وأنَّهَا فطرة إنسانيّة، وحاجة بشريّة تسعى المجتمعات لإشباعها.

والجماعيّة المقصودة هنا ـ إلى جانب كونها فطرة وحاجة إنسانيّة ـ تركّز على النَّواحي التَّربويَّة والجوانب الشَّخصيَّة الَّتي يكتسبها الفرد من خلال اندماجه في جماعة مصغّرة من أفراد المجتمع؛ تجمعهم تصوّرات وأهداف مشتركة يعملون على تحقيقها.

٣ ـ تعريف التَّربية الجماعيَّة:

المقصود بالتَّربية الجماعيَّة: تنمية الشَّخصيَّة الإسلاميَّة للفرد من جميع الجوانب؛ الإيمانيّة، والعقليَّة، والجسميَّة، والنَّفسيَّة، والاجتماعيَّة، من خلال وسط تربويّ يضمّ مربٍّ ومجموعة من المتربّين، يحدث بينهم تفاعل إيجابي، وتبادل للخبرات، وذلك من خلال منهج معيَّن وأساليب متّبعة، تهدف إلى تقوية مشاعر الأخوّة الإسلاميَّة والحبّ في الله فيما بينهم.

❋ ❋ ❋

الجماعيَّة في واقع الحياة وفي الإسلام

١ ـ مكانة الجماعيَّة في الحياة:

إنَّ كثيراً من مطالب الإنسان الحياتيّة تحتاج إلى جهود جماعيَّة؛ كالتماس النُّصرة، وتبادل المنفعة، والإفادة من تجارب الآخرين... بل حتَّى في عالم الحيوان يُرى هذا التجمّع والتَّكاتف، ويمكن تلخيص هذه المكانة فيما يأتي:

أ ـ الجماعيةُ فطرة في المخلوقات:

جاء في مقدّمة الكتاب أنَّ التَّجمّع فطرة جُبل عليها كلّ حيّ يدبّ على أديم الأرض، أو يطير في الهواء، «فما من خَلْقٍ حيّ... إلَّا وهو ينتظم في أمّة ذات خصائص واحدة تشمل كلّ أفرادها، وذات طريقة في الحياة واحدة كذلك، شأنها في هذا شأن أمّة النَّاس؛ ما ترك الله شيئاً من خلقه بدون تدبير يشمله، وعلم يحصيه»[1].

وقد أشار القرآن الكريم لهذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأنعام: ٣٨].

كما أودع الله في غريزة كلّ أمّة من الخلائق الانقياد إلى النِّظام الاجتماعيّ الَّذي يناسبها، فجعل للنَّمل قرى ومساكن تجتمع فيها، وأسلوباً تعاونيّاً لتحصيل القوت، فإنّك تجد «جماعة النَّمل إذا أرادت إحراز القوت خرجت من أسرابها طالبة له، فإذا ظفرت به أخذت طريقاً من أسرابها وشرعت

---

(١) سيِّد قطب: في ظلال القرآن، ط٢٤، بيروت، دار الشّروق، ١٤١٥هـ، ٢/ ١٠٨٠.

في نقله.. فإذا ثقل عليها حمل الشيء من تلك اجتمعت عليه جماعة من النَّمل وتساعدت على حمله»[(١)].

وجعل للنَّحل مملكة ونظاماً يخضع له جميع أفرادها، فالنَّحلة «تعمل بإلهام من الفطرة الَّتي أودعها إيَّاها الخالق، فهو لون من الوحي تعمل بمقتضاه، وهي تعمل بدقَّة عجيبة يعجز عن مثلها العقل المفكِّر؛ سواء في بناء خلاياها، أو في تقسيم العمل بينها، أو في طريقة إفرازها للعسل المصفَّى»[(٢)].

وللطّيور هجرة جماعيّة خاصّة بها؛ تقطع الفيافي والبحار حتَّى تصل إلى هدفها بنظام معيَّن، وفي مواعيد معروفة؛ بحثاً عن الجوّ المعتدل الَّذي يناسبها، والطَّعام الوفير، ثمَّ تقوم بتكرار ذلك كلّ عام بإذن الله، وللأسماك وغيرها من الكائنات البحرية هجرة جماعية أيضاً في أعماق البحار، فسبحان من ألهمها ذلك.

والإنسان ـ وهو أمّة من هذه الأمم ـ لا يعيش إلَّا في جماعة؛ يتّصف جميع أفرادها بخصائص واحدة؛ لكنّه يمتاز عن سائر الكائنات بما وهبه الله من العقل والتَّفكير.

ب ـ الجماعيَّة ضرورة اجتماعيَّة:

إنَّ ممَّا يعزّز أهميَّة الجماعيَّة، ويجعلها تحتلّ مكانة بارزة في العمليَّة التربويَّة؛ كون التَّربية تتطلَّب مجتمعاً تقوم فيه، والمجتمع لا يتشكّل إلَّا من خلال علاقة تفاعليّة بين مجموعة من الأفراد، بل إنَّ الحياة لا تستقيم ولا تنتظم شؤونها للفرد بمعزل عن الآخرين ومساعدتهم ومناصرتهم، فقد سخَّر الله سبحانه النَّاس بعضهم لبعض، قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزّخرف: ٣٢]، «وهذا التَّفاوت ضروريّ لتنوّع الأدوار المطلوبة للخلافة في هذه الأرض.. والَّذي خلق الحياة وأراد لها البقاء والنموّ، خلق الكفايات والاستعدادات متفاوتة

(١) ابن قيّم الجوزيّة: مفتاح دار السّعادة، د.ط، المنصورة، مكتبة الإيمان، د.ت، ص٣١٥.

(٢) سيِّد قطب: في ظلال القرآن، مرجع سابق، ٤/٢١٨١.

تفاوت الأدوار المطلوب أداؤها»[1] لإقامة الحياة الاجتماعيَّة على هذه الأرض، وليتمّ التَّعاون والتَّكامل بين أفراد المجتمع.

٢ ـ مكانة الجماعيَّة في الإسلام:

حرصَ الإسلام على غرس وتغذية الجماعيَّة في قلوب أتباعه، وعمل على تنميتها بين المسلمين، وحذّر من الانفراديّة والانعزاليَّة؛ لما للجماعيّة وللزوم الجماعة من فوائد عظيمة للفرد المسلم، وللجماعة على حدّ سواء.

ومن خلال استقراء بعض النّصوص الواردة في الحثّ على الجماعيَّة تتبيّن مكانة الجماعيَّة في الإسلام، والَّتي منها:

أ ـ الدّعوة إلى الاجتماع ونبذ الفرقة:

نجد أنَّ الإسلام قد حثّ على اجتماع المسلمين على الحقّ والتَّعاون فيما بينهم على البرّ والتَّقوى، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢]، ودعا إلى الاعتصام بدين الله، ونبذ كلّ عوامل الشّقاق والافتراق بين أفراد المجتمع المسلم عامّة، قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وبيّن أنَّ خلوص الشَّيطان وتمكّنه من الواحد الخالي بنفسه أكثر من الاثنين، قال ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الاثْنَيْنِ أَبْعَدُ. مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزَمِ الْجَمَاعَةَ**»[2].

ب ـ وصف المؤمنين بالتَّلاحم والتَّرابط:

لقد وصف الرَّسولُ ﷺ المؤمنين بالتَّرابط والتَّلاحم، وشبّههم بالبنيان المرصوص المتماسك، فقال ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ؛ يَشُدُّ بَعْضُهُ**

---

(١) سيِّد قطب: في ظلال القرآن، مرجع سابق، ٥/٣١٨٧.

(٢) أحمد بن حنبل: المسند، القاهرة، دار الحديث، ١٤١٦هـ، رقم (١٧٧)، ص٢٣٩، وأورده الألباني في: السّلسلة الصّحيحة، ط٤، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ، رقم (٤٣١).

بَعْضاً»(١)؛ «ففي هذا الحديث دعوة إلى الوحدة الجماعيَّة بين أفراد المسلمين، وفيه بيان للفائدة العظيمة الَّتي تجنيها الجماعة من وحدتها وتماسكها، إنَّها القوّة الَّتي تظفر بها الجماعة حينما يترابط أفرادها، ويشدّ بعضهم أزر بعض، إنَّهم بذلك يكوّنون شيئاً يشبه البنيان، ألسنا نرى القصر العظيم وما فيه من أبراج عالية مؤلّف من حجارة صغيرة جُمع بعضها إلى بعض، وعقدت وفق نظام خاص يمنحها مجتمعة قوّة عجيبة ترتقي حتَّى تنطح السَّحاب؟!»(٢).

ومن وصفه ﷺ لجماعة المؤمنين قوله عليه أفضل الصَّلاة والسَّلام: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»(٣). ففي هذا الحديث تعميق لمعنى وحدة جماعة المسلمين، فمثلهم كمثل الجسد الواحد؛ الَّذي تتعاون جميع أعضائه تعاوناً تامّاً، وتتشارك جميع أعضائه في الألم وفي المسرّة.

ج - إقامة جُلّ الشَّعائر التَّعبديّة جماعة:

ولتغذية الجماعيَّة في المسلمين أقام الإسلام مناسبات دينيَّة كثيرة قائمة على الجماعة...

فصلاة الجماعة مثلاً يقول عنها ﷺ: «صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةِ أَحَدِكُمْ وَحْدَهُ بِخَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ جُزْءاً»(٤).

والصِّيام مشاركة جماعيَّة في فترة معيّنة، يقول النَّبيُّ ﷺ: «الصَّوْمُ يَوْمَ تَصُومُونَ، وَالْفِطْرُ يَوْمَ تُفْطِرُونَ، وَالأَضْحَى يَوْمَ تُضَحُّونَ»(٥).

---

(١) سبق تخريجه ص١٤.

(٢) عبد الرَّحمٰن حسن الميداني: الأخلاق الإسلاميَّة وأسسها، مرجع سابق، ص١٧٤.

(٣) مسلم بن الحجّاج النّيسابوري: صحيح مسلم، مرجع سابق، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم، رقم (٢٥٨٦)، ٤/١٥٨٦.

(٤) زكيّ الدِّين المنذري: مختصر صحيح مسلم، ط٦، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٧هـ، كتاب الصَّلاة، رقم (٣٢٢)، ص٩١.

(٥) محمَّد بن عيسى التِّرمذيّ: سنن التِّرمذيّ، الرِّياض، مكتبة المعارف، د.ت، كتاب الصَّوم، رقم (٦٩٧)، ص١٧٤.

والحجّ ملتقى عام للمسلمين جميعاً كلّ عام؛ يجتمعون من كلّ أطراف الأرض على أقدس بقعة، وفي يوم واحد هو يوم عرفة، قال تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [الحج: ٢٧، ٢٨].

وقُل مثل ذلك في صلاة الجمعة، والعيدين، والاستسقاء، والكسوف والخسوف، ونحوها.

«وعليه، فإنَّه إذا كانت الجماعيَّة مؤكّدة ولازمة في التّشريعات الَّتي يمكن أن تقع بصورة فرديَّة، فإنَّها تكون ـ من باب أولى ـ أشدّ تأكيداً، وأكثر إلزاماً في تلك الَّتي لا تقع ولا تتمّ كاملة إلَّا بالجماعيَّة، كالدّعوة، والتَّربية، والجهاد، وعمارة هذا الكون والسّيادة فيه»[1].

د ـ الحضُّ على مخالطة النَّاس والصَّبر على أذاهم:

«خير النَّاس أنفعهم للنَّاس، وهذا النَّفع إنَّما يكون بمخالطتهم، وبذل الجهد لإرشادهم وتوجيههم، ومساعدتهم، وخدمتهم، والتودّد إليهم، والحرص عليهم، وهذا هو ديدن الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه»[2]، وقد امتنَّ الله على عباده المؤمنين ببعثة رسوله محمَّد ﷺ وهو في غاية النُّصح لهم والسَّعي في مصالحهم والحرص عليهم، فقال ﷻ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨].

وحين يعتذر بعض الانعزاليين بأنَّهم سيتفرّغون لعبادة ربّهم بعيداً عن أذى النَّاس الَّذي سوف يلحق بهم عند مخالطتهم لهم، يقال لهم: إنَّ نبيّكم ﷺ كان مخالطاً للنَّاس صابراً على أذاهم بخُلق رفيع، ونفْس منشرحة، وقد بيّن

---

(١) السيّد محمّد نوح: شخصيّة المسلم بين الفرديّة والجماعيّة، مرجع سابق، ص٦٣.

(٢) مازن عبد الكريم الفريح: الرائد (دروس في التَّربية والدَّعوة)، ط٢، جدّة، دار الأندلس الخضراء، ١٤٢٥هـ، ٢/٢٥٣.

الرَّسولُ ﷺ أنَّ الَّذي يصبر على أذى النَّاس خير من الَّذي يرغب بالسَّلامة فيؤثر العزلة؛ لأنَّ الإسلام يريد من المسلمين أن يكونوا كتلة جماعيَّة، عن ابن عمر رضي الله عنهما أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**الْمُسْلِمُ إِذَا كَانَ مُخَالِطاً النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ خَيْرٌ مِنَ الْمُسْلِمِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ**»(١).

هـ ـ استحباب الجماعيَّة حتَّى في الشؤون العاديَّة من الحياة:

١ ـ الجماعيَّة في السَّفر: فعلى الرَّغم من كون السَّفر طارئاً وغالباً ما يكون لأيَّام معدودات؛ فإنَّ الإسلام حثَّ على الجماعيَّة فيه، ونهى عن الوحدة، قال ﷺ: «**الرَّاكِبُ شَيْطَانٌ، وَالرَّاكِبَانِ شَيْطَانَانِ، وَالثَّلَاثَةُ رَكْبٌ**»(٢)، بمعنى «أنَّ الشَّيطان يطمع في الواحد كما يطمع فيه اللصّ والسَّبُع، فإذا خرج وحده فقد تعرّض للشّيطان والسَّبُع واللصّ فكأنّه شيطان، . . . وقال المنذري: قوله شيطان؛ أي: عاص؛ كقوله شياطين الإنس والجنّ، فإنَّ معناها عصاتهم»(٣).

٢ ـ الجماعيَّة في الأكل: لقد حثَّ النَّبيُّ ﷺ على الاجتماع عند أكل الطَّعام لمَّا شكا إليه بعض أصحابه قائلين: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّا نَأْكُلُ وَلَا نَشْبَعُ؟ قَالَ: «**فَلَعَلَّكُمْ تَفْتَرِقُونَ؟**»، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «**فَاجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ يُبَارَكْ لَكُمْ فِيهِ**»(٤). ولهذا الحديث شاهدٌ آخر، قال ﷺ: «**كُلُوا جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا؛ فَإِنَّ الْبَرَكَةَ مَعَ الْجَمَاعَةِ**»(٥).

---

(١) محمَّد بن عيسى التِّرمذيّ: سنن التِّرمذيّ، مرجع سابق، رقم (٢٥٠٧)، ص٣١٩. وهو في السّلسلة الصَّحيحة للألباني برقم (٩٣٩) ص٦٥٢.

(٢) مالك بن أنس: الموطأ، ط٢، بيروت، مؤسّسة الرِّسالة، ١٤١٣هـ، برقم (٢٠٥٩).

(٣) محمَّد عبد الرؤوف المناوي: فيض القدير شرح الجامع الصَّغير من أحاديث البشير النّذير، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤١٥، ٤/٥٧.

(٤) أبو داود سليمان بن الأشعث: سنن أبي داود، د.ط، بيروت، دار الفكر، ١٤١٤هـ، باب الاجتماع على الطَّعام، رقم (٣٧٦٤)، ص٢٠٥.

(٥) ابن ماجه: سنن ابن ماجه، مرجع سابق، ج٢، باب الاجتماع على الطَّعام، رقم (٣٢٧٨)، ص١٠٩٣.

٣ ـ **النَّهي عن المبيت منفرداً:** لحديث ابن عمر ﷺ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنِ الْوَحْدَةِ؛ أَنْ يَبِيتَ الرَّجُلُ وَحْدَهُ أَوْ يُسَافِرَ وَحْدَهُ»[١].

٤ ـ **النَّهي عن التَّفرّق في الشّعاب والأودية عند النّزول في السّفر:** عن أبي ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيِّ ﷺ قَالَ: كَانَ النَّاسُ إِذَا نَزَلُوا مَنْزِلاً تَفَرَّقُوا فِي الشِّعَابِ وَالأَوْدِيَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِنَّ تَفَرُّقَكُمْ فِي هَذِهِ الشِّعَابِ وَالأَوْدِيَةِ إِنَّمَا ذَلِكُمْ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَلَمْ يَنْزِلُوا بَعْدَ ذَلِكَ مَنْزِلاً إِلَّا انْضَمَّ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ؛ حَتَّى يُقَالَ: لَوْ بُسِطَ عَلَيْهِمْ ثَوْبٌ لَعَمَّهُمْ»**[٢].

ففي هذا الحديث نهي عن التَّفرّق في الشّعاب والأودية، وأمرٌ بالاجتماع والتّضامّ؛ لما في ذلك من القوّة والمنعة والتّعاون، ولما في التّفرّق في الشّعاب والأودية من التعرّض لهوام الأرض، والسّقوط من المرتفعات، وتربّص الأعداء، ونحوها من الأخطار المحدقة، وفيه استجابة فوريّة من الصّحابة ـ رضوان الله عليهم ـ لأمر النّبيّ ﷺ، حتّى إنّهم بلغوا من التّضامّ والتّقارب ما لو أنّه بُسط عليهم ثوب لوسعهم.

---

(١) أحمد بن حنبل: المسند، مرجع سابق، ج٥، رقم (٥٦٥٠)، ص١٦٤.

(٢) محمّد ناصر الدّين الألباني: صحيح سنن أبي داود، ط٢، الرّياض، مكتبة المعارف، د.ت، ج٢، رقم (٢٦٢٨)، ص١٣٠.

العلاقة بين الفرديَّة والجماعيَّة في التَّربية

من الخطوط المزدوجة في كيان الإنسان إحساس الإنسان بفرديّته وإحساسه بميله الجماعي، والعبء الأكبر قائم على المجتمع في محاولة التَّوفيق بين هذين المتناقضين في الظَّاهر، ولمعرفة العلاقة بينهما؛ ينبغي تتبّع العناصر التَّالية:

١ ـ طبيعة الفرديَّة والجماعيَّة وعلاقتهما بالتَّربية:

فالفرديّة: أي الاعتداد بالنَّفس، والحفاظ على ذاتيّتها واستقلالها، والجماعيَّة: أي الميل إلى العيش في الجماعة تعدَّان من تكوين النَّفس الإنسانيّة، «فالإنسان خلقه الله سبحانه على طبيعة مزدوجة: فرديَّة وجماعيَّة في آن واحد، فالفرديّة جزء أصيل في كيانه. ولهذا يحبّ ذاته، ويميل إلى إثباتها وإبرازها، ويرغب في الاستقلال بشؤونه الخاصّة، ومع هذا نرى فيه نزعة فطريّة إلى الاجتماع بغيره.. ولو كان يتمتّع داخله بما لذّ وطاب من الطّعام والشَّراب»[(١)].

وملاحظة ذلك من الأمور البدهيّة؛ فإنّك ترى الطّفل منذ نعومة أظفاره، وفيه حبّ لتملّك الأشياء، ورغبة في الاستقلال، في الوقت الّذي يميل فيه إلى مخالطة أقرانه وأترابه.

وعلى التَّربية السّليمة الّتي تنهل من المعين الصّافي ـ كتاب الله وسنّة نبيّه محمَّد ﷺ ـ ملاحظة تلك النّزعتين ـ الفرديّة والجماعيّة ـ في كيان الإنسان، وتلبية

---

(١) يُوسف القرضاوي: الخصائص العامّة للإسلام، د.ط، الدّار البيضاء، دار المعرفة، د.ت، ص١٥٠.

مطالب كلّ منهما باتّزان؛ لكي يكتمل بناء الإنسان من جميع جوانبه؛ إنساناً مستقلّاً في رأيه وفكره، وفي ذات الوقت مندمجاً مع الجماعة، خاضعاً لها.

٢ ـ الفرديَّة والجماعيَّة في ظلِّ المذاهب الوضعيَّة المتناقضة:

تنظر المذاهب الوضعيَّة للفرديَّة والجماعيَّة نظرة متناقضة يعلوها الغموض والشّطط، فكلّ مذهب يميل إلى جانب على حساب الجانب الآخر، والضَّحيَّة هو ذلك الإنسان؛ الَّذي تتجاذبه الفلسفات والنّظم بنظرتها الضّيّقة، فبعضها يُغلِّب الفرديَّة حتَّى تصل إلى الأنانيّة المقيتة، وتعطيل مصالح المجتمع وتشتيتها، وبعضها يغلِّب الجماعيَّة حتَّى تقضي على الفرد وتلغي وجوده، وتعتبره فرداً في القطيع، «فالرأسماليّة تقوم على تقديس الفرديَّة، واعتبار الفرد هو المحور الأساس، فهي تدلّله بإعطاء الحقوق الكثيرة؛ الَّتي تكاد تكون مطلقة، فله حريّة التملّك، وحريّة التصرّف.. ولو أدّت هذه الحريّات إلى إضرار نفسه، وإضرار غيره..، فهو يتملّك المال بالاحتكار، والحيل، والرِّبا، وينفقه في اللّهو والخمر والفجور، ويمسكه عن الفقراء والمعوزين، ولا سلطان لأحد عليه؛ لأنَّهُ حرٌّ»[١].

ويصف القرضاوي الشّيوعيّة بأنَّها «تقوم على الحطّ من قيمة الفرد، والتَّقليل من حقوقه، والإكثار من واجباته، واعتبار المجتمع هو الغاية، وهو الأصل، وما الأفراد إلَّا أجزاء أو تروس صغيرة في تلك (الآلة) الجبَّارة الَّتي هي المجتمع»[٢].

إنَّ هذه الفلسفات والمذاهب لا تنتبه إلى الطَّبيعة المزدوجة في هذا الكيان البشريّ الَّذي صوّره الخالق سبحانه في أحسن تقويم، وجعله مكاناً للتأمّل والتَّفكّر، قال تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١﴾ [الذَّاريات: ٢١]، وأنَّ هذه فطرة الإنسان «فرد داخل في المجموع، أصيل الفرديّة، أصيل في

---

(١) يوسف القرضاوي: الخصائص العامة للإسلام، مرجع سابق، ص١٤٩.

(٢) المرجع السَّابق، ص١٤٩.

الميل للمجموع، وهو دائم التقلّب بين نزعتيه المتناقضتين، كما يتقلّب في نومه من جنب لجنب ليستريح! ولكنّه في كلّ لحظة شامل لجانبيه معاً على اختلاف في النّسبة والمقدار»(١).

٣ ـ منهج الإسلام في التّوفيق بين الفرديّة والجماعيّة:

لقد كان موقف الإسلام فريداً في نظرته للفرديّة والجماعيّة في كيان الإنسان، كيف لا؟ وهو دين الفطرة، فلا عجب أن جاء نظاماً وسطاً عدلاً؛ لا يجور على الفرد لحساب المجتمع، ولا يحيف على المجتمع من أجل الفرد، لا يصادم بين تلك النّزعتين، ولا يجعلهما متضادتين، بل يغذّيهما معاً؛ لأنّ الفطرة لا تستقيم بإحداهما دون الأخرى.

والإسلام يُشبع ميل الإنسان إلى مخالطة الجماعة، والعيش معها، وفي الوقت نفسه يحتفظ للإنسان بفرديّته، وله في التّوفيق وتحقيق التّوازن بين الفرديّة والجماعيّة منهج فريد يمكن تلخيصه فيما يأتي:

أ ـ جعل الإسلام اتّصال العبد بربّه فرداً في مناجاته ودعائه وخضوعه، فهو لا يخضع لغير الله؛ لأنّه يحسّ بقرب الله منه، ومع ذلك فهو على اتّصال وثيق بالجماعة حتّى في عبادته وصلته بربّه كصلاة الجماعة ونحوها.

ب ـ وقرّر الإسلام المسؤوليّة الفرديّة وأكّدها تأكيداً بالغاً في كتابه فقال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝٣٨﴾ [المدثر: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤، الإسراء: ١٥، فاطر: ١٨، الزّمر: ٧]، وهذه الآيات تنطبق على الإنسان في الدّنيا والآخرة، فهو في الحالتين لا يحمل وزر غيره.

ولكنّه أيضاً قرّر المسؤوليّة الجماعيّة؛ توافقاً مع الفطرة أيضاً، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]، وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥].

«هذا بالإضافة إلى أنّ طبيعة الإسلام ذاتها تقتضي وجود جماعة متكافلة

---

(١) محمّد قطب: منهج التّربية الإسلاميّة، مرجع سابق، ١/ ١٦٤.

تقوم بالتَّكاليف الجماعيَّة. كما أنَّ التصوّر الإسلامي والفضائل الإسلاميَّة تحتاج إلى جماعة، إلى وسط تحيا فيه وتنمو، إلى محضن يتلقّف الأجيال الناشئة؛ فينشئها على تلك الفضائل ويطبعها على ذلك التصوّر»[١].

ج ـ وقرَّر حقّ التملّك للفرد؛ فلا يحلّ أخذ ماله إلَّا بطيب نفس منه، ولكن هذا الحقّ مقيّد بأن يأخذ المال من حلّه، وينفقه في محلّه؛ بغير إسراف ولا مخيلة، فحقوق التملّك للفرد ليست مطلقة، بل هي مقيّدة بحدود الله وحقوق المجتمع.

د ـ حثَّ الإسلام على المحبّة والإخاء والإيثار، وأمر بالتَّعاون على البرّ والتَّقوى، ودعا إلى التَّراحم والتَّسامح، وإلى بذل النَّصيحة.

وبجوار ذلك حذّر من الحسد والبغضاء والفرقة، وسائر الرذائل الَّتي تنشأ من الأنانيّة وحبّ الذَّات.

ومن هنا يتبيّن «أنَّ نظام الإسلام لا يعدّ في المذاهب الفرديّة، كما لا يُحسب في المذاهب الجماعيَّة؛ ذلك لأنَّهُ أخذ من كلّ منهما خير ما فيه، كما تنزّه عن شرّ ما فيه، فقد اعترف بالفرد والمجتمع، وقرّر لكلّ منهما حقوقه بالعدل، وألزمه واجبات تقابلها بالمعروف، وهذه هي الوسطيّة»[٢].

۞ خلاصة:

تمَّ في هذا الفصل دراسة تعريف التَّربية والجماعيَّة في اللُّغة والاصطلاح، والعلاقة بينهما في التَّربية، كما تمَّ التَّعرُّف على مكانة الجماعيَّة في الحياة وفي الإسلام، وقد خلصت فيه إلى تعريف إجرائي للتَّربية الجماعيَّة في الإسلام، ويعتبر هذا الفصل مقدّمة وتمهيداً لما بعده من فصول.

وحيث إنَّ هذا الكتاب دراسة تأصيليّة للتَّربية الجماعيّة في الإسلام؛ فإنَّه يتوجَّب بيان مكانة التَّربية الجماعيَّة في القرآن وفي السُّنَّة، وعند السَّلف، والمربّين المسلمين. وهذا ما سيتبين في الفصل التَّالي:

---

(١) محمَّد قطب: منهج التَّربية الإسلاميَّة، مرجع سابق، ١/١٦٨.

(٢) يُوسف القرضاوي: الخصائص العامّة للإسلام، مرجع سابق، ص١٥٦.

الفصل الثَّالث

مكانة التَّربية الجماعيَّة في الإسلام

تمهيد.

التَّربية الجماعيَّة في القرآن الكريم.

التَّربية الجماعيَّة في السّنَّة النَّبويّة المطهَّرة.

التَّربية الجماعيَّة عند السَّلف والمربّين المسلمين.

فوائد التَّربية الجماعيَّة.

تمهيد

إنَّ أيّ تربية لا تستند على كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ، وهدي السَّلف الصَّالح ـ رضوان الله عليهم ـ تعدُّ تربية قاصرة؛ ذلك أنَّ مناهج البشر وطرائقهم التَّربويّة مهما أوتيت من قوّة واجتمع لديها من خبرة فإنَّها تقف عاجزة عن تحقيق الكمالات، وعن التَّناغم مع الفطرة السَّويَّة؛ والسَّبب هو أنَّ هذه المناهج التَّربويّة لا تخلو من هوًى بشريّ، أو نظرة ضيّقة تؤثّر على سيرها، وقدرتها على تحقيق أهدافها.

لذا فإنَّ التَّربية الجماعيَّة تستمدّ شرعيّتها ومبادءها وأساليبها من القرآن الكريم، والسُّنَّة النَّبويَّة المُطهَّرة، وهدي السَّلف الصَّالح.

ويمكن الوقوف على مكانتها في الإسلام من خلال عرض بعض النَّماذج التَّربويَّة الجماعيَّة من القرآن والسُّنَّة، وهدي السَّلف وطريقتهم، وعرض بعض فوائدها.

التَّربية الجماعيَّة في القرآن الكريم

إنَّ القرآن هو كتاب هذه الأمَّة الحيّ، ورائدها النَّاصح، أنزله الربُّ سبحانه، لا للتِّلاوة فحسب؛ إنَّما هو نور يستضاء به، ومنهج يطبّق ويعمل به، ومن ثمَّ فقد تضمَّن عرض تجارب الأمم السَّابقة؛ لأخذ العظة والعبرة، ومعالجة الوقائع والأحداث الحيَّة الَّتي مرّت بجماعة المسلمين في صدر الإسلام، بمنهجه التَّربويّ الفذّ؛ الَّذي كان له الفضل في الارتقاء بذلك الجيل الَّذي بلغ أعلى درجات الكمال البشريّ.

وسيكون الحديث متضمِّناً عرض نماذج مختارة للتَّربية الجماعيَّة في القرآن، مع الاقتصار على الجانب التَّربويّ، وإبراز أهمّ الدّروس والعظات من هذه النَّماذج.

النَّموذج الأوَّل: تولّي طالوت المُلك في بني إسرائيل:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾. . .، «فأراد نبيّهم أن يستوثق من صدق عزيمتهم، وثبات نيّتهم، وتصميمهم على النّهوض بالتّبعة الثَّقيلة، وجدّهم فيما يعرضون عليه من الأمر»[1]، ﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٦]، وقال لهم نبيّهم ـ مجيباً لطلبهم ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾، «فكان هذا تعييناً من الله الواجب عليهم فيه القبول

---

(١) سيِّد قطب: في ظلال القرآن، مرجع سابق، ١/٢٦٦.

والانقياد وترك الاعتراض، ولكن أبوا إلَّا أن يعترضوا»[1]، فقالوا: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، فردّ عليهم نبيّهم بأنّ شرف النّسب وكثرة المال ليست المقياس للاصطفاء والاختيار في هذه المهمّة، ثمّ ذكر لهم نبيّهم أيضاً آية حسيّة يشاهدونها، وهي إتيان الملائكة بالتّابوت.

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ﴾ أي: لمّا تملّك طالوت بني إسرائيل واستقرّ له المُلك تجهّزوا لقتال عدوّهم، وكانوا عدداً كثيراً وجمعاً غفيراً، جاء في رواية السُّديّ تقدير عددهم «بثمانين ألف»[2]، فقال لهم نبيّهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾، ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى﴾ أي: «فلا يصحبني اليوم في هذا الوجه»[3] ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ﴾ أي: فلا بأس عليه ﴿فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ أي: فعصى أكثرهم، وشربوا من النّهر، ونكصوا عن قتال عدوّهم، ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾؛ لقلّتهم وكثرة عدوّهم؛ إذ لم يبق منهم بعد أن جاوزوا النّهر إلّا بضعة عشر وثلاث مائة، «فشجّعهم علماؤهم العالمون بأنّ وعد الله حقّ؛ فإنّ النّصر من عند الله، ليس عن كثرة عدد ولا عُدد»[4]، ولهذا قالوا: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، فكان لهم أعظم الأثر في تثبيت بعضهم البعض، ولهذا لمّا برزوا لجالوت وجنوده قالوا جميعاً: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠]، فكان لهم النّصر والغلبة.

---

(١) عبد الرَّحمٰن بن ناصر السَّعديّ: تيسير الكريم الرَّحمٰن في تفسير كلام المنّان، مرجع سابق، ص٩١.

(٢) إسماعيل بن كثير القرشي: تفسير القرآن العظيم، القاهرة، دار الريّان للتُّراث، ١٤٠٨هـ، ١/٢٨٦.

(٣) المرجع السَّابق، ص٢٨٦.

(٤) المرجع السَّابق، ص٢٨٦.

📖 **الدّروس التَّربويَّة المستفادة من قصّة طالوت مع بني إسرائيل:**

١ ـ إنَّ الحماسة الجماعيَّة للفكرة أو العمل قد تخدع القادة والمربّين لو أخذوا بظاهرها؛ فيجب أن توضع تحت الاختيار والتَّجريب؛ لكشف الحقيقة، وانقشاع الزَّيف، فهؤلاء الملأ من بني إسرائيل يتقدّمون إلى نبيّهم عليه السلام يطلبون منه أن يختار لهم ملكاً يقودهم لقتال عدوّهم في نشوة وحماسة؛ ظهرت عليهم من خلال استنكارهم على نبيّهم قوله: ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾، بقولهم: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٦]، وراحوا يسردون المسوّغات لدواعي القتال، فكانت النَّتيجة أن خمدت جذوة الحماسة، وانطفأت شعلتها، وتهاوت أرضاً على جنبات الطَّريق ـ كما تذكر القصّة ـ إلَّا القليل ممَّن ثبّتهم الله.

يقول سيّد قطب: «ومع أنَّ لبني إسرائيل طابعاً خاصّاً في النّكول عن العهد، والنّكوص عن الوعد، والتفرّق في منتصف الطّريق. . إلَّا أنَّ هذه الظَّاهرة هي ظاهرة بشريّة على كلّ حال، في الجماعات الَّتي لم تبلغ تربيتها الإيمانيّة مبلغاً عالياً من التّدريب، وهي خليقة بأن تصادف قيادة الجماعة المسلمة في أيِّ جيل»(١).

٢ ـ كما ينبغي للقائد أو المُربّي أن يتحلّى بقوّة الرأي والجسم، فلو كان قويّ البدن مع ضعف الرأي؛ كانت قوّة على غير حكمة، ولو كان عالماً بالأمور وليس له قوّة على تنفيذها؛ كانت حكمة من غير نفاذ، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

٣ ـ ومن صفات القائد والمربّي النَّاجح أن لا يقف عند امتحان واحد، بل يجب عليه أن يكرّر الامتحان والتّجربة؛ لتمحيص أتباعه، وقياس قوّة الإرادة؛ «الإرادة الَّتي تضبط الشّهوات والنّزوات، وتصمد للحرمان والمشاقّ، وتستعلي على الضّرورات والحاجات، وتؤثر الطَّاعة وتحتمل تكاليفها؛ فتجتاز الابتلاء»(٢).

---

(١) سيِّد قطب: في ظلال القرآن، مرجع سابق، ١/٢٦٢.

(٢) سيِّد قطب: في ظلال القرآن، مرجع سابق، ١/٢٦٨.

فهذا طالوت يخبر أتباعه بأنّ الله مبتليهم بنهر، وأنّ من شرب منه فلا يصاحبه؛ لأنَّ من لم يصبر على عطش ساعة فلن يصبر على قتال تتطاير فيه الجماجم والأكفّ.

٤ ـ وينبغي على الجماعة المسلمة أن تثق بموعود الله ﷻ، وأن لا تتزعزع وتتأثّر برجوع النّاكصين على أعقابهم، بل تزداد توكّلاً على الله، وتضرُّعاً، وتبرؤاً من حولها وقوّتها إلى حول الله وقوّته.

ومن هنا نستلهم القوّة القلبيّة الّتي يتمتّع بها طالوت وفئته المؤمنة القليلة العدد الّتي واجهت جيشاً جرّاراً يفوقها عدداً وعدّة.

٥ ـ وهنا يبرز أولئك الرّجال الأثبات الّذين هم قلّة في النّاس؛ لا تجدهم إلّا في المواقف الصّعبة، الّتي يستأخر عنها الغوغاء من النّاس، فيثْبُتون ويُثبِّتون من معهم بكلماتهم المدوّية، ومواقفهم الشّجاعة؛ مستلهمين قول الحقّ سبحانه: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

النّموذج الثّاني: قصّة أصحاب الكهف:

لقد ساق القرآن الكريم حقيقة الفتية الّذين آمنوا بربّهم بمحض الفطرة؛ حيث كانت فطرهم السّليمة تمنعهم من عبادة الأصنام والسُّجود لها.

فجعل كلّ واحد منهم يخرج عن قومه، وينحاز عنهم ناحية، فكان أن جلس أحد الفتيان في أصل شجرة، فجاء الآخر فجلس عنده، وهكذا تجمّع الفتية، ولا يعرف واحد منهم الآخر، فقال أحدهم: «تعلمون والله يا قوم أنّه ما أخرجكم عن قومكم وأفردكم عنهم إلّا شيء، فليُظهر كلّ واحد منكم ما بأمره، فقال آخر: أمّا أنا فإنّي والله رأيت ما قومي عليه، فعرفت أنّه باطل، وإنّما الّذي يستحقّ أن يعبد وحده ولا يُشرك به شيء هو الله، الّذي خلق كلّ شيء، فقال الآخر: وأنا والله وقع لي كذلك، حتّى توافقوا كلّهم على كلمة واحدة، فصاروا يداً واحدة وإخوان صِدق، فاتّخذوا لهم معبداً

يعبدون الله فيه»(١).

إنَّ هذه القصَّة بتفاصيلها تحكي مشهداً من مشاهد التَّربية الجماعيَّة، لفتية صبروا أنفسهم على طاعة الله، في ثبات ورباطة جأش، فاستحقّوا بذلك امتداح الله لهم في آيات تُتلى إلى يوم القيامة.

📖 **الدروس التَّربويَّة المستفادة من قصَّة أصحاب الكهف:**

١ ـ الشَّباب هم أرقّ أفئدة، وأكثر تجرّداً للحقّ، وأقرب للإيمان من الشّيوخ؛ لأنَّ أعوادهم ما تزال غضّة، وفِطَرهم ما تزال سليمة؛ فحريّ بالدّعاة والمربّين أن يخصّصوا جانباً من دعوتهم لهم، وقد «كان أكثر المستجيبين لله ولرسوله ﷺ شباباً، وأمّا المشايخ من قريش، فعامّتهم بقُوا على دينهم ولم يُسلم منهم إلّا القليل»(٢).

وهكذا أخبر تعالى عن أصحاب الكهف أنَّهم كانوا فتية شباباً.

٢ ـ دلَّ امتداح الله وثناؤه على هؤلاء الفتية، الَّذين يهجرون ديارهم، ويفارقون أهلهم، ويتجرّدون من المتاع والزّينة، ويأوون إلى كهف ضيّق مظلم؛ لأجل دينهم وعقيدتهم؛ دلّ ذلك على أنَّ الجماعة المسلمة يجب عليها أن تستعذب المشاقّ في سبيل دينها وقِيَمها، وأن تبذل الغالي والنّفيس في سبيل تربية هذا الجيل على الاستعلاء فوق حظوظ النَّفس وشهواتها الأرضيّة.

٣ ـ التَّربية الجماعيَّة في الإسلام ليست تربية عشائريّة لأبناء قبيلة واحدة، ولا تربية وطنيّة لأبناء بلدٍ واحد.. إنَّها تربية حدودها الإيمان بالله، ورباطها الأخوَّة الصَّادقة، وأسّها المحبّة في الله.

وأصحاب الكهف فتية لا يعرف واحد منهم الآخر، جمع الله بين أجسادهم كما جمع بين قلوبهم، فصاروا يداً واحدة، وإخوان صدق، قال

---

(١) إسماعيل بن كثير القرشي: تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ٥/ ٧٣.
(٢) المرجع السَّابق، ٣/ ٧٢.

الرَّسولُ ﷺ: **«الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ؛ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ»**(١).

٤ ـ الحثّ على صحبة الأخيار، ولزوم الصَّالحين؛ فهم عُدّةٌ في المسير، وأُنس في الوحشة، خصوصاً إذا كانت المصاحبة والمجالسة على ذكر الله سبحانه. جاء في آخر الحديث المتّفق عليه، في باب فضل مجالس الذِّكر، وبعد إخبار الله للملائكة أنّه قد غفر للقوم الّذين يذكرونه، قال: **«فَيَقُولُونَ: رَبِّ فِيهِمْ فُلَانٌ؛ عَبْدٌ خَطَّاءٌ، إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَلَهُ غَفَرْتُ، هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ»**(٢). أنْعِمْ بها من جلسة عمّت بركتها من جاء لحاجة، وأنعم بهم من جلساء؛ لا يشقى بهم جليس.

وهذا كلب قد شملته بركة أصحاب الكهف لمّا صحبهم، فأصابه ما أصابهم من النّوم على تلك الحال، وصار له ذكر وخبر وشأن.

النّموذج الثّالث: غزوة أُحد:

لن يكون الحديث هنا توصيفاً لأحداث الغزوة، ولا نقلاً حيّاً لوقائع وبطولات الصّحابة ﷺ فيها، وسيتوجّه الحديث إلى بعض الجوانب التّربويّة الجماعيّة المستقاة من تلك الآيات الطّوال الّتي نزلت في حوادث ونتائج تلك الغزوة.

إنّ أبرز ما يميّز هذه الغزوة أنّها جسّدت قانون الابتلاء والتّمحيص، وكشفت عن دخائل بعض النّفوس، وما انطوت عليه من ميل للدّنيا ومتاعها الزّائل، وميّزت المنافقين عن أهل الإيمان، وأظهرت شناعة التّفرّق والعصيان.

---

(١) مسلم بن الحجّاج النّيسابوري: صحيح مسلم، مرجع سابق، باب البرّ والصّلة، رقم (٢٦٣٨)، ٤/ ١٦١٢.

(٢) المرجع السّابق، باب فضل مجالس الذّكر، رقم (٢٦٨٩)، ص١٦٤٣.

الدروس التَّربويَّة المستفادة من غزوة أُحد:

١ ـ إنَّ رغد العيش وطيبه على الدّوام يسبّب الرّكون للدّنيا والالتفات إليها، فإذا جاء البلاء وحلّت النّقمة تمحّض العبد لربّه ومولاه، فيحصل بذلك التَّطهير والتّنقية للنّفس من الأدران والشوائب الَّتي تقعد بالمرء عن مسيره لله ﷻ، يقول ابن القيِّم ﵀: «إنَّ النُّفوس تكتسب من العافية الدائمة والنّصر والغنى طغياناً وركوناً إلى العاجلة، وذلك مرض يعوقها عن جدّها في سيرها إلى الله والدّار الآخرة، فإذا أراد بها ربُّها ومالِكُها وراحمُها كرامته، قيّض لها من الابتلاء والامتحان ما يكون دواء لذلك المرض العائق عن السّير الحثيث إليه»[1].

٢ ـ وجاء في السّياق القرآني عرضٌ لوقائع وأحداث الغزوة من خلال آيات فيها تزكية للنّفس، فجاء الحديث عن تقوى الله وطاعته، وعن الإنفاق في السراء والضراء، وعن كظم الغيظ والعفو عن النَّاس، وعن الاستغفار من الذّنب وعدم الإصرار على الخطيئة.

إنَّ القرآن لم يعقّب على المعركة الحسيّة في الميدان فحسب، بل جاء التَّعقيب شاملاً للمعركتين ـ الحسيّة داخل الميدان، والمعنوية داخل النّفس ـ وذلك لأن العلاقة بينهما طرديّة.

ومن ثَمَّ فإنَّ من لم يحقّق النّصر على شهواته، محالٌ أن يحقّق النَّصر في ميدان القتال على الأعداء.

٣ ـ «ترفّق القرآن الكريم وهو يعقّب على ما أصاب المسلمين في (أحد) على عكس ما نزل في (بدر) من آيات، ولا غرو، فحساب المنتصر على أخطائه أشدّ من حساب المنكسر. في المرّة الأولى قال: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَـٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٧، ٦٨]، أمّا في أحد فقال: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ

---

(١) ابن قيّم الجوزيّة: زاد المعاد في هدي خير العباد، ط٢٩، بيروت، مؤسّسة الرّسالة، ١٤١٦هـ، ٣/١٩٨.

ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٢](١).

٤ ـ عتاب الله لمن ضعفت عزائمهم، وخارت قواهم عن مواصلة القتال، لمّا أشيع مقتل النّبيّ ﷺ، قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران: ١٤٤]، فهذا النصّ القرآنيّ يخاطب الجماعة المسلمة بأجيالها المتعاقبة، بأن يكون تعلّقهم بالحيّ الّذي لا يموت؛ لأنّهم أمّة اتّباع مبادئ لا اتّباع أشخاص.

٥ ـ إنّ أمر الشّورى في الإسلام أمرٌ لا تخفى مكانته، وقد استجاب النّبيّ ﷺ ـ بعد أن أعمل مبدأ الشّورى ـ لرأي الأكثريّة الّذين رأوا الخروج إلى أحد، مع أنّ النّبيّ ﷺ لم يكن يميل إلى الخروج، فكانت الهزيمة، ولكنّ الله يعقّب بالتّأكيد والحثّ على الشّورى، وأنّهُ لا تأثير لهذه الهزيمة على منهجيّة التّعامل معها، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران: ١٥٩].

النّموذج الرّابع: حادثة الإفك:

إنّ الأحداث الّتي حدثت في المجتمع المسلم في صدر الإسلام كانت محطّات لتصحيح المسار والسّلوك، وتربية جماعيّة لذلك الجيل، ودروساً وعظات للأجيال من بعده، وتأتي حادثة الإفك في السّياق ذاته؛ متضمّنة أحكاماً ما يزال العمل بها إلى يوم القيامة، وإذا أراد الله أمراً جعل له سبباً.

وكما سبق القول في غزوة أحد يقال هنا؛ إذ ليس من شأن هذا البحث

---

(١) محمّد الغزالي: فقه السّيرة، د.ط، مكّة المكرّمة، النّدوة العالميّة للشّباب الإسلامي، د.ت، ص٢٦٥.

الكلام عن تفاصيل هذه الحادثة، وجمع الرِّوايات في ذلك، ولكن التَّركيز على بعض الجوانب التَّربويَّة الَّتي عالج بها القرآن الكريم ذلك الحدث.

📖 **الدروس التَّربويَّة المستفادة من حادثة الإفك:**

١ ـ إنَّ الانحراف والتَّعدِّي يمكن أن يكون سلوكاً فرديّاً، ويمكن أن يكون سلوكاً جماعيّاً، ولا ينبغي التَّهاون أو المحاباة في تعديل السُّلوك، بل يجب أن يواجه بحسم وقوّة، فالَّذين جاءوا بالإفك عصبة «منهم المؤمن الصَّادق في إيمانه ولكنّه اغترّ بترويج المنافقين، ومنهم المنافق»(١). جاءهم الوعيد الشَّديد أنَّهم سيعاقبون على ما قالوا من ذلك، وقد حدّ النَّبيُّ ﷺ جماعة منهم.

٢ ـ ولقد جاء النَّصّ القرآنيّ مستنكراً على الجماعة المسلمة تصرّفها إزاء هذه الفرية العظيمة الَّتي مسَّت بيت النبوّة، إذ ما كان ينبغي أن تشيع هكذا دون تثبّت ولا بيّنة، ولا أن تتناقلها الألسن دون شاهد ولا دليل، وأنَّهُ كان على المؤمنين أن يتصدّوا لهذا البهتان الَّذي شاع في أوساط النَّاس بخطوات عدّة أرشد إليها القرآن على النَّحو التَّالي:

أ ـ إحسان الظَّنّ بالمؤمنين، قال تعالى: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾ [النّور: ١٢]، ومعنى بأنفسهم: أي بإخوانهم، فقد أقام الأخ مقام النَّفس، «ولأجل هذا قال العلماء: إنَّ الآية أصل في أنَّ درجة الإيمان الَّتي حازها الإنسان، ومنزلة الصَّلاح الَّتي حلّها المؤمن، ولبسة العفاف الَّتي يستتر بها المسلم لا يزيلها عنه خبر محتمل ـ وإن شاع ـ إذا كان أصله فاسداً أو مجهولاً»(٢).

---

(١) عبد الرَّحمٰن بن ناصر السَّعديّ: تيسير الكريم الرَّحمٰن في تفسير كلام المنّان، مرجع سابق، ص٥٣٤.

(٢) محمَّد بن أحمد القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، د.ط، بيروت، دار الفكر، ١٤١٥هـ، ٦/١٨٦.

ب ـ طلب الدّليل والبرهان، قال تعالى: ﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَآءِ فَأُولَٰٓئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾﴾ [النّور: ١٣]، وهنا يتبيّن أثر الكلمة في المجتمع، وضرورة التثبّت عند إلقائها، وربما كلمة واحدة أودت بصاحبها إلى النّار.

ج ـ استنكار هذا الإفك المبين؛ لأنّ المؤمن يمنعه إيمانه من ارتكاب القبائح، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ [النّور: ١٦]، يقول القرطبي: «أوجب الله على المسلمين إذا سمعوا رجلاً يقذف أحداً ويذكره بقبيح لا يعرفونه به أن ينكروا عليه ويكذّبوه»[1].

٣ ـ تحذير المؤمنين من الحَوم حول حمى الشّائعات، خصوصاً إذا كانت تتعلّق بالفواحش، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَٰحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْءَاخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النّور: ١٩].

«فالمجتمع المسلم ليس ذاك المجتمع الّذي يتحرّك وتتشكّل مواقفه وقناعته من خلال الدّعاية والإشاعة والتّرويج، وخلق الإرجاف، شأن المجتمعات غير الأخلاقيّة، وإنّما المواقف تنطلق من ثوابت وأصول لا تزول بالشكّ»[2].

٤ ـ إمكانيّة أن يقع بعض الصّالحين في الخطأ والزّلل، ولكن الواجب عليهم أن يبادروا بالتّوبة والرّجوع عن الخطأ.

٥ ـ الحثّ على التّغافر وإشاعة العفو والصفح بين المؤمنين مهما عظمت الإساءة، وقد تجلّى هذا الخُلق بأبهى صوره في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَٰكِينَ وَالْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا

---

(١) محمّد بن أحمد القرطبي: الجامع لأحكام القرآن مرجع سابق، ٦/١٨٦.

(٢) عليّ محمّد سعيد: التّربية الجماعيّة من منظور قرآني، شبكة المشكاة الإسلاميّة، مقال نشر بتاريخ ٦/٥/١٤٢٨هـ.

وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النُّور: ٢٢]، «فعند ذلك قال الصدّيق ﷺ: بلى والله نحبّ أن تغفر لنا يا ربّنا، ثمَّ رجَّع إلى مسطح ما كان يصله من النّفقة، وقال: والله لا أنزعها منه أبداً»[١]، «وهنا نطّلع على أفق عالٍ من آفاق النّفوس الزّكيّة، الَّتي تطهّرت بنور الله. أفق يشرق في نفس أبي بكر الصدّيق.. الَّذي مسّه حديث الإفك في أعماق قلبه، والَّذي احتمل مرارة الاتّهام لبيته وعِرْضه، فما يكاد يسمع دعوة ربّه إلى العفو.. حتَّى يرتفع على الآلام، ويرتفع على مشاعر الإنسان، وحتى تشف روحه وترف وتشرق بنور الله. فإذا هو يُلبّي داعي الله في طمأنينة وصدق»[٢].

---

(١) إسماعيل بن كثير القرشي: تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ٣/٢٦٧.

(٢) سيِّد قطب: في ظلال القرآن، مرجع سابق، ٤/٢٥٠٥.

التَّربية الجماعيَّة في السنّة النَّبويّة المطهَّرة

السنّة النَّبويّة هي المصدر الثَّاني من مصادر التَّشريع، ومن هنا كان المسلمون في حاجة إلى معرفتها مع حاجتهم إلى معرفة كتاب الله، ولا يمكن أن يُفهم القرآن على حقيقته ولا يُعلم مراد الله من كثير من آيات الأحكام فيه إلّا بالرّجوع إلى سنّة الرّسول ﷺ الّذي أنزل الله عليه الكتاب ليبيّن للنَّاس ما نُزّل إليهم من ربّهم.

لذلك بعث الله نبيّنا محمَّداً ﷺ مربّياً ومعلّماً للناس، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝٢﴾ [الجمعة: ٢].

وقد كانت علاقة النَّبيّ ﷺ بأصحابه علاقة مصاحبة وملازمة؛ يكتسب من خلالها الفرد المسلم قِيَماً ومهارات تمكّنه من العيش في كنف الجماعة.

وعند التأمّل في التَّربية النَّبويَّة يُلاحظ أنَّها في مجملها تربية جماعيَّة، تتناسب وطبيعة الإسلام الَّذي هو دين الجماعة.

وفي هذا الموطن سيتمّ عرض نموذجين بارزين للتَّربية الجماعيَّة، أحدهما في العهد المكيّ، والآخر في العهد المدني، وكذلك استعراض مواقف وتوجيهات نبويّة؛ تضمّنت الجانب التَّربويّ الجماعيّ، كالتَّربية على التعلّم الجماعي، والتَّربية على العمل الجماعي.

١ ـ نماذج من التَّربية الجماعيَّة في السُّنَّة النَّبويّة:

النّموذج الأوَّل: دار الأرقم بن أبي الأرقم:

بدأت الدَّعوة الإسلاميَّة وبقيت سريّة حوالي ثلاث سنوات[١]، لا يظهرها

(١) ابن هشام: السِّيرة النَّبويَّة، ط٢، بيروت، دار الخير، ١٤١٦هـ، ١/ ٢٧٤.

النَّبيُّ ﷺ إِلَّا لمن طمع في إسلامه من خواصّ أصحابه، ثمَّ أُعلنت الدَّعوة بعد ذلك، وصدع بها النَّبيُّ ﷺ بأمر الله نحو عشر سنين[1].

فلمَّا ظهر الإسلام في مكّة؛ كان لا بُدَّ للمسلمين الجُدد أن يلتقوا بإخوانهم؛ ليتعلّموا منهم أمور دينهم، وما نزل من القرآن، فكان الموعد في شعاب مكّة؛ خوفاً من أذى المشركين، «ولمَّا اكتشف المشركون بعض الصَّحابة في شعاب مكّة وهم يصلُّون مستخفين فناكروهم واصطدموا معهم؛ أمر النَّبيُّ ﷺ أصحابه بالاجتماع في دار الأرقم؛ لكي يعبدوا الله بعيداً عن أنظار قريش، ويتعلّموا ما ينزل من القرآن»[2].

فكانت هذه الدَّار بمثابة المقرّ الأوَّل للدّعوة، والمدرسة الأولى للتَّربية الجماعيَّة في الإسلام، فقد كان بإمكان النَّبيِّ ﷺ أن يقول لأصحابه: ليصلِّ كلّ واحد منكم في منزله خفية، ولكن الغاية من الاجتماع هي التأسيس والبناء، والتَّربية الدؤوبة، فكانت العناصر القويّة الصَّادقة، الَّتي صُنعت على عينه ﷺ هي القاعدة والأساس للمجتمع المسلم، «وإنّه ممَّا زاد صلابة هذه القاعدة؛ أنَّ هذه الدّعوة لم تقم على عَرْضِ المغريات من المادّة والمتاع والمال، ولم تُمنِّ معتنقيها بالوعود البرَّاقة فيما ينتظرهم من المناصب والمغانم... لم يكن شيء من ذلك»[3]، كان الوعد هو رضوان الله وجنّته، فقد مرَّ رَسُولُ الله ﷺ بآل ياسر وهم يعذّبون، فقال لهم: «صبراً آل ياسر؛ فإنَّ موعدكم الجنّة»[4].

---

(١) أبو نعيم الأصفهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤١٨هـ، ١/٣٤٨.

(٢) محمّد أمحزون: منهج النَّبيّ ﷺ في الدَّعوة من خلال السِّيرة الصَّحيحة، ط٣، القاهرة، دار السَّلام، ١٤٢٧هـ، ص١٥٨.

(٣) صالح أحمد الشَّامي: السِّيرة النَّبويَّة تربية أمّة وبناء دولة، ط٢، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٢٣هـ، ص٥٨.

(٤) ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصَّحابة، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤١٥هـ، في ترجمة ياسر العنسي ج ٦، رقم (٩٢٣٠)، ص٥٠٠.
وقال عنه الحاكم في المستدرك (٣/٣٨٨): صحيح على شرط مسلم.

وكان من ضمن تربيته ﷺ لأصحابه في تلك الدّار؛ القيام بتوزيع المهامّ التَّربويَّة والدَّعويَّة بينهم، ومن تلك المهامّ ما ذكره الدّكتور محمَّد أمحزون بقوله: «ويبدو من رواية ابن عبّاس ﷺ أنَّه عُهد لعليّ ﷺ بمهمّة رصد الغرباء الّذين يأتون للتعرّف على حقيقة هذا الدِّين أو للدّخول فيه، فقد جاء فيها أنَّ أبا ذرٍّ قدم مكّة فأتى المسجد، فالتمس رَسُولَ الله ﷺ ولا يعرفه، وكره أن يسأل عنه، حتَّى أدركه بعض اللّيل، فرآه عليٌّ، فعرف أنَّه غريب، فتبعه»[(١)]، وبعد التعرّف عليه والاطمئنان إلى مقصده أخذه إلى دار الأرقم بن أبي الأرقم حيث الرَّسولُ ﷺ هناك.

ومن تلك المهامّ الَّتي قام بها النَّبيُّ ﷺ: ضمّ خبَّاب بن الأرتّ إلى سعيد بن زيد وزوجته يعلّمهما القرآن[(٢)].

وفي رواية أخرى: «كان يجمع الرّجل والرّجلين إذا أسلما عند الرّجل به قوّة، فيكونان معه»[(٣)]؛ يتعهدّهم ويعلّمهم.

ولم تكن دار الأرقم وحدها مقرّاً للتَّربية والاجتماع حيث «نظّم المسلمون أنفسهم في جماعات صغيرة يلتقون في البيوت على قراءة كلام الله تعالى وحفظه، ومن لا يستطيع الوصول إلى دار الأرقم كانت تصله الآيات مكتوبة، ويأتيه من يتلوها عليه ويعلّمه إيَّاها»[(٤)].

كما أنَّ مهمَّة النَّبيِّ ﷺ لم تقتصر على تربية وتعليم أصحابه في هذه الدّار فقط، بل إنه كان يجهر بالدّعوة في المواسم والأسواق، ويغشى النَّاس في أنديتهم لتبليغ ما أمره الله به.

---

(١) محمَّد أمحزون: منهج النَّبيِّ ﷺ في الدَّعوة من خلال السِّيرة الصَّحيحة، مرجع سابق، ص١٥٠.

(٢) الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصَّحيحين، د.ط، بيروت، دار المعرفة، د.ت، ٤/ ٥٩.

(٣) ابن سيِّد النَّاس: عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والعبر، ط٣، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ١٤٠٢هـ، ١/ ١٢٢.

(٤) محمَّد أمحزون: منهج النَّبيِّ ﷺ في الدَّعوة من خلال السِّيرة الصَّحيحة، مرجع سابق، ص١٤٨.

كما أنَّ مهمَّة أصحابه أيضاً، لم تكن هي التّلقّي والاستماع فقط، بل كان كلّ واحد منهم يدعو للإسلام في خواصّه ومعارفه، فكانت النّتيجة أن «شهدت هذه الدّار إسلام ما يقرب من أربعين صحابيّاً»[١]. قال ابن سعد: قال عمّار بن ياسر رضي الله عنه: «لقيت صهيب بن سنان على باب دار الأرقم، ورسولُ الله ﷺ فيها، فقلت له: ما تريد؟ قال لي: ما تريد أنت؟ فقلت: أريد أن أدخل على محمَّد فأسمع كلامه، قال: وأنا أريد ذلك، فدخلنا عليه، فعرض علينا الإسلام، ثمَّ مكثنا يوماً على ذلك حتَّى أمسينا، ثمَّ خرجنا ونحن مستخفون»[٢].

النَّموذج الثَّاني: أهل الصُّفَّة:

استمرّ تدفّق المهاجرين إلى المدينة، ومنهم من لم يكن على معرفة بأحد من أهل المدينة، فكان هؤلاء الغرباء بحاجة إلى مأوى دائم مدّة إقامتهم.

وكانت الفرصة مواتية عندما تمّ تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرّفة «حيث بقي حائط القبلة الأولى في مؤخّر المسجد النّبويّ، فأمر النَّبيُّ ﷺ به فظلّل، وأطلق عليه اسم الصُّفّة»[٣].

وأصبحت الصُّفَّة مقرّاً للتَّربية الجماعيَّة في العهد المدني، وقد تولّى النَّبيُّ ﷺ بنفسه مهمَّة التَّربية والإشراف على أهل الصُّفَّة، فقد كان يتعهّدهم، ويبني شخصيّاتهم من جميع الجوانب؛ الإيمانيّة، والعقليّة، والنّفسيّة، والاجتماعيَّة.

والدَّليل على ذلك؛ أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان «يزورهم، ويتفقّد أحوالهم، ويعود مرضاهم، كما كان يكثر مجالستهم، ويرشدهم، ويواسيهم، ويذكّرهم، ويقصّ عليهم، ويوجّههم إلى قراءة القرآن الكريم ومدارسته، وذكر الله، والتطلّع إلى

---

(١) صالح أحمد الشّامي: السّيرة النّبويّة تربية أمّة وبناء دولة، مرجع سابق، ص٢١.
(٢) ابن سعد: الطّبقات الكبرى، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤١٠هـ، ٣/ ١٨٧.
(٣) أكرم ضياء العمري: المجتمع المدنيّ في عهد النبوّة، خصائصه وتنظيماته الأولى، المدينة المنوّرة، إحياء التراث، ١٤٠٣هـ، ص٩٠.

الآخرة، ويشجّعهم على احتقار الدّنيا، وعدم تمنّي الحصول على متاعها»[١]، وكان ﷺ كثيراً ما يدعوهم إلى تناول الطّعام في بيته، فعن طلحة بن عمرو قال: «وكنت فيمن نزل الصُّفَّة، فوافقت رجلاً، وكان يجري علينا من رسولِ اللهِ ﷺ كلّ يوم مُدّ من تمر بين رجلين»[٢].

ومن بالغ الاهتمام الَّذي حظي به أهل الصُّفَّةِ أَنَّه ربما أوكلت بعض المهام التَّربويَّة إلى شخص آخر يساند المربِّي في عمله، ومن ذلك ما قام به الصحابيّ الجليل عبادة بن الصَّامت ﷺ، وذلك فيما روي عنه أنَّه قال: «عَلَّمْتُ نَاساً مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ الْكِتَابَةَ وَالْقُرْآنَ»[٣].

ولم يكن أهل الصُّفَّةِ من المهاجرين والغرباء الَّذين ليس لهم مأوى فحسب، بل كان ينزل معهم بعض الأنصار، رغم استغنائهم عن ذلك، ووجود دور لهم في المدينة، ومنهم كعب بن مالك الأنصاريّ، وحنظلة بن عامر الأنصاريّ وغيرهم[٤].

ولكن «غالب الَّذين يستقرّون في الصُّفَّةِ مؤقّتاً هم من المهاجرين الجدد، وبعضهم ربما كان جديداً على الإسلام، فكان بحاجة إلى تعلّم القرآن وأحكام الشّرع، ولذلك كان جلّ وقتهم بين تدارس للقرآن، أو تعلّم له، يقوم بذلك الرَّسولُ ﷺ أو من يوكل إليه ذلك»[٥]، عن عمرو بن أوْسٍ، عن أبيه ﷺ أنّه قال: «إِنَّا لَقُعُودٌ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الصُّفَّةِ وَهُوَ يَقُصُّ عَلَيْنَا وَيُذَكِّرُنَا»[٦]، وعن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ﷺ قَالَ: «خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ، فَقَالَ:

---

(١) أكرم ضياء العمري: المجتمع المدنيّ في عهد النبوّة، خصائصه وتنظيماته الأولى، مرجع سابق، ص٩٩.
(٢) أبو نعيم الأصفهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مرجع سابق، ١/ ٤١٦.
(٣) أحمد بن حنبل: المسند، مرجع سابق، ٥/ ٣١٥.
(٤) أكرم ضياء العمري: المجتمع المدنيّ في عهد النبوّة، خصائصه وتنظيماته الأولى، مرجع سابق، ص٩١.
(٥) صالح أحمد الشّامي: السّيرة النّبويّة تربية أمّة وبناء دولة، مرجع سابق، ص١٨١.
(٦) أحمد بن حنبل: المسند، مرجع سابق، ٤/ ٨.

أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ[(١)]، أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ[(٢)]، فَيَأْتِيَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِي غَيْرِ إِثْمٍ وَلَا قَطْعِ رَحِمٍ؟ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ! نُحِبُّ ذَلِكَ، قَالَ: أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمُ أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللهِ ﷻ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الإِبِلِ»[(٣)].

وبذلك يتبيّن أنَّ الصُّفَّةَ مكان للتَّربية، والعبادة، والزّهد، وملازمة النَّبيِّ ﷺ، والقرب منه. وكان أبو هريرة ﷺ ممَّن طال مكثه في الصُّفَّةِ؛ رغبة منه لا اضطراراً، ويُروى أنَّه «جاء إلى المدينة في وقت متأخر في العام السَّابع بعد فتح خيبر، وأحبّ أن يلازم الرَّسولَ ﷺ فيعوّض ما فاته من الوقت؛ حرصاً منه على سماع أكبر قدر ممكن من حديثه ﷺ، ومعرفة أحواله، وتبرّكاً بخدمته، وهذا لا يتوفّر له إلَّا إذا كان قريباً من بيت النَّبيِّ ﷺ، فكانت الصُّفَّةُ هي المكان الوحيد الَّذي يؤمّن له ذلك»[(٤)]، «وقد عيّنه النَّبيُّ ﷺ «عريفاً»[(٥)] لمن سكن الصُّفَّةَ من القاطنين ومن نزلها من الطّارقين، فكان النَّبيُّ ﷺ إذا أراد دعوتهم؛ عهد إلى أبي هريرة ﷺ فدعاهم؛ لمعرفته بهم وبمنازلهم ومراتبهم في العبادة والمجاهدة»[(٦)].

إنَّ عظم التَّربية، وكمال البناء الَّذي حظي به أهل الصُّفَّةِ على يد النَّبيِّ ﷺ

---

(١) وادٍ بالمدينة.
انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، بيروت، دار صادر، ١٣٩٧هـ، ١/٤٤٦.

(٢) وادٍ بالمدينة.
انظر: المرجع السَّابق، ٤/١٣٩.

(٣) زكيّ الدِّين المنذري: مختصر صحيح مسلم، مرجع سابق، باب تعلّم القرآن، رقم (٢١٠٣)، ص٦٣٢.

(٤) صالح أحمد الشَّامي: السِّيرة النَّبويَّة تربية أمَّة وبناء دولة، مرجع سابق، ص١٨٣.

(٥) عريفاً: أي أقامه ليعرف من فيهم من صالح وطالح. (المعجم الوسيط، مرجع سابق، ص٥٩٥).

(٦) أكرم ضياء العمري: المجتمع المدنيّ في عهد النبوّة، خصائصه وتنظيماته الأولى، مرجع سابق، ص٩١.

كان له نتائج باهرة، وثمرات يانعة، فكان من أهل الصُّفَّةِ المحدِّثون، والمجاهدون، ومن اشتُهر بالعبادة والزّهد، فهذا أبو هريرة ﷺ أكثر الصَّحابة رواية للحديث، وهذا حذيفة بن اليمان صاحب أحاديث الفتن، وهذا حنظلة غسيل الملائكة استشهد بأحد، وهذا عبد الله ذو البجادين استشهد بتبوك، وغيرهم من النَّماذج الَّذين جاء ذكرهم في أهل الصُّفَّةِ[١].

ومن آثار التَّربية النَّبويَّة عليهم؛ تلك الرُّوح الجماعيَّة الَّتي جعلت «حقوق الأخوَّة وآدابها تحكم علاقاتهم ببعضهم البعض، وقد حكى أبو هريرة ﷺ أنَّهم كانوا إذا اجتمعوا على أكل التَّمر وأكل أحدهم تمرتين معاً قال لأصحابه: (إنِّي قد قرنت فأقرنوا)؛ لئلا ينال من التَّمر أكثر منهم»[٢].

٢ ـ التَّربية على التَّعلُّم الجماعيّ:

التَّعلُّم الجماعيّ جزء من التَّربية الجماعيَّة، وجانب من جوانبها، وقد حثّ النَّبيُّ ﷺ عليه بقوله وفعله، والأدلّة على ذلك كثيرة، منها:

ـ ما روي عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَالنَّاسُ مَعَهُ، إِذْ أَقْبَلَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ، فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَذَهَبَ وَاحِدٌ، قَالَ: فَوَقَفَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَرَأَى فُرْجَةً فِي الْحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا، وَأَمَّا الآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وَأَمَّا الثَّالِثُ فَأَدْبَرَ ذَاهِباً، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ؟ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللهِ فَآوَاهُ اللهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللهُ عَنْهُ**»[٣].

«وفي الحديث فضل ملازمة حِلَق العلم والذِّكر، وجلوس العالم والمذكِّر في المسجد»[٤].

---

(١) أكرم ضياء العمري: المجتمع المدنيّ في عهد النبوّة، خصائصه وتنظيماته الأولى، مرجع سابق، ص٩٦ ـ ٩٧.

(٢) المرجع السّابق، ص٩٩.

(٣) محمَّد بن إسماعيل البخاريّ: صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب العلم، ١/ ٢٤.

(٤) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري في شرح صحيح البخاريّ، مصر، دار مصر، ١/ ٢٣١.

ـ وما روي عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رَسُولُ الله ﷺ: «**وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ؛ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ**»(١).

وفي هذا الحديث استحباب تلاوة القرآن ومدارسته بشكل جماعي، وكلمة مدارسة على وزن مفاعلة توحي بأنّ المجتمعين يحدث بينهم تفاعلٌ، وأخذٌ وردّ، وتداولٌ للأفكار، وذلك ممَّا ينمي الفهم ويرسّخه.

ومن باب الحضّ على طلب العلم بشكل جماعي، ما روي أنَّ النَّبيَّ ﷺ مرَّ بمجلسين في مسجده، فقال: «**كلاهما على خير، وأحدهما أفضل من صاحبه؛ أمَّا هؤلاء: فيدعون الله ﷻ ويرغبون إليه، فإن شاء أعطاهم، وإن شاء منعهم، وأمَّا هؤلاء: فيتعلّمون الفقه والعلم ويعلّمون الجاهل؛ فهم أفضل، وإنَّما بُعثت معلِّماً، فجلس معهم**»(٢). يتبيّن في هذا الحديث أنَّ مجلس العلم أفضل من غيره من المجالس؛ وذلك لما يحصل فيه من رفع الجهل عن النَّفس وعن الغير.

إنَّ التَّعلّم الجماعي يتيح للفرد أن يسأل عن ما يشكل عليه، كما يتيح له أن يحاور ويناقش، وبالحوار تنضج الأفكار، وتزكو الأفهام، وهذا يحتاج إلى قدرة في التّعامل مع الرأي المخالف، وهي مهارة تكتسب من الاحتكاك بالآخرين.

٣ ـ التَّربية على العمل الجماعي:

ذلك أنّ العمل الجماعي هو ثمرة من ثمرات التَّربية الجماعيَّة، فمن لم يتربَّ في جماعة يصعب عليه العمل معها؛ لأنَّ العمل مع الجماعة يتطلّب من

---

(١) مسلم بن الحجَّاج النّيسابوري: صحيح مسلم، مرجع سابق، باب الاجتماع على تلاوة كتاب الله، رقم (١٨٨٨)، ص٥٦٤.

(٢) يُوسف بن عبد البرّ: جامع بيان العلم وفضله، الدمّام، دار ابن الجوزي، ١٤١٤هـ، رقم (٢٤٢)، ص٢٢٣.

الفرد أن يكتسب مهارات تمكّنه من العمل والتّعايش مع الجماعة.

والسنَّة النَّبويَّة حافلة بالأعمال الجماعيَّة الَّتي كان النَّبيُّ ﷺ يشجّع أصحابه عليها، وربما شاركهم بنفسه فيها، والأمثلة على ذلك كثيرة منها:

أ ـ العمل الجماعي في التّخطيط للهجرة النَّبويَّة:

لا شكّ أنَّ العمل الجماعي هو أحد السّبل لنجاح الهجرة النَّبويَّة، فقد تضافرت الجهود، ووزّعت الأدوار بين الأشخاص كلّ حسب قدراته ومواهبه:

فعليّ رضي الله عنه ينام على فراش النَّبيِّ ﷺ للتّعمية على العدوّ، ويتخلّف بمكّة لأداء الودائع والأمانات الَّتي كانت عند رَسُولِ الله ﷺ، والصدّيق رضي الله عنه يرافقه في الهجرة ويخدمه، وابنه عبد الله ينقل لهما الأخبار وما يدور بمكّة إذا حلّ الظَّلام، وأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما تأتيهما من الطّعام بما يصلحهما في كلّ مساء، وعامر بن فهيرة يرعى غنمه نهاره، ثمَّ يريحها عليهما إذا أمسى بأمرٍ من أبي بكر رضي الله عنه[1].

لقد استخدم الرَّسولُ ﷺ الأسباب والوسائل الماديّة الَّتي يهتدي إليها العقل البشريّ في مثل هذا العمل. وليس ذلك بسبب الخوف على نفسه، أو شكٍّ في إمكان وقوعه في قبضة المشركين؛ وإنَّما هذا تشريع للأمّة ليتأسّى النَّاس به، فيأخذوا بالأسباب في كلّ أعمالهم»[2].

ب ـ العمل الجماعي في حفر الخندق:

وبعد أن استقرّ الرأي بحفر الخندق كان لا بُدَّ من إنجاز هذه المهمَّة في أسرع وقت ممكن، وكانت مهمَّة صعبة تتطلّب العمل الجماعي الدءوب، فقد قسّم النَّبيُّ ﷺ العمل بين «المجاهدين من المهاجرين والأنصار ومن معهم من سائر المسلمين، فجعل على كلّ عشرة منهم جزءاً منه، وكانوا يتنافسون في

(١) محمّد سعيد البوطي: فقه السّيرة، د.ط، بيروت، دار الفكر، ١٤١٠هـ، ص١٧٨، ١٧٩.

(٢) مهدي رزق الله أحمد: السّيرة النَّبويَّة في ضوء المصادر الأصليّة، الرّياض، مركز الملك فيصل، ١٤١٢هـ، ص٢٩٠.

العمل، وشمّر رَسُولُ الله ﷺ عن ساعد الجدّ في العمل مع أصحابه ليتأسّوا به، وينشطوا وهم راغبون في ثواب الله وجزيل إحسانه، وعظيم فضله»[١].

روى البخاريّ عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَنْقُلُ التُّرَابَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ حَتَّى أَغْمَرَ بَطْنَهُ أَوِ اغْبَرَّ بَطْنُهُ...»[٢].

ولقد استغرقت مدّة الحفر ستّة أيّام[٣] فقط، حقّاً إنّها مدّة قصيرة! أُنجز فيها عمل عظيم، ما كان له أن ينجز لولا معونة الله أوّلاً، والعمل الجماعي ثانياً.

إنَّ العمل الجماعيّ مطلب ملحّ، ومشروع رائد، له ثمرات عدّة، منها:

١ - «أنّه يحقّق صفة التّعاون والجماعيّة الّتي حثّ عليها القرآن الكريم والسنَّة النّبويّة.

٢ - عدم اصطباغ العمل بصبغة الأفراد؛ ذلك أنَّ العمل الفرديّ تظهر فيه بصمات صاحبه واضحة، فضعفه في جانب من الجوانب لا بُدَّ أن ينعكس على العمل.

٣ - الاستقرار النّسبيّ للعمل، أمّا العمل الفرديّ فيتغيّر بتغيّر اقتناعات الأفراد، ويتغيّر بذهاب قائد ومجيء آخر.

٤ - الاستفادة من كافّة الطّاقات والقدرات البشريّة المتاحة.

٥ - العمل الجماعيّ المؤسّسي هو العمل الّذي يتناسب مع تحدّيات الواقع اليوم؛ فالأعداء الّذين يواجهون الدِّين يواجهونه من خلال عمل مؤسّسي جماعي»[٤].

---

(١) محمَّد الصَّادق عرجون: محمَّد رسولُ الله ﷺ منهج ورسالة بحث وتحقيق، ط٢، دمشق، دار القلم، ١٤١٥هـ، ص١٤٨.

(٢) محمَّد بن إسماعيل البخاريّ: صحيح البخاري، مرجع سابق، باب غزوة الخندق، رقم (٤١٠٤)، ص٧٨٠.

(٣) محمَّد الصَّادق عرجون: محمَّد رسولُ الله ﷺ منهج ورسالة بحث وتحقيق، مرجع سابق، ص١٥٣.

(٤) محمَّد بن عبد الله الدويش: تربية الشباب؛ الأهداف والوسائل، الرِّياض، دار الوطن، ١٤٢٣هـ، ص١٩١، ١٩٢.

التَّربية الجماعيَّة عند السَّلف والمربّين المسلمين

إنَّ المتأمّل تربية السَّلف والمربّين المسلمين، وتعليمهم طلبتهم؛ يجد أنَّها لا تتمّ غالباً إلَّا بشكل جماعيّ، وذلك أمر شائع، يشهد به ما نُقل من أخبارهم وسِيَرهم.

وليس المجال هنا مجال حصر وتقصٍّ لأمرٍ قد بلغ مداه، وأذكر هنا بعض الشَّواهد من أقوالهم وآرائهم، ونماذج من تربيتهم، وذلك على النَّحو التَّالي:

١ ـ بعض أقوال السَّلف والمربّين المسلمين في التَّربية الجماعيَّة:

أولى علماء السَّلف والمربّون المسلمون جانب التَّربية الجماعيَّة اهتماماً بالغاً؛ برز من خلال أقوالهم التَّربويَّة، وممارساتهم العمليّة.

وقد جاءت أقوالهم تارة تحثّ على الاجتماع بالإخوان، وتحذّر من التفرّق عنهم، وتارة تذكر الآداب الَّتي يجب أن يتحلّى بها العالِم مع طلبته، وتارة تصرّح بالتَّربية الجماعيَّة وأهميَّتها في بناء شخصيَّة الفرد بناءً متكاملاً. وهذه بعض الشَّواهد من أقوالهم وآرائهم في ذلك:

أ ـ بعض ما جاء في أهميَّة اتّخاذ الإخوان:

قال عمر بن الخطَّاب ﷺ: «عليك بإخوان الصِّدق، فعش في أكنافهم؛ فإنّهم زينٌ في الرّخاء، وعدّة في البلاء»(١).

وقال أيضاً ﷺ: «آخِ الإخوان على قدر التَّقوى»(٢).

---

(١) أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدِّين، د.ط، بيروت، دار الكتب العلميّة، د.ت، ١٨٦/٢.

(٢) أبو نعيم الأصفهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مرجع سابق، ١/ ٥٥.

وقال عليُّ بن أبي طالب ﷺ: «كدر الجماعة خير من صفو الفرقة»[١].

وقال المغيرة بن شعبة ﷺ: «التَّارك للإخوان متروك»[٢].

وقال داود الطائي لرجل طلب منه الوصيَّة: «اصحب أهل التَّقوى؛ فإنَّهم أيسر أهل الدّنيا عليك مئونة، وأكثرهم لك معونة»[٣].

ولعلّك أخي القارئ تلاحظ أنَّ تلك الأقوال والآراء لم تصرّح بالتّربية الجماعيَّة على وجه الخصوص، وإنَّما كانت تتحدّث عن أهميَّة اتّخاذ الإخوان، إلَّا أنَّها تدل على وعي الصَّحابة والسَّلف الصَّالح، ومعرفتهم بأهميّة لزوم الصَّالحين، والجلوس معهم في حِلَق العلم، ومدارستهم القرآن والسنَّة، وترك الانعزال والتفرّد عنهم.

ب ـ بعض الآداب الّتي يجب أن يتحلّى بها العالم مع طلبته:

وأمَّا ما يتعلّق بالآداب الَّتي ينبغي أن يتحلّى بها العالم مع طلبته، فقد ضرب علماء السَّلف والمربّون المسلمون أروع الأمثلة في ذلك، والشَّواهد على ذلك كثيرة منها:

ـ ما ذكره الإمام بدر الدِّين بن جماعة في كتابه «تذكرة السَّامع والمتكلّم في آداب العالم والمتعلِّم»، فقد ذكر جملة من الآداب الَّتي يجب أن يتحلّى بها العالم مع طلبته، وذلك دليل على أنَّ العالم لم يكن يلقي الدّرس على طلّابه ثمَّ ينصرف، بل كان يتمثّل دور المربِّي والموجّه لهم، فهو يعاون الطّلبة، ويتلمّس حاجاتهم، ويقوم على مصالحهم، «وإذا غاب بعض الطّلبة أو ملازمي الحلقة زائداً عن العادة؛ سأل عنه وعن أحواله، فإن لم يخبر عنه بشيء؛ أرسل إليه، أو قصد منزله بنفسه ـ وهو أفضل ـ فإن كان مريضاً عاده،

---

(١) علي بن محمَّد الماوردي: الأمثال والحكم، الرِّياض، دار الوطن، ١٤٢٠هـ، ص١٨٥.

(٢) صالح بن حميد وآخرون: موسوعة نضرة النَّعيم في مكارم أخلاق الرَّسولِ الكريم ﷺ، ط٤، جدّة، دار الوسيلة، ١٤٢٦هـ، ٣/١٠٢٥.

(٣) أبو نعيم الأصفهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مرجع سابق، ٧/٣٤٦.

وإن كان في غمّ خفّض عنه، وإن كان مسافراً تفقّد أهله، وتغرّض لحوائجهم، ووصلهم بما أمكن»[(١)].

وقد يصل الأمر إلى ما هو أبعد من ذلك، قال ابن جماعة: «وينبغي للمعلّم أن يعتني بمصالح الطّالب، ويعامله بما يعامل به أعزّ أولاده؛ من الحنوّ، والشّفقة عليه، والإحسان إليه، والصّبر على جفاء ربما وقع منه نقص لا يكاد يخلو الإنسان منه، وسوء أدب في بعض الأحيان، ويبسط عذره بحسب الإمكان، ويوقفه مع ذلك على ما صدر منه؛ بنصح وتلطّف، لا بتعنيف وتعسّف؛ قاصداً بذلك حسن تربيته، وتحسين خُلُقه»[(٢)] إلى غير ذلك من تلك الوصايا العجيبة الّتي تدلّ على فقه أولئك العلماء وحسن تربيتهم لطلّابهم.

ـ بعض الأقوال المتعلّقة بأهميّة التّربية الجماعيّة:

وأمّا ما يتعلق بذكر التّربية الجماعيّة وأهميّتها ما جاء في كتاب «منهج التّربية الإسلاميّة» للأستاذ محمّد قطب، فقد قال في معرض حديثه عن المخلوق البشريّ، حيث إنّهُ يتكوّن من شعبتين في آن واحد؛ شعبة فرديّة، وشعبة جماعيّة، ولا بُدَّ أن تعملا معاً: «من أجل ذلك لا يمكن أن يتربّى الإنسان تربية حقيقيّة متكاملة إلّا في جماعة؛ لأنَّ هناك جوانب من النّفس البشريّة لا تنضج ولا تعمل إلّا في داخل جماعة فيها أفراد آخرون غير ذات الإنسان»[(٣)].

ويرى الأستاذ محمّد قطب أنَّ المربي «لا يستطيع أن يعرف طبيعة الشّخص الّذي يربّيه حتّى يوجده في جماعة، ويرقب طريقة تصرّفه إزاءها، ثمَّ

---

(١) بدر الدّين بن جماعة: تذكرة السّامع والمتكلّم في أدب العالم والمتعلّم، د.ط، لبنان، بيت الأفكار الدوليّة، ٢٠٠٤م، ص٧١، ٧٢.

(٢) المرجع السّابق، ص٦٣ ـ ٦٤.

(٣) محمّد قطب: منهج التّربية الإسلاميّة، مرجع سابق، ٢/٣٨.

يقوّم ما يحتاج في نفسه إلى تقويم»(١).

إنَّ المتأمّل هذه الأقوال يتبيّن له أنَّ التَّربية الجماعيَّة ليست لمجرّد تثبيت الفرد على دينه، وحفظه من كيد الشَّيطان ومكره، وإنَّما تسهم في بناء شخصيّته وتلبية حاجاته؛ كالحاجة للاجتماع بالآخرين، والحاجة للانتماء.

٢ ـ بعض الممارسات العمليَّة للتَّربية الجماعيَّة في حياة السَّلف الصَّالح:

إنَّ النَّاظر في سِيَر العلماء والمربّين المسلمين، والمتأمّل في أقوالهم وآرائهم التَّربويَّة؛ يلحظ أنَّ تلك الأقوال والآراء ـ غالباً ـ لم تكن في معزل عن التَّطبيق والممارسة العمليّة؛ إذ لم يكن من شأن عالم من العلماء أن يلقي درسه ثمَّ يعتزل إلى منزله حتَّى يحين موعد الدّرس القادم، بل كان العالم يتمثّل القدوة لطلّابه، وذلك في مجالستهم، ومشاورتهم، وتهذيب طباعهم، وتزكية نفوسهم، ممَّا جعل تلك الرِّعاية تنشئ جيلاً فذّاً يتمثّل سمت العالم ومنهجه.

ومن العلماء الَّذين اعتنوا بتربية وتهذيب طلّابهم؛ الصحابيّ الجليل، والمربي الفذّ عبد الله بن مسعود ﷺ؛ الَّذي حظي بتربية محمَّد ﷺ، وكما أنَّ واحداً من جوانب عظمة سيّدنا محمَّد ﷺ يتجلّى في ذلك الجيل الَّذي ربَّاه وبناه، «فإنَّ من نواحي عظمة شخصيَّة ابن مسعود ﷺ، ومن الأدلّة على مكانته الفذّة؛ ذلك الجيل الَّذي صنعه على عينه، وربّاه على مائدته، وسقاه من بحره»(٢)، فقد كانوا يقولون بقوله، ويتحلّون بسَمْته، وكان لهم الفضل في نشر علمه ومذهبه بعد موته في جميع الأمصار.

ولقد استطاع الصَّحابيّ الجليل معاذ بن جبل ﷺ بفضل تواضعه، وطيب معشره، وحسن سمته، أن يكسب محبّة وإجلال طلّابه؛ «إذ كانوا يحبّونه محبّة شديدة، حتَّى إنَّ بعضهم تعلّق به وأحبّه أوّل ما رآه، فثمّة جوانب

---

(١) محمَّد قطب: منهج التَّربية الإسلاميَّة، مرجع سابق، ص٤٠.

(٢) عبد السَّتار الشَّيخ: عبد الله بن مسعود (عميد حملة القرآن وكبير فقهاء الإسلام)، دمشق، دار القلم، ١٤٠٢هـ، ص٢٨٧.

متعدّدة في شخصيّته كانت تجذب تلاميذه إليه، وتجعلهم يودّونه ويلازمونه حضراً وسفراً، ويهجرون من أجله أهلهم وأوطانهم»[١].

قال ابن قيِّم الجوزيّة: «وشهرة أصحاب معاذ بالعلم والدِّين والفضل والصّدق بالمحلّ الّذي لا يخفى، ولا يعرف في أصحابه متّهم ولا كذّاب ولا مجروح، بل أصحابه من أفاضل المسلمين وخيارهم، ولا يشكّ أهل العلم بالنّقل في ذلك»[٢]، مع أنَّ معاذ بن جبل لم يعش طويلاً بعد الرَّسولِ ﷺ، «إذ توفّي بعده بثماني سنوات»[٣].

إنَّ أيّ عالم لا يهتمّ بتربية طلّابه، ولا يبذل الجهد في تهذيبهم ورعايتهم، لا يلبث أن ينفضّ عنه طلّابه، فيبقى علمه حبيس صدره حتّى يدفن معه في قبره، إلَّا ما كان من تأليفه وتصنيفه؛ «الذلك كان علماء السَّلف النَّاصحون لله ودينه يلقون شبك الاجتهاد لصيد طالب ينتفع النّاس به في حياتهم ومن بعدهم، ولو لم يكن للعالم إلّا طالب واحد ينتفع النّاس بعلمه وعمله وهديه وإرشاده؛ لكفاه ذلك الطّالب عند الله تعالى»[٤].

ومن العلماء الّذين مارسوا التّربية الجماعيّة مع طلّابهم وأتباعهم؛ شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة، يقول الشّيخ عبد الرَّحمٰن عبد الخالق: «إنَّ كلّ من يدرس بإمعان سيرة شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة سيجد أنَّه كان قائد جماعة تلتزم بأمره، وتعمل بمشورته، وتصدر عن رأيه، وتعيش معه سرَّاءه وضرَّاءه، وتتواصل معه بكلّ أنواع الصّلات»[٥].

---

(١) عبد الحميد محمود طهماز: معاذ بن جبل (إمام العلماء ومعلّم النّاس الخير)، ط٢، دمشق، دار القلم، ١٤٠٨هـ، ص٩٠ ـ ٩١.

(٢) ابن قيِّم الجوزيّة: إعلام الموقّعين عن ربّ العالمين، الرّياض، دار طيبة، ١٤٢٧هـ، ١/ ٢٠٢.

(٣) عبد الحميد محمود طهماز: معاذ بن جبل (إمام العلماء ومعلّم النّاس الخير)، مرجع سابق، ص٩٠.

(٤) بدر الدِّين ابن جماعة: تذكرة السّامع والمتكلّم في أدب العالم والمتعلّم، مرجع سابق، ص٧٢.

(٥) عبد الرَّحمٰن عبد الخالق: شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة والعمل الجماعيّ، د.م، =

وكانت تربية شيخ الإسلام لطلّابه وأفراد جماعته ممتدّة حتَّى وهو خلف قضبان السِّجن، إذ كانت رسائله وتوجيهاته تصل إليهم بين الفينة والأخرى، وهذه بعض المقتطفات من رسائله الَّتي كان يرسل بها إلى طلّابه:

كتب شيخ الإسلام وهو في سجن الإسكندريّة رسالة إلى طلّابه وأفراد جماعته يقول فيها: «وأنا في هذا المكان (يعني السّجن) أعظم قدراً وأكثر عدداً ما لا يمكن حصره، وأكثر ما ينقص عليَّ الجماعة!! فأنا أحبّ لهم أن ينالوا من اللذّة والسّرور والنّعيم ما تقرّ به أعينهم»[1].

ويسترسل الشَّيخ رَحِمَهُ اللهُ قائلاً لجماعته: «والمقصود إخبار الجماعة بأنّ نعم الله علينا فوق ما كانت بكثير كثير، ونحن بحمد الله في زيادة من نعم الله وإن لم يكن خدمة الجماعة باللقاء، فأنا داعٍ لهم باللّيل والنّهار قياماً ببعض الواجب من حقّهم، وتقرّباً إلى الله ـ تعالى ـ في معاملته فيهم...»[2].

وقد وجَّه إلى بعض طلّابه، وخاصّة إخوانه رسالة اعتذار يقول فيها: «تعلمون أيضاً أنَّ ما يجري من نوع تغليظٍ أو تخشين على بعض الأصحاب والإخوان فليس ذلك غضاضةً ولا نقصاً في حقّ صاحبه، ولا حصل بسبب ذلك تغيّر منّا، ولا بغض، بل هو بعدما عومل به من التَّغليظ والتّخشين أرفع قدراً وأنبه ذكراً، وأحبّ وأعظم، وإنَّما هذه الأمور هي من مصالح المؤمنين الَّتي يُصلح الله بها بعضهم ببعض»[3].

ويعقّب الشَّيخ عبد الرَّحمٰن عبد الخالق على تلك المقتطفات من رسائل شيخ الإسلام بقوله: «فهل يظنّ ظانّ أنَّ شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة رَحِمَهُ اللهُ كان مجرّد عالم يلقي درساً ويمضي، حاشا وكلّا»[4].

وكان تلاميذ شيخ الإسلام إذا ضاقت بهم السُّبل، وادلهمّت عليهم الخطوب ذهبوا لزيارة مربّيهم وشيخهم ـ ابن تَيْمِيَّة رَحِمَهُ اللهُ ـ في سجنه. يقول

= جمعيّة إحياء التّراث الإسلامي، ١٤١٠هـ، ص٩.

(١) المرجع السّابق، ص١٠.

(٢) المرجع السّابق، ص١٠.

(٣) المرجع السّابق، ص١٢.

(٤) المرجع السّابق، ص١٢.

أحد تلاميذه ـ ابن القيِّم رَحِمَهُ اللهُ ـ: «وكنّا إذا اشتدّ بنا الخوف، وساءت بنا الظّنون، وضاقت بنا الأرض؛ أتيناه، فما هو إلَّا أن نراه، ونسمع كلامه؛ فيذهب عنَّا ذلك كلّه، وينقلب انشراحاً وقوّة ويقيناً وطمأنينة. فسبحان من أشهد عباده جنّته قبل لقائه! وفتح لهم أبوابها في دار العمل! فأتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها، والمسابقة عليها»[1].

---

(١) محمَّد عزيز شمس وعلي عمران: الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة، مكّة المكرّمة، دار عالم الفوائد، ١٤٢٠هـ، ص٤٨١، ٤٨٢.

فوائد التَّربية الجماعيَّة

من فوائد التَّربية الجماعيَّة ما يلي:

١ ـ الكشف عن مواطن الضَّعف والقصور في شخصيَّة الفرد، ومساعدته في التَّخلّص من ذلك:

لا يستطيع الإنسان أن يكتشف ما تنطوي عليه شخصيّته من صفات ذميمة كالحسد والضّغينة إلَّا إذا تربّى في جماعة، وعايش أفرادها، ورأى من أعطاه الله سرعة الفهم وقوّة الحفظ، ثمَّ تبصّر في نفسه؛ هل تنقبض وتتمنّى زوال النّعمة عن أولئك، أم إنَّها تنشرح وتُسرّ بذلك؟ وهل يكون ممّن يسرع إليه الغضب إذا وقعت عليه جهالة، أم إنَّه ممَّن يكبح جماح نفسه ويلجمها الصَّبر؟ وكذلك لو صادف أحد إخوانه ضائقة أو فاقة؛ ينظر إلى نفسه؛ هل تشحّ وتبخل، أم إنها تجود وتعطي؟

وبذلك تعدُّ التَّربية الجماعيَّة حقلاً تجريبيّاً، يطّلع الفرد من خلاله على ما في شخصيّته من قصور وضعف؛ فيعمل على تهذيب نفسه وتنقيتها من ذلك باستمرار. فعن أبي ذَرٍّ ﷺ بِالرَّبَذَةِ قَالَ: سَابَبْتُ رَجُلاً فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَقَالَ لِيَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ»[1]. يقول ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «مع أنَّ منزلة أبي ذرٍّ ﷺ من الإيمان في الذّروة العالية، وإنَّما وبّخه بذلك؛ تحذيراً له عن معاودة مثل ذلك»[2].

في هذا الحديث يتبيّن فضل الجماعة، وأهميّة العيش معها في كشف

---

(١) أحمد الزبيدي: مختصر صحيح البخاري، الرّياض، دار المؤيّد، الطَّبعة الثَّانية، ١٤٢٣هـ، رقم (٢٨)، ص١٨.

(٢) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري في شرح صحيح البخاريّ، مرجع سابق، ١/ ١٢٨.

خبايا النَّفس وما تنطوي عليه من أمور قد تخفى على الشَّخص نفسه. فهذا أبو ذرٍّ يتعجّب من وقوعه في شيء من أمور الجاهليّة مع سالف السّبق والصّحبة لرسولِ الله ﷺ، ما دعاه بعد ذلك إلى تنقية نفسه من تلك الخصلة الذّميمة، فكان يساوي غلامه بنفسه في الملبوس وغيره، ولما سُئل «عن السَّبب في إلباسه غلامه نظير لبسه؛ لأنَّهُ خلاف المألوف، فأجاب بحكاية القصّة الَّتي كانت سبباً لذلك»[1]، والقصّة هي حديثه الآنف الذّكر.

لذلك يجب على كلّ إنسان مهما علت منزلته ومكانته في العِلم أن يتفقّد نفسه وينقّيها من الصّفات الذّميمة الّتي لا تظهر غالباً إلّا بمخالطة الجماعة.

ولا يقتصر دور الجماعة في الكشف عن الصّفات الذَّميمة فحسب، ولكنّها تساعد الشَّخص في التخلّص من تلك الصّفات، «فتارة تمارس أمامه الصُّورة الصَّحيحة، والنّموذج الأمثل؛ ليقتدي ويتأسّى، وتارة تستخدم النصيحة بشروطها وآدابها، وتارة تلجئه إلى العتاب واللّوم، أو التَّوبيخ والتَّقريع، وتارة تستخدم الهجر والقطيعة لأمد معيّن»[2].

٢ ـ تزويد الفرد بكثير من الخبرات والتَّجارب التَّربويَّة والدّعويّة:

«ذلك أنَّ كثيراً من الخبرات التَّربويَّة لا تتمّ في كيان فرد بمفرده؛ لأنَّها مبنيّة على التَّعامل مع الغير، فهي بطبيعتها أمور جماعيَّة؛ تحتاج إلى الوجود في جماعة، والتَّعامل مع هذه الجماعة، وإلّا فإنَّها تصبح أموراً نظريّة لا رصيد لها من الواقع، وتخيب حين تصطدم بالواقع!»[3]. وتبدو الدَّهشة على الأستاذ محمَّد قطب من شابّ يريد تحصيل تلك الخبرات التَّربويَّة من غير أن يخالط الجماعة وذلك بقوله: «كيف يتدرّب الشابّ على الأخوّة إذا لم يمارس الأخوَّة بمشاعرها الحقيقيّة مع الإخوة الَّذين يربطهم به هذا الرّباط؟ كيف يتدرّب على

---

(١) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري في شرح صحيح البخاريّ، مرجع سابق، ص١٢٩.

(٢) السيِّد محمَّد نوح: توجيهات نبويّة على الطَّريق، المنصورة، دار اليقين، ١٤١٨هـ، ص١٢٣.

(٣) محمَّد قطب: منهج التَّربية الإسلاميَّة، مرجع سابق، ٢/ ٢٨٧، بتصرّف يسير.

التَّعاون إذا لم يقم بهذا التَّعاون بالفعل مع أفراد آخرين؟ كيف يتعوَّد أن يُؤثِر على نفسه إن لم يكن هناك إلَّا نفسه؟»[١].

وبذلك يتبيّن أنَّه لا مجال أرحب وأوسع يكتسب فيه المسلم الخبرات ويتعلّم التَّجارب سوى الجماعة.

٣ ـ زيادة النَّشاط للعمل ومضاعفة الجهد فيه:

قد تضعف النَّفس، ويقلّ نشاطها أحياناً فيصيبها شيء من الفتور والتَّراخي، لكن المسلم حين يلتقي بإخوانه ويرى شدَّة خشوعهم، وكثرة إقبالهم على ربّهم، يزداد همّة ونشاطاً للعمل والاجتهاد فيه.

فهذا رَسُولُ الله ﷺ وهو أتقى النَّاس وأقربهم لله تعالى يزداد طاعة إذا لقيه جبريل ﷺ، فعن ابن عبّاس ﷺ قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ جِبْرِيلُ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ»[٢].

قال النَّووي ـ عند ذكره لفوائد هذا الحديث ـ: «ومنها زيادة الجود والخير عند ملاقاة الصَّالحين، وعقب فراقهم للتأثّر بلقائهم»[٣].

٤ ـ تحصيل فضيلة لزوم الصَّالحين، والتَّواصي بالحقّ وبالصَّبر معهم:

الصَّالحون زينٌ في الرَّخاء، وعدّة في البلاء، من لزمهم وصبَّر نفسه معهم أمن على نفسه الفتنة والتحوّل، ومن انفرد عنهم كان عرضة للشَّيطان؛

(١) محمَّد قطب: منهج التَّربية الإسلاميَّة، مرجع سابق، ٢/٢٨٧.

(٢) زكيّ الدِّين المنذري: مختصر صحيح مسلم، مرجع سابق، باب كان النَّبيُّ ﷺ أجود النَّاس بالخير، رقم (١٥٨٥)، ص٤٧٤.

(٣) محيي الدِّين النَّووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجّاج، بيروت، دار المعرفة، ١٤١٤هـ، رقم (١٥/١٦)، ص٦٩.

ولذلك أمر الربُّ ـ سبحانه ـ نبيّه ﷺ بلزومهم وصبر النَّفس معهم، وحذّره من إيثار غيرهم بقوله في سورة الكهف: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: ٢٨].

ويقول صاحب الظِّلال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣]، «والتَّواصي تذكير وتشجيع، وإشعار بالقربى في الهدف والغاية، والأخوَّة والعب، والأمانة، فهو مضاعفة لمجموع الاتّجاهات الفرديّة؛ إذ تتفاعل معاً فتتضاعف. تتضاعف بإحساس كلّ حارس للحقّ أنَّ معه غيره يوصيه ويشجّعه ويقف معه.. وهذا الدِّين لا يقوم إلَّا في حراسة جماعة متعاونة متواصية متضامنة على هذا المثال»[1]. ولا بُدَّ للثَّبات على الحقّ من الصَّبر والتَّواصي به بين المسلمين، ولا يتحقّق الثَّبات على الحقّ بين الإخوان إلَّا بالتَّواصي بالصَّبر، يقول سيّد قطب رحمه الله: «والتَّواصي بالصَّبر يضاعف المقدرة، بما يبعثه من إحساس بوحدة الهدف، ووحدة المتّجه، وتساند الجميع، وتزوّدهم بالحبّ والعزم والإصرار.. إلى آخر ما يثيره من معاني الجماعة الَّتي لا تعيش حقيقة الإسلام إلَّا في جوّها، ولا تبرز إلَّا من خلالها.. وإلَّا فهو الخسران والضّياع»[2].

٥ ـ الحماية من كيد الشَّيطان ومكره:

إنَّ ترك الجماعة، ودوام التفرّد سبيلٌ للوقوع في مكر الشَّيطان وكيده، لا سيما إذا كان التفرّد في غير ذكر الله ﷻ.

ومن أراد أن يحصّن نفسه ويحفظها من الشَّيطان فعليه أن يربِّي نفسه مع جماعة؛ تسأل عنه إن غاب، وتعلّمه إن جهل، وتعُوده إن مرض، وتحوطه بالرِّعاية والحفظ.

---

(١) سيِّد قطب: في ظلال القرآن، مرجع سابق، ٦/٣٩٦٨.

(٢) المرجع السَّابق، ص٣٩٦٨.

وقد حذّر النَّبيُّ ﷺ من التفرّد وترك الجماعة، قال ﷺ: **«عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الاثْنَيْنِ أَبْعَدُ. مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزَمِ الْجَمَاعَةَ»**(١).

كما بيّن النَّبيُّ ﷺ أهميَّة اجتماع المسلم بإخوانه المسلمين، واختلاطه معهم في ثباته على الحقّ، وعدم استحواذ الشَّيطان عليه، فقال ﷺ: **«مَا مِنْ ثَلَاثَةٍ فِي قَرْيَةٍ وَلَا بَدْوٍ لَا تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلَاةُ إِلَّا قَدِ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ؛ فَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ؛ فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ الْقَاصِيَةَ»**(٢).

٦ ـ البعد عن اليأس، وبثّ الأمل في النَّفس:

ذلك أنَّ المسلم الَّذي يفضّل الانعزال والتفرّد عن إخوانه يعتريه اليأس والقنوط، ويرى أنَّ الطَّريق شاقّة وطويلة، ولا أنيس ولا معين، فما عساه أن يصنع في زمن تجبّر فيه الطُّغاة، وعمّ فيه الباطل، وانتشرت فيه الفواحش والمنكرات، فيدبّ فيه اليأس والقنوط، ويقعد عن العمل وعن التَّغيير، أمَّا إذا كان يعمل لدين الله وله جماعة يتربّى معهم ويتقوّى من خلالهم، فإنَّه يستطيع دفع اليأس والقنوط عنه «بأنَّه ليس وحيداً في الميدان، وإنَّما هناك آخرون غيره يسيرون معه في نفس الطَّريق، وهكذا تبثّ الجماعة في نفس المسلم الثِّقة والأمل بأنّ نصر الله آت لا محالة»(٣).

٧ ـ توظيف طاقات الفرد بما يحقّق التَّكامل والتَّوازن في شخصيَّته:

إنَّ كلّ إنسان يحوي غرائز واتّجاهات وأحاسيس لا بُدَّ أن تعمل في ذات الإنسان وفي وقت واحد، مع عدم طغيان واحد منها على حساب الآخر؛ وذلك لحصول التَّوازن والتَّكامل المطلوب في الشّخصيّة، فمثلاً: الحبّ والبغض يعملان لدى المسلم في وقت واحد، يقول تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ

(١) سبق تخريجه ص٢٩.

(٢) أحمد بن حنبل: المسند، مرجع سابق، ٥/١٩٨.

(٣) السيّد محمَّد نوح: توجيهات نبويّة على الطَّريق، مرجع سابق، ص١٢٩.

﴿وَالَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، وكذلك الثِّقة بالنَّفس لا بُدَّ أن تكون بقدر معيَّن، فلو زادت عن الوضع الطَّبيعي، وجاوزت الاعتدال؛ كان الغرور والكبر، ولو نقصت؛ كان الخوف والتردّد، وكذلك سائر الغرائز الأخرى الموجودة في النَّفس الإنسانيَّة.

«وتعدّ الجماعة الحقل الوحيد الَّذي يوظّف سائر طاقات المسلم، ويُعمل كلّ الغرائز بدرجات متساوية، ومتوازنة في نفس الوقت، الأمر الَّذي يؤدّي إلى تكوين الشَّخصيَّة السويَّة المتّزنة المتكاملة، الخالية من أيّ انفصام أو عوج»[١].

◉ خلاصة:

تمَّ في هذا الفصل دراسة مكانة التَّربية الجماعيَّة في القرآن الكريم، وفي السُّنَّة النَّبويَّة المطهَّرة، وعند علماء السَّلف، والمربّين المسلمين. وخُتم بذكر بعض فوائدها الجمَّة.

وقد تبيَّن من خلال ذلك ما حظيت به تلك التَّربية من مكانة عالية، ومنزلة رفيعة تدعو الباحثين لمزيد من التَّقصّي والاستنباط.

ولا يمكن أن تحظى تربية بتلك المكانة من كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ، وباهتمام سلف الأمَّة إلَّا ولها أركان وركائز تعتمد عليها، وتحدّد ملامحها. وهذا ما سيتبين في الفصل التَّالي:

---

(١) السيّد محمّد نوح: توجيهات نبويّة على الطَّريق، مرجع سابق، ص١٢٦.

الفصل الرَّابع

أركان التَّربية الجماعيَّة

تمهيد.

المُربِّي.

المتربّون.

منهجيّة التَّربية الجماعيَّة.

تمهيد

ترتكز التَّربية الجماعيَّة على خمسة أركان أساسيَّة:

المادَّة (المنهج)، المُربِّي، المتربِّين، المنهجيَّة، الأسلوب.

هذه هي الأركان الَّتي لا تقوم التَّربية الجماعيَّة إلَّا بها، ولا يتحقَّق النَّجاح إلَّا بتسديدها، فكلَّما كان الصَّواب والنَّجاح فيها، كانت النتائج أعظم فائدة، وأطيب ثماراً.

وتسعى هذه الأركان إلى مساعدة المُتربِّي على تحقيق النموّ السَّويّ المتكامل في جميع جوانب شخصيّته الإيمانيَّة والعقليَّة والجسميَّة، والنَّفسيَّة، والاجتماعيَّة، بحيث يصبح عضواً متكامل النموّ، وقادراً على خدمة مجتمعه والمساهمة في تنميته.

وسيبحث هذا الفصل ثلاثة أركان: المُربِّي، المُتربِّين، المنهجيَّة، أمَّا المادَّة (المنهج) فلها مقام آخر، وإن كانت بعض معالمها وجوانبها سَتردُ في ثنايا الكتاب، وبخاصَّة عند الحديث عن (المتربِّين)، أمَّا الأسلوب فسيفرد له فصل آخر بإذن الله[1].

---

(١) الفصل الخامس، ص١١٧.

المُربِّي

المربِّي هو الرّكن المهمّ، والمحور الأساس في أركان التَّربية، ومقامه مقام بالغ الأهميَّة، فهو ينوب عن الأنبياء في تبليغ أعظم رسالة في الوجود، من أعظم مرسل لها، لأعظم أمر وُجد له الإنسان، فكيف لا يكون شأنه عظيماً، ومكانته رفيعة، وهو يقوم بمهنة صعبة وشاقّة، إنها إعداد للإنسان ذلك الكيان المعقّد في تركيبه وبنائه، وتقلّب مزاجه.

«إنَّ من يتعامل مع غير الإنسان يتعامل مع آلة صمّاء، أو حتّى كائن حيّ يمكن السّيطرة عليه وترويضه، أمّا التّعامل مع الإنسان فهو أمر عسير؛ إنه التّعامل مع النّدّ والقرين، فإذا كانت التَّربية كذلك فلا يمكن ولا يسوغ أن تتاح لكلّ إنسان، بل وليس حمل المفاهيم الصَّحيحة، والخلفيّة العلميّة، والقدرة على الحديث والحوار، ليس ذلك وحده كاف في أن يتأهّل الشَّخص للتَّربية»(١).

لذلك يجب على الشَّخص الَّذي يتصدّى للتَّربية أن يتحلّى بصفات مخصوصة، ويتجمّل بميزات محمودة، وهذه الصِّفات منها ما هو مكتسب، ومنها ما هو فطريّ يمكن صقله واستثماره؛ وذلك لإحداث التَّفاعل والانسجام بينه وبين المتربّين، «وبدون التَّفاعل يفقد المربِّي صفته التَّربويَّة الإنسانيّة، ويتحوّل إلى موظّف رسميّ لا فرق بينه وبين من يجلس إلى طاولته للتَّعامل مع الأوراق والمعاملات اليوميّة، ولا فرق بينه وبين المهندس الَّذي يتعامل ـ في موضوعاته ـ مع المباني والطُّرق والآليّات»(٢).

---

(١) محمَّد بن عبد الله الدويش: مقالات في التَّربية، الرِّياض، دار طيبة، ١٤٢٠هـ، ص٩.

(٢) عبد العزيز محمَّد النغيمشي: علم النَّفس الدَّعويّ، ط٢، الرِّياض، دار السَّلام، ١٤٢٤هـ، ص٢٥٣.

ومن هنا تبرز أهميَّة تحرير الصِّفات والسِّمات الَّتي يحتاج إليها المربِّي ليبني علاقة تفاعليّة ومثمرة.

وقبل الشّروع في الحديث عن أهمّ صفات المربِّي الفعّال، ينبغي التّنبّه إلى أنَّه من المناسب تحديد نموذج معتدل للمربِّي؛ وذلك للوصول إلى تحديد أمثل لهذه الصِّفات، وللابتعاد عن المغالاة أو التّساهل أيضاً؛ لأنَّ هناك اتجاهين في انتقاء الشّخصيّات المربّية:

الاتّجاه الأوَّل: «يقوم على المبالغة في تحديد الصِّفات الخاصّة بالمربّي، ولزوم تحقّقها فيه بمستويات عالية، فتغلب عليه المثاليّة في تصوّر حال المربّي، بحيث ينتهي الأمر عند مطابقة هذه المواصفات واقعيّاً إلى أنَّه يكاد ألّا يكون هناك تربية ولا مربّون، وإنَّما هو العبث وسدّ الخانات»[١]، وذلك يقود لليأس والإحباط.

الاتّجاه الثَّاني: «يقوم على التَّساهل في صفات المربِّي؛ بحيث تتّسع الدائرة لتشمل أعداداً كبيرة لا يمثّل الانتقاء معها مشكلة، ودافع ذلك الاتّجاه تغليب احتياجات الدّعوة وتبعات انتشارها وانفتاحها دون اعتبار حقيقيّ لحال المنتقى»[٢].

وكلا الاتّجاهين لا يصلح أن يكون معياراً لاصطفاء المربّين؛ لذا كان لزاماً تحديد نموذج معتدل للمربِّي الفعّال، يتوفّر فيه أمران:

الأوَّل: «صفات أساسيّة هي لوازم عمل المربِّي تحديداً.

الثَّاني: أن تتحقَّق هذه الصِّفات في المربِّي بمستوى معيّن ـ يختلف باختلاف الظّروف والبيئة الدّعويّة ـ يمثّل الحدّ الأدنى»[٣] الَّذي يضمن إحداث التَّفاعل التَّربويّ المطلوب بين المربِّي والطّرف الآخر.

---

(١) أحمد فهمي: «صفات المربّي دراسة تحليليّة»، البيان، لندن، العدد ١٤٣ (رجب ١٤٢٠هـ)، ص٣٦.

(٢) المرجع السَّابق، ص١٣٢.

(٣) المرجع السَّابق، ص١٣٣.

أهمّ صفات المربِّي الفعّال:

١ ـ العلم الشّرعيّ:

إنَّ التَّربية في الإسلام إعداد للمرء لعبوديّة الله تبارك وتعالى، ولا يمكن تحقّق ذلك إلَّا بالعلم الشَّرعيّ الَّذي يمنع من الانزلاق أو الوقوع في وسائل يمنعها الشَّرع.

والعلم الشَّرعيّ الَّذي يراد من المربِّي لا يعني بالضّرورة بلوغ الغاية والمُنتهى في تحصيله، ولا أن يكون عالماً متخصّصاً في فنٍّ من فنونه، لكن أن يأخذ من كلّ باب من أبواب العلم وفنونه قدراً لا بأس به، وذلك بما يعطيه القدرة على البحث والاطّلاع، والإعداد للموضوعات الشَّرعيَّة، وما يكون وسيلة للإقناع والحوار والجدال بالَّتي هي أحسن، ويبقى بعد ذلك التطلّع لمزيد من التَّحصيل العلميّ؛ لأنَّ توقّف المربِّي عن الطّلب والرضى بما معه منه هو بمثابة موت بطيء.

وإذا كانت صفة العلم ممَّا يشترط للمربِّي، فإنَّ اتّصافه بذلك مقترن باستمراره في المراجعة والطَّلب، فإذا توقّف كان إلى الجهل أقرب، قال سعيد بن جبير رحمه الله: «لا يزال الرَّجلُ عالماً ما تعلّم، فإذا ترك العلم وظنّ أنَّه قد استغنى واكتفى بما عنده فهو أجهل ما يكون»[1].

٢ ـ الزَّاد الإيماني:

هو ذلك النُّور وتلك الجاذبيّة الَّتي تصدر عن المؤمن مع صلاح باطنه وقربه من الله عز وجل، فينعكس ذلك على جوارحه وعلى كلامه، والمربِّي إن كان كذلك فهو للمتربّين بمثابة السّراج المضيء الَّذي يمدّهم بالنّور والطَّاقة.

وعمق الإيمان وتحقّقه لا يكون بالكلام، أو التكلّف والتحلّي الزائف، بل ليس له إلَّا طريق واحد هو الإخلاص لله عز وجل والتقرّب إليه سبحانه، فإذا

---

(١) بدر الدّين ابن جماعة: تذكرة السَّامع والمتكلّم في أدب العالم والمتعلّم، مرجع سابق، ص٤٤.

اقترب المربِّي من ربّه؛ اقتربت منه قلوب من يربِّيهم، وإن ابتعد عن ربّه ابتعدت عنه القلوب.

إنَّ أعظم زاد يتزوّد به المربِّي؛ زاد التَّقوى والإيمان، فبهذا الزَّاد يتحقَّق للمربِّي كثير من المعاني والصِّفات الإيمانيّة الَّتي يكون لها أبلغ الأثر في المجال التَّربويّ كصفة العدل مثلاً.

«فالمربّي في كثير من الأحيان يمارس التَّربية في جوّ جماعي، وقد يتعامل مع أفراد في مستوى واحد؛ فيكون سلوكه مع الأفراد تحت مجهر المتربّين وأمام عيونهم يزنونه وزناً.. فإذا ميّز بين فرد وفرد، أو بين أخ وأخيه...، دون مبرّر واضح ووجيه؛ سقط في سلّم التَّفاعل درجة أو درجات، وفقد الانسجام مع المتربّين بحسب التوسّع في الجور»[1].

ومن الصِّفات الإيمانيّة التَّربويَّة صفة الأمانة، بأن يكون المربِّي صادقاً وأميناً في تعامله مع تلاميذه، وسمة الأمانة ضروريّة لبناء العلاقات، فإذا ائتمن المتربّي مربّيه على سرّه، وأفضى إليه ببعض أحواله؛ تحقّق التَّفاعل المطلوب.

أمَّا إذا كان المربِّي متقلِّباً لا يحفظ سرّاً، ولا يرعى عهداً؛ فإنَّه لا يمكن أن يُستأمن، ولا يستحقّ أن يُفضى إليه بشيء.

ومن تلك الصِّفات الإيمانيّة الَّتي يجب تحقّقها في شخصيَّة المربِّي، صفة الرّحمة، ونعني عطف المربِّي وشفقته على المتربّين، وإحساسه بحاجاتهم ومشكلاتهم.

والرَّحمة تعني المشاركة الوجدانيّة والإحساس بالطّرف الآخر، وبذلك يتحقّق التَّفاعل التَّربويّ بين المربِّي والمتربّي.

إلى غير ذلك من الصِّفات الإيمانيّة الَّتي يطول ذكرها هاهنا.

٣ ـ الثَّقافة الواسعة:

بأن يتّصف المربِّي بالمعرفة بالمسائل الَّتي تقع خارج إطار تخصّصه،

---

(١) عبد العزيز محمّد النغيمشي: علم النَّفس الدَّعويّ، مرجع سابق، ص٢٩٣.

وبالاطّلاع الواسع في المجالات الاجتماعيَّة والأدبيّة والسّياسيّة، وبالحرص على متابعة الأحداث والأحوال، خصوصاً ما يدور في واقعه القريب.

لقد كان النَّبيُّ ﷺ على اطّلاع بما يدور حوله، وعلى معرفة واسعة بالأماكن والبلدان، وطبائع القبائل وعاداتهم. وإليك هذا الموقف؛ روي أنَّ النَّبيَّ ﷺ لمَّا رأى ما أصاب أصحابه من البلاء، قال لهم: «**لو خرجتم إلى أرض الحبشة؛ فإنَّ فيها ملكاً لا يُظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتَّى يجعل الله لكم فرجاً ممَّا أنتم فيه**»[1].

فمع أنَّ وسائل الاتّصال والنّقل كانت صعبة، إلَّا أنَّ ثقافة النَّبيِّ ﷺ تجاوزت حدود الجزيرة، فهو يجد حلّاً ومخرجاً لأصحابه ممَّا يجدونه من بلاء ومحنة.

وللثّقافة الواسعة في شتّى المجالات فوائد كثيرة، منها ما ذكره شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة، فقد ذكر كلاماً نفيساً، قال: «ففي الإدمان على معرفة ذلك؛ تعتاد النَّفْسُ العلم الصَّحيح، والقضايا الصَّحيحة الصَّادقة، والقياس المستقيم؛ فيكون في ذلك تصحيح الذِّهن والإدراك»[2].

ومنها زيادة قدرة المربِّي على التحدّث والحوار؛ فالمربّي يتعامل مع عقول مختلفة، وثقافات متنوّعة يحتاج إلى التَّواصل معها بكفاءة.

ومن فوائد الثَّقافة وسعة الاطّلاع؛ أن يفهم المربِّي «ظروف المتربّين المختلفة؛ اجتماعيّاً، واقتصاديّاً، وثقافيّاً، وذلك انطلاقاً من فهمه لأحوال المجتمع الَّذي يعيشون فيه، والَّتي تمثّل الخلفيّة الدَّافعة للكثير من أقوالهم وتصرّفاتهم»[3].

---

(١) عبد السَّلام هارون: تهذيب سيرة ابن هشام، د.ط، الكويت، دار البحوث العلميّة، د.ت، ص٨١.

(٢) ابن تَيْمِيَّة: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة، الرِّياض، مطابع الرِّياض، ١٣٨١هـ، ٩/١٢٨.

(٣) أحمد فهمي: «صفات المربّي دراسة تحليليّة»، البيان، مرجع سابق، العدد ١٤٣ (رجب ١٤٢٠هـ)، ص٣٦.

وهذا يبيّن مدى الارتباط الوثيق بين ثقافة المربّي وسعة اطّلاعه، وبين فاعليّته في أداء مهمّته التّربويّة؛ لأنَّ «التّربية الفعّالة لا ترتبط فقط بتفوّق المربّي في ميدان تخصّصه ومهنته، بل ترتبط أيضاً باتّساع اهتماماته ومعلوماته، وبمتابعته المستمرّة الواسعة لشؤون النّاس والمجتمع والأمّة، وكلّما كان حظّه في هذا أوسع؛ كان إلى الاتّصال بالنّاس أقرب، وإلى التأثير فيهم أبلغ»(١).

٤ ـ القدرة على القيادة:

القيادة موهبة تصقلها التّجارب، وتزيدها مضاءً، ولكنّها لا توجدها حيث لا تكون، وهي صفة لا يملكها كلّ النّاس، فالحاكم يسوق النّاس بعصاه، أمّا المربّي فما لم يكن قائداً، قادراً على القيادة والإقناع، فلن يستطيع تربية النّاس؛ لأنَّ التّربية ليست إصداراً للأوامر فحسب، إنّما ينبغي أن يكون لدى المربّي القدرة على جعل المتربّي ينفّذ تلك الأوامر.

يقول الأستاذ محمّد قطب: «من يعجز عن القيادة لا يصلح للتّربية، ولو كان في ذاته شخصاً طيّباً مشتملاً على كلّ جميل من الخصال»(٢).

وقد وهب الله جميع أنبيائه ـ عليهم وعلى نبيّنا أفضل الصّلاة وأتمّ التّسليم ـ القدرة على القيادة؛ وذلك لأنَّ المهمّة الّتي بعثوا من أجلها هي تربية النّاس على الإيمان بالله ﷻ، وهي مهمّة تتطلّب القدرة على القيادة.

ثمّ هيأ لهم جميعاً الوسائل المعينة على صقل تلك الموهبة، عن أبي هريرة ﷺ، عن النّبيّ ﷺ قال: «**مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيّاً إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ. فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لأَهْلِ مَكَّةَ**»(٣)، ومعلوم أنَّ رعي الغنم يتطلّب المقدرة على القيادة، ويعتبر ميداناً من ميادين التدرّب عليها.

---

(١) عبد العزيز محمّد النغيمشي: علم النّفس الدّعويّ، مرجع سابق، ص٢٨٦.

(٢) محمّد قطب: منهج التّربية الإسلاميّة، مرجع سابق، ٢/ ١٦٤.

(٣) أحمد الزبيدي: مختصر صحيح البخاري، مرجع سابق، باب رعي الغنم على قراريط، رقم (١٠٥٥)، ص٢٨٠.

٥ - القدرة على المتابعة:

«فالتَّربية عملية مستمرّة، لا يكفي فيها توجيه عابر مهما كان مخلصاً ومهما كان صواباً في ذاته، إنَّما يحتاج الأمر إلى المتابعة والتَّوجيه المستمرّ»[١].

«والشَّخص الَّذي لا يجد في نفسه الطَّاقة على المتابعة والتَّوجيه المستمرّ شخص لا يصلح للتَّربية ولو كان فيه كلّ جميل من الخصال. وليس معنى التَّوجيه المستمرّ هو المحاسبة على كلّ هفوة! فذلك ينفّر ولا يربّي! فالمربّي الحكيم يتغاضى أحياناً أو كثيراً ما يتغاضى عن الهفوة وهو كاره لها؛ لأنَّهُ يدرك أنَّ استمرار التَّنبيه إليها قد يُحدث ردَّ فعل مضادّ في نفس المتلقّي»[٢].

إنَّ المتتبّع لسيرة النَّبيّ ﷺ يجد أنَّه دائم المتابعة والتّفقّد لأصحابه من النواحي الإيمانيّة والاجتماعيَّة والنفسيّة والاقتصاديّة، والشَّواهد على ذلك كثيرة، منها: متابعتهم في الأعمال الصَّالحة، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِماً؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: أَنَا، قَالَ: فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: أَنَا، قَالَ: فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِيناً؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: أَنَا، قَالَ: فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضاً؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: أَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ»[٣].

ومن الشَّواهد على متابعته ﷺ لأصحابه في النَّواحي الاجتماعيَّة والأسريّة ما رُوي أنَّ سهل بن سعد ﷺ قال: «جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْتَ فَاطِمَةَ فَلَمْ يَجِدْ عَلِيّاً فِي الْبَيْتِ، فَقَالَ: أَيْنَ ابْنُ عَمِّكِ؟ قَالَتْ: كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ شَيْءٌ فَغَاضَبَنِي فَخَرَجَ فَلَمْ يَقِلْ عِنْدِي. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِإِنْسَانٍ: انْظُرْ أَيْنَ هُوَ؟

---

(١) محمَّد قطب: منهج التَّربية الإسلاميَّة، مرجع سابق، ٢/٤٦.

(٢) المرجع السَّابق، ص٤٧.

(٣) زكيّ الدِّين المنذري: مختصر صحيح مسلم، مرجع سابق، باب جمع الصَّدقة وأعمال البرّ، رقم (٥٤٣)، ص١٦٩.

فَجَاءَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ هُوَ فِي الْمَسْجِدِ رَاقِدٌ، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ قَدْ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ شِقِّهِ؛ وَأَصَابَهُ تُرَابٌ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَمْسَحُهُ عَنْهُ، وَيَقُولُ: قُمْ أَبَا تُرَابٍ، قُمْ أَبَا تُرَابٍ»[١].

وغيرها من الشّواهد الّتي تدلّ على متابعة النّبيّ ﷺ لأصحابه وتفقّد أحوالهم.

٦ ـ القدرة على التّقويم:

إنّ أيّ عمل مهما دقّ حجمه لا يخضع للتّقويم المستمرّ، فسيكون عملاً ضعيفاً هزيلاً! فما بالك بالعمل التّربويّ الّذي هو بناء لشخصيّة الإنسان؟ تلك الشّخصيّة الّتي تتغيّر بين الحين والآخر.

وإذا كان المربّي يطمح للتّميّز والفاعليّة؛ فعليه أن يقوّم المتربّين وبشكل مستمرّ لكي يعطي كلّ فرد ما يناسبه، ويقوّم المنهج والبرامج؛ وذلك لقياس مدى ملاءمتها أفراد المجموعة، والشّواهد على ذلك كثيرة في السّنّة النّبويّة، فقد كان الرّسولُ ﷺ يقوّم أصحابه، ومن ثمّ يوكل إليهم من العمل ما يناسبهم، كأمره ﷺ لزيد بن ثابت أن يتعلّم السّريانيّة[٢]؛ لما علمه من فرط ذكائه وسرعة حفظه، ومن ذلك: لمّا رأى رَسُولُ الله ﷺ ما بأبي ذرّ من ضعف؛ نصحه أن لا يقترب من الإمارة، وقال: «يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ...»[٣].

ومن الشّواهد على تقويم النّبيّ ﷺ لأصحابه: ما رواه الترمذيّ عن النّبيّ ﷺ أنّه قال: «أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهُمْ فِي أَمْرِ اللهِ عُمَرُ، وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ، وَأَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ

---

(١) أحمد الزبيدي: مختصر صحيح البخاري، مرجع سابق، باب نوم الرّجال في المسجد، رقم (٢٧٨)، ص٨٦.

(٢) أحمد بن حنبل: المسند، مرجع سابق، مسند زيد بن ثابت، رقم (٢١٥١٠)، ص٤٠.

(٣) زكيّ الدّين المنذري: مختصر صحيح مسلم، مرجع سابق، باب كراهية طلب الإمارة، رقم (١٢٠٣)، ص٣٦٧.

ثَابِتٍ، وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِيناً، وَإِنَّ أَمِينَ هَذِهِ الأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ»[١].

انظر: كيف قوّم النَّبيُّ ﷺ قدرات أصحابه، ووظّفها في خدمة الإسلام.

«والتَّقويم الَّذي يحتاجه المربِّي هنا هو التَّقويم العلميّ الموضوعيّ الَّذي ينطلق من أسس محدّدة موضوعيّة، لا الانطباع الشَّخصيّ تجاه عمل أو فرد ما»[٢].

٧ ـ الاستقرار النَّفسيّ:

«فلا يكون المربِّي متقلّب المزاج، سريع التغيّر، مضطرباً، أو يعاني من حدّة انفعالات أو سوء ظنّ، وحساسية مفرطة، فضلاً عن كونه غير مصاب بمرض نفسيّ»[٣].

انظر أيّها المربِّي إلى نفسك إذا ألمّ بك همّ أو حزن لوقت معيّن، إنّك لا تفكّر بطريقة جيّدة، وربما صدرت منك أقوال بعيدة كلّ البعد عن الدقّة ومطابقة الواقع، فالقرارات المتّخذة في حال الانفعال تكون مجانبة للصَّواب غالباً.

إنَّ المتربّي بحاجة إلى أن يتعامل مع إنسان مستقرّ، أما حين لا يكون مربّيه كذلك؛ فلن يحصل التَّفاعل المطلوب، وسيكون الجوّ بين المربِّي والمتربّي أقرب إلى الخوف والقلق.

٨ ـ الاعتدال والاتّزان:

إنَّ هذا الكون وكلّ ما فيه قائم على الاعتدال والاتّزان، وإنّ الإفراط والتَّفريط أمران ممقوتان حتّى لو كانا بدافع الاستزادة من الخير، وقد كان ﷺ مثالاً للاعتدال والاتّزان في شؤونه كلّها، وكان ينهى أصحابه عن الغلوّ

---

(١) محمَّد بن عيسى التِّرمذيّ: سنن التِّرمذيّ، مرجع سابق، كتاب المناقب، رقم (٣٧٩٢)، ص٨٥٦.

(٢) محمَّد بن عبد الله الدويش: مقالات في التَّربية، مرجع سابق، ص٨.

(٣) المرجع السَّابق، ص٢٠.

والمبالغة في أمور الدِّين، ويأمرهم بإعطاء كلِّ ذي حقٍّ حقَّه، وإذا كان الأمر يتعلّق بشأن أحد المربّين والدّعاة الَّذين يقوم بإعدادهم، وذلك لبعثهم إلى بعض الأمصار للقيام بمهمّات تربويّة دعويّة، فإنَّ النَّهي عن التّشديد وعدم الترفّق بالنّاس في حقّه يكون أعنف وأشدّ، عن جابر رضي الله عنه قال: كَانَ مُعَاذٌ يُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ يَأْتِي فَيَؤُمُّ قَوْمَهُ، فَصَلَّى لَيْلَةً مَعَ النَّبِيِّ ﷺ الْعِشَاءَ، ثُمَّ أَتَى قَوْمَهُ فَأَمَّهُمْ، فَافْتَتَحَ بِسُورَةِ الْبَقَرَةِ، فَانْحَرَفَ رَجُلٌ فَسَلَّمَ، ثُمَّ صَلَّى وَحْدَهُ وَانْصَرَفَ، فَقَالُوا لَهُ: أَنَافَقْتَ يَا فُلَانُ؟ قَالَ: لَا وَاللهِ، وَلَآتِيَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَلأُخْبِرَنَّهُ، فَأَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّا أَصْحَابُ نَوَاضِحَ؛ نَعْمَلُ بِالنَّهَارِ، وَإِنَّ مُعَاذاً صَلَّى مَعَكَ الْعِشَاءَ، ثُمَّ أَتَى فَافْتَتَحَ بِسُورَةِ الْبَقَرَةِ، فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى مُعَاذٍ فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ أَفَتَّانٌ أَنْتَ؟! اقْرَأْ بِكَذَا، وَاقْرَأْ بِكَذَا»[(١)]. وقد بعثه النَّبيُّ ﷺ فيما بعد لأهل اليمن داعياً ومربّياً.

وبعض النَّاس يحمل شخصيَّة متطرّفة، فتجد أحكامه تدور بين المدح والذمّ، والمبالغة أحياناً، والحسم والقطع في الأمور الَّتي تحتمل الرأي الآخر. وهذه بلا شك صفة مذمومة إن وجدت في المربي.

ومن آثار فقدان الاعتدال والاتّزان لدى المربّي[(٢)]:

أ ـ أن يغرس هذه الصِّفة لدى طلّابه؛ فيربّيهم على الغلوّ والتطرّف في التَّفكير والآراء والمواقف.

ب ـ عدم القدرة على التَّعامل المتّزن مع تصرّفات طلّابه؛ فيقف منها موقف المتشنّج، وتزداد مساحة ردّة الفعل في تعامله مع أخطائهم.

٩ ـ الخبرة والمعرفة الجيّدة في المجال التَّربويّ:

قد يكون المربِّي شخصيَّة مهيّئة للتَّربية من جميع الجوانب، ويملك كلّ

---

(١) زكيّ الدِّين المنذري: مختصر صحيح مسلم، مرجع سابق، باب القراءة في العشاء الآخرة، رقم (٢٨٩)، ص٩٨.

(٢) محمَّد بن عبد الله الدويش: مقالات في التَّربية، مرجع سابق، ص٢٤ (باختصار).

جميل من الصِّفات، لكنّه ما لم يتزوّد بالخبرة الكافية في المجال التَّربويّ الَّذي سيعمل فيه فلن يكون فاعلاً ولا مؤثِّراً؛ لأنَّ العمل التَّربويّ يعتمد بالدّرجة الأولى على الممارسة العمليّة الَّتي يكتسب الفرد من خلالها المهارات المطلوبة، ولا يستوي المربِّي المعَدُّ والمزوَّد بالخبرات والمعلومات والمربّي الَّذي يرتجل أعماله.

«لذلك عُني القرآن بتزويد الدّعاة والمربّين بالتَّوجيهات والخبرات التَّربويَّة، وبيان طبيعة الدّعوة، وطبائع المدعوّين، وكيفيّات التَّعامل معهم، وتحديد الغايات وأنواع الأعمال والبرامج للوصول إليها؛ كلّ ذلك لإكساب المربّين الخبرة والدّراية في مجال الاتّصال والدّعوة، والفقه فيها»[(١)].

وكذلك المتأمّل في سيرة النَّبيّ ﷺ يجد أنَّه «كان يدرّب أصحابه، ويزوّدهم بالخبرات والتَّوجيهات اللازمة، والمعلومات، ويصحّح أخطاءهم، كلّ ذلك بطريقة علميَّة توجيهيّة، وبمواقف عمليَّة تطبيقيّة، حتَّى تخرّج من مدرسته علماء ذوو خبرة تربويّة نادرة، أتقنوا التَّفاعل والاتّصال، ونجحوا في كسب الأفراد والجماعات، وإدخالهم في الإسلام»[(٢)].

١٠ ـ المعرفة الواسعة بشخصيّة المتربّي وأحواله:

وذلك لتحديد ميوله وإمكاناته، وما يصلح له من العمل، ولمعرفة التَّغيّر في مستوى المتربّي، ولتحديد مستوى التَّعامل الَّذي يراعي مشاعره وقدراته.

وكلّما كان المربِّي بالمتربّي أعرف كان إليه أقرب، وبمودّته أحرى، بينما جهل المربِّي بالمتربّي يبعث الوحشة والنّفرة بينهما.

وقد كان النَّبيُّ ﷺ ذا معرفة واسعة بمن يربِّيهم «فهو يعرف أسماءهم، وبعض خصائصهم، ويعرف مستوياتهم الاقتصاديّة والاجتماعيَّة والثّقافيّة. وهذا فيما يتعلّق بالأبعدين والمستجدّين، أمَّا أصحابه ممَّن حوله، والمقرّبين منه فيعرف كلّ شيء عنهم تقريباً؛ حاجاتهم واستكفاءهم، مرضهم وصحّتهم،

(١) عبد العزيز محمَّد النغيمشي: علم النَّفس الدَّعويّ، مرجع سابق، ص٢٨١.

(٢) المرجع السَّابق، ص٢٨١.

سفرهم وإقامتهم، ويعرف مستوياتهم الإيمانيّة والعلميّة والعقليّة والنّفسيّة، ويكلّف كلاً منهم وفق خصائصه وقدراته»(١).

وإليك شاهد واحد من أحاديث الرَّسولِ ﷺ لبيان تلك المعرفة الواسعة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ؛ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصاً مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ»**(٢).

١١ ـ حسن العطاء:

إنَّ التَّربية ليست محاضرة تلقى، ولا توجيهاً عابراً يعطى للمتربّي في لحظة، ولكنّها عمل مستمرّ، وجهد دءوب يستغرق الأوقات والأعمار.

ومن ثمّ فالَّذي يتولّى هذه المهمّة لا بُدَّ أن يملك القدرة على العطاء الحسن، «فمجرّد أن يكون لديه ما يعطيه ليس كافياً في شؤون التَّربية، إنَّما ينبغي أن يعطيه بطريقة حسنة كذلك، وإلَّا ضاع الأثر المطلوب، أو انقلب إلى الضدّ حين يعطي المربّي ما عنده بطريقة منفّرة: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]»(٣).

ويشتمل العطاء الحسن على مهارة المربّي في استخدام الأساليب والقدرة على استخدام المقدّمات والتّمهيد للفكرة وغيرها من الأساليب الَّتي تنتقل عن طريقها المعلومات والخبرات إلى المتربّي «بطريقة عفويّة نابعة من ذات البيئة التَّربويَّة وظروفها، وبأسلوب غير مباشر ولا مملول، وبذلك يستطيع المربّي بناء علاقة أوثق، وتفاعل تربويّ أعمق.

---

(١) عبد العزيز محمَّد النغيمشي: علم النَّفس الدَّعويّ، مرجع سابق، ص٢٨٦.

(٢) أحمد الزبيدي: مختصر صحيح البخاري، مرجع سابق، باب الحرص على الحديث، رقم (٨٥)، ص٣٥.

(٣) محمَّد قطب: منهج التَّربية الإسلاميَّة، مرجع سابق، ٢/٤٥.

أمّا إذا كان مباشراً في النّصح والتّوجيه والتّعليم فإنّه يفتقد التّفاعل بقدر هذه المباشرة»[١].

إنَّ المتأمّل سيرة نبيّنا محمَّد ﷺ يجد أنَّه أحياناً يقوم بالتّوجيه والتّعليم مستثمراً أحداثاً معيّنة لكن دون تخصيص، وبأسلوب «**ما بال أقوام**»؛ فيحصل التّنبيه دون جرح لمشاعر أحد، وليستفيد الجميع، عن أمّ المؤمنين عائشة ﵂ قالت: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا بَلَغَهُ عَنِ الرَّجُلِ الشَّيْءُ لَمْ يَقُلْ: مَا بَالُ فُلَانٍ يَقُولُ؟ وَلَكِنْ يَقُولُ: **مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَقُولُونَ كَذَا وَكَذَا؟**»[٢].

وأحياناً بالتّلغيز: وهو السؤال المحيّر، ومنه حديث ابن عمر ﵄ قال: قال رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ، فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ؟** فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي. قَالَ عَبْدُ اللهِ: وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، فَاسْتَحْيَيْتُ ـ لصغر سنّي ـ ثُمَّ قَالُوا: حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: **هِيَ النَّخْلَةُ**»[٣].

والمقصود أن يجتهد المربِّي في تنوّع الأساليب لإيصال المعلومات والخبرات للمتربّي، وذلك لإيجاد جوٍّ من الانسجام والتّفاعل، وبناء علاقة قويّة خارج الإطار الرسميّ.

١٢ ـ المهارات التّواصليّة:

والمقصود بذلك أن يكون هناك عناية بحسن الخطاب والحوار والاستماع، وغير ذلك من المهارات التّواصليّة؛ لأنَّ التّربية عمليَّة تفاعليّة بين طرفين ـ المربِّي والمتربّي ـ فإذا كانت من طرف واحد؛ فإنَّ ذلك يشبه التّعامل مع آلة صمّاء لا حياة فيها.

---

(١) عبد العزيز محمَّد النغيمشي: علم النّفس الدّعويّ، مرجع سابق، ص٢٨٩.

(٢) محمَّد بن عيسى التّرمذيّ: سنن التّرمذيّ، مرجع سابق، باب ما جاء في الرَّجل يتصدّق أو يعتق عند الموت، رقم (٢١٢٤)، ص٤٧٩.

(٣) محمَّد ناصر الدِّين الألباني: صحيح الأدب المفرد للإمام البخاريّ، ط٢، الجبيل، مكتبة الدّليل، ١٤١٧هـ، رقم (٣٦٠)، ص١٤٤.

إنَّ على المربِّي أن يجتهد لتحصيل مهارة الاتّصال؛ لأنَّ ذلك يتيح له حسن التَّعامل مع المتربّين، ويجعله أقدر لبناء علاقة تفاعليّة معهم؛ ممَّا يخلق جوّاً من الانسجام وتبادل الخبرات والآراء.

وقد كان هذا واضحاً في طريقة الرَّسولِ ﷺ عند اتّصاله بأصحابه، فهو حسن الاستماع، حسن الخطاب والحوار، وإليك شاهد من حسن استماعه للحديث وإن طال مع عدم إظهار التّململ أو المقاطعة.

حديث أمّ زرع[1] الَّذي ترويه عائشة رضي الله عنها لرسولِ الله ﷺ حكاية عن إحدى عشرة امرأة، تعاهدن وتعاقدن أن لا يكتمن من أخبار أزواجهنّ شيئاً، فما زالت عائشة رضي الله عنها مسترسلة في سرد حكايتها، والنَّبيُّ ﷺ يستمع إليها بإنصات، وهذا وربّي حسن الاستماع.

أمَّا الشَّاهد على فنّ الحوار والإقناع فيؤخذ من حديث ذلك الشاب الَّذي قال للنَّبيِّ ﷺ: «يَا رَسُولَ اللهِ! ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ، قَالُوا: مَهْ مَهْ، فَقَالَ ﷺ: **ادْنُهْ**، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيباً، قَالَ: فَجَلَسَ، قَالَ: **أَتُحِبُّهُ لأُمِّكَ**؟ قَالَ: لا وَاللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: **وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأُمَّهَاتِهِمْ**، قَالَ: **أَفَتُحِبُّهُ لابْنَتِكَ**؟ قَالَ: لا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: **وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ**، قَالَ: **أَفَتُحِبُّهُ لأُخْتِكَ**؟ قَالَ: لا وَاللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: **وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأَخَوَاتِهِمْ**، قَالَ: **أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ**؟ قَالَ: لا وَاللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: **وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ**، قَالَ: **أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ**؟ قَالَ: لا وَاللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: **وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالاتِهِمْ**، قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: **اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ**، فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ»[2].

---

(١) زكيّ الدِّين المنذري: مختصر صحيح مسلم، مرجع سابق، باب حديث أمّ زرع، رقم (١٦٦٩)، ص٥٠٠.

(٢) أحمد بن حنبل: المسند، مرجع سابق، رقم (٢٢١١٢)، ص٢٣٧.

وأمّا الشّاهد على حسن الخطاب؛ ما روته عائشة رضي الله عنها «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُحَدِّثُ حَدِيثاً لَوْ عَدَّهُ الْعَادُّ لأَحْصَاهُ»(١).

١٣ ـ المرونة:

إنَّ شريعة الإسلام ميسّرة، وتسعى لتحقيق راحة الإنسان وسعادته ومصلحته، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

والشدّة الزّائدة تنفّر المتربّي، وتمنع تأثّره وتأسّيه بالمربّي، وقد كان الرَّسولُ ﷺ مرناً في تعامله مع كافّة أصحابه على اختلاف طبائعهم وبلدانهم، وقد صحّ بذلك الخبر أنّه مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْماً(٢).

وممّا يجدر التّنبيه إليه أنَّ المرونة لا تعني مطلق التّساهل أو الإفراط، بل يجب أن تكون منضبطة بضوابط الشَّرع، ومحاطة بسياجه.

١٤ ـ القدرة على بناء العلاقات الإنسانيّة:

وهو أن تنشأ بين المربِّي والمتربّي رابطة الأخوّة والمحبّة في الله، فإذا «لم يشعر المتلقّي أنَّ مربّيه يحبّه ويحبّ له الخير فلن يُقبل على التلقّي منه، ولو أيقن أنَّ عنده الخير كلّه بل لو أيقن أنّه لن يجد الخير إلّا عنده؛ وأيّ خير يمكن أن يتمّ بغير حبّ»(٣).

وإذا كان من طبيعة المربّي الغلظة والفظاظة، أو العزلة والانزواء؛ فالأفضل له أن يتّجه إلى مهنة أخرى غير التّربية؛ لأنَّ تلك الصّفات تعوق بناء العلاقات الإنسانيّة الحميمة مع المتربّي.

---

(١) محمّد بن إسماعيل البخاريّ: صحيح البخاري، مرجع سابق، باب صفة النّبيّ ﷺ، رقم (٣٠٦٧)، ص٦٨٢.

(٢) محمّد بن إسماعيل البخاريّ: صحيح البخاري، مرجع سابق، باب قول النّبيّ ﷺ: «يسّروا ولا تعسّروا»، رقم (٦١٢٦)، ص١١٨١.

(٣) محمّد قطب: منهج التّربية الإسلاميّة، مرجع سابق، ٢/ ٤٥.

وقد كان السَّلف ـ رحمهم الله تعالى ـ يظهرون الاهتمام والإقبال على جلسائهم وتلامذتهم. يقول ابن عبّاس ﷺ: «أكرم النَّاس جليسي الَّذي يتخطّى رقاب النَّاس إليّ، لو استطعت أن لا يقع الذّباب عليه لفعلت»[١].

وقد ذكر ابن جماعة جملة من الآداب الَّتي ينبغي أن يتأدّب بها العالم مع طلّابه، وهي دليل على وعي السَّلف ومعرفتهم بأهميّة العلاقات الإنسانيّة والمشاعر القلبيّة الَّتي تنشأ بين المربّي والمتربّي، «ومن ذلك معاملته بما يعامل به أعزّ أولاده من الحنوّ والشّفقة عليه والإحسان إليه»[٢].

أخطاء يقع فيها بعض المربِّين:

سأتجاوز ذكر كثير من الأخطاء الواضحة الَّتي يندر حدوثها من مربّ يطمح للفاعليّة والتميّز، وسيبقى الحديث حول جملة من الأخطاء الَّتي يمكن أن يقع فيها بعض المربّين في الميدان التَّربويّ:

١ ـ عدم الاعتراف بالخطأ أمام من يربّيهم:

إنَّ عدم اعتراف المربّي بالخطأ أمام المتربين سيُنقص من قدره، ويحطّ من مكانته في نظرهم، إلى جانب الأثر السيئ الَّذي سيبقى شؤمه عليهم فيما بعد، من عدم الاعتراف بالخطأ والرّجوع عنه.

٢ ـ عدم الإغضاء عن الهفوات والزلّات الصَّغيرة:

إنه ليس من أحد إلّا لديه عيوب ونقائص، وحين يسخِّر المربّي جهده ووقته لتتبّع مثل هذه العيوب وكشفها وإظهارها؛ فإنّه يسهم في إعطاء الجرأة للمخطئ من التبجّح بخطئه، فلا يبالي بما صنع.

وقد كان من منهج نبيّنا محمَّد ﷺ الإغضاء عن الهفوات والزلّات، فلم يكن قطّ، يتتبّع عورة ولا هفوة، ولما أفشت إحدى نسائه ما أسرّه إليها

---

(١) بدر الدِّين ابن جماعة: تذكرة السَّامع والمتكلّم في أدب العالم والمتعلّم، مرجع سابق، ص٤٩.

(٢) المرجع السَّابق، ص٤٩.

وأطلعه الله على ذلك لم يستقص معها، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾ [التَّحريم: ٣]. قال سفيان الثَّوريّ: «ما زال التَّغافل من فعل الكرام»[1].

ولا يُقصد بالإغضاء والتَّغافل هنا؛ الإهمال وترك الحبل على الغارب، ولكن إعطاء الأمور قدرها وحقّها من الاهتمام.

٣ ـ التَّركيز على بعض المتربِّين دون البعض في إسناد المهام:

إنَّ إسناد المهام لبعض المتربِّين دون البعض الآخر، وزيادة التّركيز عليهم سينهكهم، ويُذهب حيويّتهم، ويصيبهم بالملل والسآمة، بينما البعض الآخر من المتربِّين الَّذين لا يُسند إليهم شيء غالباً ولا توكل إليهم أعمال؛ سيفقدون الثِّقة بأنفسهم، وسيشعرون بأنَّهم عالة على غيرهم، إلى جانب ركونهم إلى الكسل والدّعة.

وهذا ينطبق على بعض الآباء الَّذين يسندون جلّ مهمّات البيت والأسرة إلى الابن الأكبر مثلاً، دون الآخرين.

ويجب على المربِّي أن يسند الأعمال إلى جميع المتربِّين، وأن يداولها بينهم؛ حتَّى لا تكون حكراً على بعض المتربِّين دون البعض الآخر؛ وذلك لإكسابهم جميعاً الخبرة والقدرة على تحمّل المسؤوليَّة.

٤ ـ التدخُّل الزائد في كلّ كبيرة وصغيرة من خصوصيّات المتربِّي:

إنَّ تدخّل المربِّي الزّائد في كلّ صغيرة وكبيرة من شؤون المتربِّي بدعوى تعديل السّلوك، وحلّ المشاكل، قد يفقد المتربِّي شخصيّته وثقته بنفسه، ويجعله لا يستطيع أن يتعامل مع أدنى مشكلة تواجهه، وأنّ عليه أن يرجع إلى المربِّي في كلّ شؤونه العامّة والخاصّة.

---

(١) محمَّد جلال الدِّين القاسمي: محاسن التَّأويل، بيروت، دار إحياء التّراث العربي، ١٤١٥هـ، ص١٣٨.

والسؤال هنا: أين هذا المربِّي من بناء الشّخصيّة المتكاملة، القادرة على التَّعامل مع الواقع؟

أين هو من بناء الرّقابة الذاتيّة في شخصيَّة المتربّي؟! إنها «لا تنمو إلَّا على قسط من الحريّة وترك الفرصة للاختيار»[١].

٥ ـ عدم التفطّن إلى أنَّ رأي المربّي في المتربّي له أثر على شخصيّته:

«إنَّ فكرة الفرد عن نفسه هي انعكاس مباشر لفكرة الآخرين عنه، وإنَّ الفرد يبني كثيراً من علاقاته على أساسٍ من الرأي السائد فيه»[٢].

لذا يجب على المربِّي أن يشجّع المتربّي ويمدحه ببعض الصِّفات الحسنة، ـ حتَّى لو لم تكن فيه ـ باعتدال؛ لعلّه يتّصف بها مع الوقت، كما يجب عليه أن يتجنّب وصمه بالصِّفات الذّميمة حتَّى وإن كانت متحقّقة فيه؛ لأنَّهُ بذلك يؤصّلها فيه ويحكم عليه بها.

ولكن ينبغي عدم المبالغة في ذلك؛ فقد يكون من المناسب أحياناً، أن يعرِّض المربِّي ببعض الصِّفات الذّميمة في المتربّي؛ لكي يتجنّبها ويحذّر منها.

وما أجمل أن يمزج المربِّي بين التَّنبيه وذكر شيء من المحاسن؛ لأنَّ ذلك أدعى لقبول المتربّي.

روى عبد الله بن عمر رضي الله عنه رؤيا رآها في المنام على حفصة رضي الله عنها فقصّتها على رَسُولِ الله ﷺ، فقال ﷺ: **«نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ، فَكَانَ بَعْدُ لَا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلاً»**[٣].

---

(١) إبراهيم بن صالح الدحيم: من أجل تربية أفضل، البيان، مرجع سابق، العدد ٢٠٢، (جمادى الآخرة ١٤٢٥هـ)، ص٢٧.

(٢) عبد العزيز محمَّد النغيمشي: علم النَّفس الدَّعويّ، مرجع سابق، ص٢٦٢.

(٣) محمَّد بن إسماعيل البخاريّ: صحيح البخاري، مرجع سابق، باب فضل قيام اللَّيل، رقم (١١٢١)، ص٢٢٢.

٦ ـ السّطحيَّة والافتقار إلى العمق:

إنَّ أسلوب المربِّي في عرض الموضوعات، وطريقة مناقشتها؛ يُسهم في تشكيل عقليَّة المتربّين، وطريقة تفكيرهم.

فالمربّي الفعّال، لا يتناول النّوازل والأحداث الَّتي تحلّ بالمجتمع المسلم، بحديث مشحون بالعاطفة، وارتفاع الصّوت، ثمَّ لا يخرج المتربّي إلَّا بالحسرة والألم فقط.

ولكنّه يتناول الأحداث باعتدال واتّزان، فتجده يتحدّث عن حجم ذلك الحدث في المجتمع، ومدى خطورته، وأسبابه المباشرة وغير المباشرة، ثمَّ يتناول الحلول الممكنة ـ الآنية والمستقبليّة ـ ثمَّ يتناول دور المتلقّين وواجبهم حيال ذلك الحدث، وبهذه الطّريقة يخرج المتلقّي بفكرة ناضجة وواعية.

«وهكذا حيث يتحدّث المعلّم مع طلّابه عن حدث من أحداث السِّيرة؛ فلا يسوغ أن يقتصر الحديث على سرد الأخبار والمرويّات، والإشارة إلى بعض الدّروس والعبر المكرّرة، فلو قام بتحليل الموقف تحليلاً أعمق، وتناول مواقف شخصيّات الحدث، وطلب من تلامذته أن يقارنوا بين هذا الحدث وواقعهم: فما أوجه التّشابه، وكيف نستفيد منها؟ وما أوجه الاختلاف، وهل يمكن أن نوظّفها بطريقة غير مباشرة في حياتنا الشَّخصيَّة؟»[1].

٧ ـ إضعاف روح المبادرة الذّاتيّة لدى المتربّي:

مع أنَّ المُربِّي في هذه الحالة، من النَّاحية النَّظريّة المجرّدة يؤكّد على المبادرة الذّاتيّة، وربما أفرد لها بعض الدّروس، ولكنّه من النَّاحية العمليّة يناقض أقواله؛ فمثلاً تجده دائماً يعطي المتربّين تعليمات واضحة، ويقوم بمحاسبة كلّ من يخالف التَّعليمات، وتجده ينتقد الأفكار الجديدة ويتوجّس منها، وتجده أيضاً يذكّر كلّ من أقدم على عمل دعوي أو برنامج، سواءً أكان صغيراً أم كبيراً بالخطأ الَّذي ارتكبه، وهو عدم الاستشارة.

---

(١) الافتتاحيّة: التَّربية وأثرها على الدّعوة، البيان، مرجع سابق، العدد ١٦٥، (جمادى الأولى ١٤٢٢هـ)، ص٤.

إنَّ المبالغة في ذلك كلّه تسهم في إنتاج آلات بشريّة لا تعمل إلَّا إذا تمّ الضّغط عليها.

٨ ـ المركزيّة في العمل:

أي قيام المربِّي بما يريد عمله بنفسه، ولا يوكل أيّ مهمة إلى المتربّي أو من ينوب عنه، وهذا الأسلوب قد يشغل المربِّي بمسائل صغيرة تقعده عن الكبيرة، وتجعل العمل يتعطّل بالكليّة لو غاب المربِّي أو تأخّر عن اللّقاء، إلى جانب قتل طموح الأفراد وإضعاف روح المبادرة لديهم.

فالواجب على المربِّي أن يفوّض المتربين ببعض الأعمال الَّتي يمكن القيام بها حسب الإمكانات والطّاقات؛ لأنَّ ذلك يربِّي على تحمّل المسؤولية ويخفّف من الأعباء الملقاة على عاتقه.

المتربّون

المتربّون هم أحد أركان التَّربية الجماعيَّة، وهم المربّون والعلماء والقادة في المستقبل؛ لذا يجب الاهتمام بهم، وإحكام بنائهم، ورعايتهم بما يصلحهم، وفي ذلك نفعٌ لهم ولمن يقوم عليهم، يقول ابن القيّم تَعَلَلهُ: «أنفع النَّاس لك؛ رجلٌ مكّنك من نفسه حتَّى تزرع فيه خيراً، أو تصنع إليه معروفاً، فإنَّه نعم العون لك على منفعتك وكمالك، فانتفاعك به في الحقيقة مثل انتفاعه بك أو أكثر»[1].

إنَّ على المربّي أن يهتمّ ببناء شخصيّات من يربّيهم بناءً شاملاً من جميع الجوانب ـ الإيمانيّة، والعلمية، والعقليّة، والخُلقيّة، والاجتماعيّة، والنّفسيّة، والدّعويّة، والجسميّة ـ فإنَّه لو نقص بناء جانب منها كان الخلل على قدر نقصه.

كما أنّه يجب أن يعطى كلّ جانب قدره، فلا يطغى جانب على آخر، وذلك يحتاج إلى تقويم مستمرّ؛ تقويم للمتربّين أنفسهم، وللبرامج المقدّمة، وللأهداف والوسائل كذلك.

وسيكون الحديث عن تلك الجوانب بشيء من الإيجاز؛ لأنَّ الغاية هنا توعية المربّين والآباء، والمهتمّين بالتَّربية بالجوانب المكوّنة لشخصيّة المتربّي، وأنَّهُ يجب بناؤها وصقلها باستمرار للحصول على شخصيَّة متكاملة البناء، متّزنة الفكر.

---

(١) ابن قيّم الجوزيّة: الفوائد، ط٣، دمشق، مكتبة دار البيان، ١٤١٧هـ، ص٣٣٦.

أهم الجوانب المكوِّنة لشخصيَّة المتربِّي:

١ ـ الجانب الإيماني:

يعدّ الجانب الإيمانيّ من أهمّ الجوانب في تكوين شخصيَّة المتربّي؛ لما للإيمان من أثر واضح على النموّ العقليّ والأخلاقيّ والاجتماعيّ والنَّفسيّ؛ فالعقيدة الصَّحيحة أساس الفكرة المستقيمة والرأي السّديد والخُلق الفاضل.

لذلك يجب على المربّي أن يتعاهد الإيمان في نفوس من يربّيهم، ويسعى لتنميته وزيادته، وأن يكون ضمن أهدافه تقوية تعظيم الله في نفوس المتربّين، وتحرير قلوبهم من التعلّق بغير الله، والعناية بالفرائض والنَّوافل، والعناية بأعمال القلوب، وتعظيم حرمات الله، واجتناب المعاصي؛ وذلك بالوسائل المشروعة الَّتي تكون ضمن خطّته، كالمتابعة لهم في حفظ القرآن، والحثّ على التِّلاوة والتدبّر، وتعهّدهم بالمواعظ والرقائق، وإثارة التَّنافس والتَّسابق إلى الخير بينهم، والتَّعاون معهم على أداء العبادات، كصوم الاثنين والخميس، وغيرها من الوسائل الَّتي ترسّخ الإيمان وتقوّيه.

كما أنَّ على المربّي أن يكون قدوة حسنة لمن يربّيهم؛ فإنَّه لو ألقى عشرات المواعظ على المتربّين فلن تؤتي أُكلها ما لم يُر أثر ما يدعو إليه في سلوكه وهديه.

إلَّا أنَّ عليه أن يقف «في موقف وسط بين إهمال القدوة، وبين تكلّف فعل العمل الصَّالح وإظهار التخشّع لأجل أن يُقتدى به، فهذا قد يقوده إلى الرِّياء، وذلك مسلك خفيّ، وحين تصلح حاله، وتتحقّق التَّقوى لديه؛ فلن يحتاج للتكلّف، بل سيكون العمل والهدي الصَّالح سمتاً له»[1].

٢ ـ الجانب العلميّ:

«إنَّ أيّ تربية تتجاوز البناء العلميّ الشَّرعيّ، أو تعطيه مرتبة متأخّرة بين

---

(١) محمَّد بن عبد الله الدويش: تربية الشباب؛ الأهداف والوسائل، مرجع سابق، ص٥٢.

المتطلّبات التَّربويَّة، هي بعيدة عن المنهج النَّبويّ؛ ذلك أنَّ الجيل الَّذي يعاني من الضّعف العلميّ لن يقوم بالواجبات الشَّرعيَّة في نفسه كما ينبغي، فضلاً عن أن يقوم بواجب الإصلاح والدّعوة للنَّاس»[١].

وممَّا ينبغي مراعاته في هذا الجانب؛ الاعتناء بتعليم المتربّين ـ بغضّ النَّظر عن تخصّصاتهم ـ الحدّ الأدنى من العلم الشَّرعيّ، والتَّعامل مع مصادر المعلومات على حسب مستوياتهم وقدراتهم.

كما ينبغي للمربّي أن يسعى لغرس الشّعور بالحاجة للتعلّم؛ وذلك ببيان فضل العلم ومنزلته عند الله، وتعظيم النّصوص الشَّرعيَّة في حسّ المتربّين والتَّعويد على القراءة الواسعة، وتنويع مصادر التَّعلّم، وتطوير أساليبه وطُرقه؛ كلّ ذلك يساعد على توسيع أفق المتربّي، وتنمية قدراته، وبناء شخصيّته العلميّة.

٣ ـ الجانب العقليّ:

العقل من أهمّ مكوّنات الشَّخصيَّة، فبالعقل يقوم الإنسان بمختلف العمليّات العقليّة، مثل الفهم، والإدراك، والتَّخيّل، وهو أساس التَّكليف في الإسلام، وبه يميّز الإنسان بين الخير والشرّ، وبين الفضيلة والرّذيلة، وبين الصَّواب والخطأ.

لذا يجب على المربّي أن يهتمّ بتنمية القدرات العقليّة للمتربّين؛ كالقدرة اللّغويّة، والقدرة على الاستنباط والاستدلال، والقدرة على التَّحليل والإدراك والتَّفكير، وتنمية العمليّات المختلفة؛ كتعليم أسس التَّفكير العلميّ، وطرق حلّ المشكلات، والتَّخلّص من معوقات التَّفكير السَّليم؛ كالتَّعصّب للرأي، والمبالغة، والتَّعميم الخاطئ.. إلى غير ذلك من العمليّات العقليّة المختلفة.

إنَّ التَّربية العقليّة السَّليمة تسهم في تهيئة عقول المتربّين للتّلقيّ العلميّ بضوابطه الشَّرعيَّة، كما تعطيهم الآليّة الَّتي تمكّنهم من التَّعامل الصَّحيح مع المعلومات الَّتي يتلقّونها.

---

(١) محمَّد بن عبد الله الدويش: تربية الشباب؛ الأهداف والوسائل، مرجع سابق، ص٦٩.

٤ ـ الجانب الخُلقيّ:

ولأهميّة هذا الجانب في بناء الشَّخصيَّة المسلمة؛ تجد الحقّ سبحانه يمتدح رسوله الكريم ﷺ بهذه الميزة ـ ميزة الأخلاق ـ ﷺ، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤]، وقد امتنّ تبارك وتعالى على رسوله ﷺ بأن رزقه الرّحمة واللِّين، وأخبر أنّه لو فقد ذلك لتركه النَّاس وأعرضوا عنه، فكيف بغيره؟ قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

كما أنَّ مهمَّة الرُّسل عموماً تنصبّ على تنمية الجانب الأخلاقيّ، قال ﷺ: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلَاقِ**»[١].

لذا يجب على المربّي أن يهتمّ ببناء الأخلاق الحسنة في المتربّين، وذلك بتنقية نفوسهم من الأخلاق السيئة، والتَّربية على الرّجولة والعفّة والوقار، والتأدّب مع الأكابر، والصَّبر على الأذى، وحفظ اللِّسان، وغيرها من الصِّفات الحسنة.

ومن الوسائل المعينة على بناء الأخلاق الحسنة في المتربّين؛ أن يكون المربّي قدوة حسنة في ذلك؛ لأنَّ المتربّين يرقبون فعله أكثر من قوله، وكذلك الاعتناء بشمائل النَّبيّ ﷺ وصحابته الكرام، ومجالسة العلماء الربّانيين، والتأدّب بأدبهم، ودراسة أبواب الآداب والسّلوك من كتب السَّلف والخلف، وتشجيع المواقف الإيجابيّة الَّتي تبرز فيها أخلاق نبيلة، أو صفات حميدة من المتربّين.

٥ ـ الجانب الاجتماعيّ:

يعدّ الجانب الاجتماعيّ من الجوانب المهمَّة المكوّنة للشّخصيّة؛ إذ الفرد لا يمكن أن يحيا حياة سويَّة دون أن يعيش في مجتمع يلجأ إليه ويشعر بالأمان في كنفه.

---

(١) محمَّد ناصر الدِّين الألباني: صحيح الجامع الصَّغير، ط٣، بيروت، المكتب الإسلاميّ، ١٤٠٨هـ، رقم (٢٣٤٩)، ص٤٦٤.

والتَّربية الَّتي تتعامل مع الإنسان باعتباره كائناً منفصلاً تعدّ تربية قاصرة، لا ترتقي لبناء أجيال مكتملة البناء.

لذا يجب على المربِّي أن يعتني بالجانب الاجتماعيّ أيّما عناية؛ وذلك لإكساب المتربّين الآليّات والوسائل الَّتي تمكّنهم من التأثير في مجتمعاتهم، وتسهم في بنائها وتوجيهها الوجهة السَّليمة، «وما لم يملك هؤلاء الخبرات والمهارات الاجتماعيَّة، وما لم نضع ضمن أهدافنا الاعتناء ببناء الجانب الاجتماعيّ لديهم، فلن يستطيعوا تحقيق التّغيير الَّذي تتطلّع إليه مجتمعاتهم»[1].

ومن الوسائل الَّتي يمكن أن تسهم في بناء الجانب الاجتماعيّ لدى المتربّين: تعليم الآداب الشَّرعيَّة المتعلّقة بهذا الجانب، والاعتناء بالبرامج التّرويحيَّة الجماعيَّة، والحثّ على التَّعاون مع الجمعيّات الخيريّة، والتَّشجيع على حضور المناسبات العائليّة، والتَّدريب على بناء علاقات اجتماعيَّة ناجحة.

كما يجب على المربِّي الحذر من بعض الممارسات الَّتي تعيق البناء الاجتماعيّ، كإشغال المتربّي ببعض الأنشطة والبرامج الَّتي تسهم في عزله تماماً عن واقعه الَّذي يعيش فيه، وعدم إعداده للحياة الماديّة، وجعل التَّركيز على أمور الآخرة فقط، وعدم تقدير أعذار من يعتذر من المتربّين عن حضور بعض الأنشطة بوالديه أو صلة أقاربه.

٦ ـ الجانب النَّفسيّ:

يعدّ الجانب النَّفسيّ من الجوانب المهمّة في تكوين شخصيَّة الإنسان؛ لأنَّ الشَّخصيَّة السَّويّة هي الَّتي تتّسم بالاتّزان في دوافعها، وعواطفها، ونزعاتها.

وقد باتت الحاجة إلى الصحّة النَّفسيّة في وقتنا الحاضر أكثر من أيّ

---

(١) محمَّد بن عبد الله الدويش: تربية الشباب؛ الأهداف والوسائل، مرجع سابق، ص١٧١.

وقت مضى؛ لأنَّ الحياة العصريّة بتغيّراتها السَّريعة جعلت الفرد يشعر بالقلق والخوف، فالفرد الَّذي يتمتّع بصحّة نفسيَّة عالية؛ يكون أقدر على ضبط نفسه وانفعالاته.

وقد كان النَّبيُّ ﷺ كثيراً ما يستعيذ ممّا يكدّر النَّفس ويُذهب سرورها، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: **اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ، وَالْبُخْلِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ**»(١).

لذا يجب على المربّي أن يجعل ضمن أهدافه في البناء النَّفسيّ إشباع الحاجات النَّفسيّة؛ كالحاجة إلى التَّقدير والاحترام، والحاجة إلى الأمن، وغيرها من الحاجات المهمّة للبناء النَّفسيّ.

وكذلك توجيه العواطف وإشباعها، والسموّ بها، وكذلك الوقاية من الاضطرابات النَّفسيّة، إلى غير ذلك من الأهداف الَّتي تحقّق الاستقرار والصحّة النَّفسيّة.

ويمكن بناء الجانب النَّفسيّ بوسائل متعدّدة منها: العدل في التَّعامل مع المتربّين؛ لأنَّ عدم العدل يولّد الحقد والكراهية فيما بينهم، وكذلك مراعاة مشاعرهم، واحترام آرائهم، وبناء الثِّقة بأنفسهم، وذلك بتشجيعهم والثناء عليهم وتكليفهم من العمل ما يطيقون، وكذلك تحسين نظرتهم لذواتهم، وذلك من خلال قاعدة (رأي المربّي في المتربّي له أثر على شخصيّته).

٧ ـ الجانب الدَّعويّ:

الجانب الدَّعويّ جانب مهمّ في بناء شخصيَّة المسلم، والدّعوة بشروطها وأركانها هي الَّتي أُرسل لأجلها المرسلون، وكُلِّف بها الدُّعاة؛ لإحقاق الحقّ، ونشر العدل والرّحمة بين العباد ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

---

(١) محمّد بن إسماعيل البخاريّ: صحيح البخاري، مرجع سابق، باب من غزا بصبيّ للخدمة، رقم (٢٨٩٣)، ص٥٦٥.

وحامل الدّعوة ومبلّغها أحسن النّاس بشهادة الحقّ سبحانه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣].

إنَّ على المربّين أن يقوموا بإعداد من تحت أيديهم ليكونوا دعاة مؤهَّلين؛ وذلك بتنمية خبراتهم الدّعويّة وتدريبهم من النّاحية العمليّة؛ ليتكامل الجانب المعرفيّ والعمليّ في بنائهم الدّعويّ.

وبذلك يكون من أهداف المربّي في هذا الجانب تنمية الشّعور بالمسؤوليَّة الدّعويّة، وتنمية المبادرة الفرديّة، وإحياء الغيرة على محارم الله ﷻ، وتنمية المهارات الدّعويّة، كمهارة الإقناع، والحوار، والجدال بالَّتي هي أحسن، ومهارة الإلقاء، والخطابة، إلى غير ذلك من الأهداف الَّتي ترتقي بالجانب الدّعويّ لدى المتربّين.

ومن الوسائل الَّتي يمكن أن يستخدمها المربّي في بناء هذا الجانب؛ إلقاء بعض الكلمات والمواعظ في التّذكير بفضل الدّعوة إلى الله وآثارها، واستعراض السّيرة النّبويّة، فهي تمثّل الجانب التّطبيقيّ للدّعوة إلى الله، ودراسة سِيَر الأنبياء والدّعاة السَّابقين، ودراسة الواقع، والتَّعرّف على حجم الانحراف وقدره، والتَّعرّف على مجالات الدّعوة ووسائلها الحديثة.

٨ ـ الجانب الجسمي:

«إنَّ العناية بالنَّواحي الجسميّة بتنميتها وحمايتها أمر ضروريّ لتكوين إنسان متكامل يؤدّي مهمّته على أكمل وجه، ولا يمكن الفصل بين التَّربية الجسميّة وغيرها من جوانب التَّربية الأخرى، فهي مترابطة»[(١)]، فالمتربّي ضعيف الجسم، سقيم البدن لا يمكن أن يستعمل عقله استعمالاً صحيحاً كاملاً ولو كان راجح العقل.

إنَّ ضعف الجسد يؤدّي إلى انخفاض القدرة على أداء العمل والعبادة

(١) عبد الله بن فهد السّلوّم: في ظلال التَّربية، الرّياض، دار المسلم، ١٤٢٥هـ، ص٢٦.

والتَّفكير، وفي المقابل فإنَّ القدرة الجسديّة والصحيَّة من العوامل الهامّة لزيادة كفاءة المتربّي؛ ذلك أنَّه لا يستطيع تحقيق آماله وأحلامه غالباً إلَّا بها.

ويمكن تنمية الجانب الجسميّ باتّباع القواعد الصَّحيحة في المأكل والمشرب كما علّمنا ديننا الحنيف، وكذلك الإرشاد والتَّوعية بأهميّة النَّظافة والطَّهارة، والوقاية من الأمراض الجسميّة والنّفسيّة وعلاجها، كما ينبغي توعية المتربّي وتثقيفه بمسبّبات الأمراض الخطيرة وكيفيّة الوقاية منها.

* * *

وبعد هذا العرض الموجز لأهمّ جوانب البناء في شخصيَّة المتربّي؛ يجدر بالمربّين والآباء والمعلّمين الَّذين يحرصون على تنشئة هذا الجيل بكلّ المقوّمات أن يراعوا في خططهم وأهدافهم التَّربويَّة تلك الجوانب؛ لإخراج أجيال تحمل همّ الإصلاح والنّهوض بالأمّة الإسلاميَّة إلى مصاف التقدّم والازدهار.

منهجيّة التَّربية الجماعيَّة

إنَّ أيّ عمل لا يقوم على منهجيّة محكمة مصيره التَّلاشي والاضمحلال، لذا فإنَّ منهجيّة التَّربية الجماعيَّة ينبغي أن تُبنى على أُسس راسخة مستنبطة من الكتاب والسنَّة.

وإغفال الالتزام بهذه المنهجيّة، له أثر واضح في سلوك المتربّين؛ ممَّا قد يسبّب فقدان التَّوازن والنّضج في شخصيّاتهم.

وما سبق ذكره في هذا الفصل كان بياناً لصفات المربِّي، وما يتعلّق بشخصيّته، وكذلك المتربّي وأحواله، وكيفيّة بنائه.

لكن؛ ما المنهجيّة الَّتي سيتبعها المربِّي في تربيته وتأسيسه للمتربّين؟

إنَّ جميع تصاريف كلمة (منهج) تدلّ على أنَّ معناها الطّريق الواضح البيّن للغاية المقصودة(١).

ويمكن تعريف المنهج التَّربويّ، بأنَّه: الأصول والقواعد التَّربويَّة الَّتي يجب على المربِّي أن يراعيها لضبط مسلكه التَّربويّ، وإرشاده في طريقه، للتوصّل إلى التَّربية المنشودة.

وعلى ضوء هذا التَّعريف، سأحاول استنتاج منهجيّة التَّربية الجماعيَّة دون الخوض في التَّفاصيل، وذلك من خلال النّقاط التَّالية:

١ ـ الانطلاق من خطط مدروسة وأهداف واضحة:

«إنَّ الارتجال والعمل العشوائي لم يعد مجدياً في عصر يعتمد على البناء

---

(١) انظر: الفيروزآبادي: القاموس المحيط، د.ط، بيروت، دار الفكر، ١٤١٥هـ، ص١٩٠.

العلميّ والمنهجيّ حتّى في المشروعات الشّخصيَّة المحدودة؛ فكيف ببناء الأجيال ورعايتها؟»[١].

وهذا يعني عدم ترك المربّي ليحقّق من الأهداف ما تميل إليها نفسه، أو تتفق معها طبيعته!

ولو تأمّل المربّون منهجيّة الدّعوة منذ البعثة النّبويَّة؛ لوجدوا أنّها كانت تسير ضمن عمليَّة محكمة في البناء والتّخطيط.

«على أنَّ التَّخطيط للدّعوة في عصر النبوّة بدأ من المنطلق الاستراتيجي الإحكامي البعيد المدى مثل ما حصل في مرحلة الدّعوة السريّة، ومرحلة الدّعوة الجهريّة، وبوضع خطط ذات أهداف بعيدة تمكّن من بناء قاعدة صلبة، وإيجاد منطلقات آمنة للدّعوة، وتمهيد الطَّريق لإقامة الكيان الإسلامي عبر آليّات فاعلة، والاستفادة من الظّروف والإمكانات المتاحة، وتوظيفها بشكل جيّد ودقيق في التأثير السّريع على مجريات الأحداث»[٢].

لذا يجب على المؤسّسات والمحاضن التّربويَّة أن تولي تحديد الأهداف وصياغتها، والتَّخطيط المتقن لضمان الوصول إليها عناية بالغة، وأن لا تجعل ذلك نتاج خواطر عابرة، أو عصف ذهني على عجل، بل لا بُدَّ أن تكون نتاج دراسة عميقة يتاح لها جهد يتلاءم مع أهميّتها، وذلك بإمعان النَّظر في جوانب الشَّخصيَّة المختلفة، والمرحلة العمريّة وخصائصها واحتياجاتها، والظّروف المحيطة بالواقع التّربويّ... إلى غير ذلك.

«إنّنا بحاجة إلى إيجاد نظريّة تربويّة متكاملة تتلاءم مع المهمّة الَّتي يعدّ لها جيل الصّحوة، وبحاجة إلى رسم صورة واضحة للمنتج التَّربويّ الّذي نسعى إلى تحقيقه»[٣].

---

(١) محمَّد بن عبد الله الدويش: الصّحوة والتّربية المنشودة، الرّياض، دار طيبة، ١٤٢٠هـ، ص٤٣.

(٢) محمَّد أمحزون: منهج النَّبيّ ﷺ في الدّعوة من خلال السّيرة الصّحيحة، مرجع سابق، ص١٠٩.

(٣) محمَّد بن عبد الله الدويش: الصّحوة والتّربية المنشودة، مرجع سابق، ص٤٤.

٢ ـ التَّدرّج وفقه الأولويّات:

التّدرّج سنّة كونية، وشرعيّة؛ لأنَّها تتوافق مع الفطرة الَّتي فطر الله النَّاس عليها.

وعند النَّظر إلى المعنى اللُّغويّ للتَّربية نجد أنَّ من معانيها التدرّج، «فالتَّربية جهود تراكميّة، يرفد بعضها بعضاً، والزّمن واضح في قولهم: تربّى، وتنشأ، وتثقّف، فالتّنشئة والتّغذية والتّثقيف لا تكون أبداً طفرة ومرّة واحدة، وإنَّما تتمّ على مراحل متتالية...»[١].

وقد كان التَّشريع الربّانيّ يراعي التدرّج؛ حيث خوطب النَّاس بالأهمّ فالأهمّ، فكان التأكيد على تحقيق التَّوحيد أوّلاً، ثمَّ الفرائض، ثمَّ سائر الشَّرائع والأحكام. تقول عائشة رضي الله عنها عن القرآن: «إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ سُورَةٌ مِنَ الْمُفَصَّلِ فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الإِسْلَامِ؛ نَزَلَ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ، وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ لَا تَشْرَبُوا الْخَمْرَ؛ لَقَالُوا: لَا نَدَعُ الْخَمْرَ أَبَداً، وَلَوْ نَزَلَ لَا تَزْنُوا؛ لَقَالُوا: لَا نَدَعُ الزِّنَا أَبَداً...»[٢].

وكذلك النَّبيُّ ﷺ في تربيته لأصحابه، فقد كان من منهجه التّدرّج ومراعاة الحال. عن جُنْدُبِ بن عبد الله رضي الله عنه قال: «كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ[٣]، فَتَعَلَّمْنَا الإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ؛ فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَاناً»[٤].

«كم نستعجل أحياناً في تعليم القرآن (حفظه) للأبناء والتَّلاميذ قبل تثبيت

---

(١) عبد الكريم بكّار: حول التَّربية والتَّعليم، دمشق، دار القلم، ١٤٢٢هـ، ص١٠.

(٢) محمَّد بن إسماعيل البخاريّ: صحيح البخاري، مرجع سابق، باب تأليف القرآن، رقم (٤٩٩٣)، ص٩٩٣.

(٣) حزاورة: جمع حزور، وهو الَّذي قارب البلوغ.
ابن الأثير: النِّهاية في غريب الحديث، د.ط، بيروت، المكتبة العلميّة، د.ت، ١/ ٣٨٠.

(٤) ابن ماجه: سنن ابن ماجه، مرجع سابق، باب الإيمان، رقم (٦٠)، ص٢٥.

الإيمان في نفوسهم، كم رأينا ممَّن قارب إتمام القرآن حفظاً فانقطع وتغيّر سلوكه؛ لأنَّ بناء الإيمان لم يتزامن مع الحفظ»(١).

والحكمة من التدرّج هي أنَّ النّفوس طبعت على استثقال التّكاليف، كما طبعت على صعوبة ترك ما ألفته من الشّهوات، «فإذا نقلت النّفس من حال إلى حال، ومن حكم إلى حكم؛ كان ذلك أدعى للاستجابة، وأسهل لترك المحرّمات وفعل الطّاعات»(٢).

لذا يجب على المربّي أن يتدرّج مع المتربّين، وأن يراعي أحوالهم، ومن ذلك تربيتهم بصغار العلم قبل كباره.

وهكذا كانت طريقة الربّانيّين الّذين امتدحهم الله فقال: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران: ٧٩]، قال السّعديّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ربّانيين؛ أي: علماء حكماء معلّمين للنّاس ومربّيهم بصغار العلم قبل كباره، عاملين بذلك»(٣).

ومن التدرّج ومراعاة أحوال المتربّين إعطاء كلّ مرحلة عمريّة ما يناسبها من العلم والتّربية؛ «فإنَّ لكلّ مرحلة عمريّة درجة من النّضج، يصعب تجاوزها، كما أنَّ لها مشكلات لا يمكن حلّها إلّا على نحو جزئي، ولذا فإنَّ العجلة هي العدوّ الأوّل للتّربية... هناك جوانب عديدة في شخصيّاتنا، لا ينضجها إلّا الزّمن»(٤).

٣ ـ الشّمول والتّكامل:

كثيراً ما يتحدّث المربّون عن التّكامل في التّربية؛ باعتباره من خصائصها

---

(١) إبراهيم بن صالح الدّحيم: أساليب نبويّة في التّربية والتّعليم، البيان، مرجع سابق، العدد ٢٠٩، (المحرّم ١٤٢٦هـ)، ص٣٢.
(٢) عدنان العرعور: منهج الدّعوة في ضوء الواقع المعاصر، مرجع سابق، ص٢٤٩.
(٣) عبد الرّحمٰن بن ناصر السّعديّ: تيسير الكريم الرّحمٰن في تفسير كلام المنّان، مرجع سابق، ص١٢٠.
(٤) عبد الكريم بكّار: حول التّربية والتّعليم، مرجع سابق، ص٥٠.

وسماتها، وعند الانطلاق إلى الواقع العمليّ نجد أنَّ هذا المفهوم يكاد ينحصر في جانب التديّن، والجانب العلميّ أحياناً، مع إهمال الجوانب الأخرى في الشَّخصيَّة.

«ومن هنا؛ فالحديث عن بناء القدرات العقليّة ومهارات التَّفكير لدى الفرد، والمهارات الاجتماعيَّة، والصحّة النَّفسيَّة... إلخ الحديث عن هذه الجوانب في التَّربية الدعويّة لا زال نادراً؛ فضلاً عن الاعتناء بذلك في التَّطبيق والممارسة»[١].

وبذلك يتبيّن أنَّ من الشّمول والتّكامل في التَّربية، بناء شخصيَّة المتربّي من جميع الجوانب، وعدم الاقتصار على بعض الجوانب.

ومن الشّمول والتّكامل في التَّربية؛ عدم الاكتفاء باللّقاء الجماعيّ وما يقدّم فيه من أنشطة، بل يجب متابعة كلّ متربٍّ متابعة فرديَّة؛ في قراءته الذاتيّة، وبرامجه الَّتي يمارسها خارج نطاق المجموعة، كما يجب الوقوف إلى جانبه ومساعدته في حلّ مشكلاته.

ومن الشّمول والتّكامل في التَّربية؛ عدم قصر المتربّين على مبادئ خاصّة وأصول منتقاة من الدِّين، وترك الباقي، بل الواجب التَّربية على جميع المقاصد ولو على سبيل الإتيان بالحدّ الأدنى.

«أمَّا الاجتزاء، والانتخاب وفق ترتيب لم يأذن به الله، وليس عليه أمر رَسُولِ الله ﷺ فنوع من العدوان والبدعة، وسبب لحصول الاختلاف والفُرقة، كما قال تعالى عن النّصارى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾ [المائدة: ١٤]، والمراد بالنّسيان هنا ترك العمل ببعض ما أمروا به»[٢].

---

(١) محمَّد عبد الله الدويش: التّكامل في التَّربية بين مفهومين، البيان، مرجع سابق، العدد ٢٠٤، (شعبان ١٤٢٥هـ)، ص٣٢.

(٢) أحمد القاضي: معالم في البناء التَّربويّ، البيان، مرجع سابق، العدد ٢٠٣، (رجب ١٤٢٥هـ)، ص٣٠.

٤ ـ مراعاة الاختلاف والتنوّع:

الاختلاف والتنوّع بين الخلق سُنّة من سنن الله؛ فإنّ الله قسم الأخلاق كما قسم الأرزاق، وإن كان من منهجيّة التّربية الجماعيَّة الشّمول والتّكامل؛ فإنّ ذلك لا يكون على حساب الاختلاف والتنوّع؛ وذلك بأن يظهر الشّمول والتّكامل في شخصيّات المتربّين بنسب متفاوتة، كما يظهر في عموم الأمَّة؛ ملبّياً كافّة المطالب.

وبهذا يتبيّن أنّه: «سائغ شرعاً، وواقع قدراً، أن يُفتح على شخص في باب، ويقصر في غيره، لكن مع الإتيان بالحدّ الأدنى من المأمور»[(١)].

وقد كان من منهج سلفنا الصّالح ـ رحمهم الله ـ مراعاة ذلك الاختلاف والتنوّع، ومن الأمثلة على ذلك ما كتبه الإمام مالك ﷺ لأحد أصحابه بعد أن تلقّى منه رسالة يحثّه فيها على الانفراد والعمل قائلاً: «إنّ الله قسَم الأعمال كما قَسَم الأرزاق، فربّ رجل فُتح له في الصّلاة ولم يُفتح له في الصّوم، وآخر فتح له في الصّدقة ولم يفتح له في الصّوم، وآخر فُتح له في الجهاد، فنشر العلم من أفضل أعمال البرّ، وقد رضيت بما فُتح لي فيه، وما أظنّ ما أنا فيه بدون ما أنت فيه، وأرجو أن يكون كلانا على خير وبرٍّ»[(٢)].

ومن تأمّل في حال الصّحابة الكرام رأى هذا التنوّع والاختلاف، «فمن كأبي بكر الصدّيق ﷺ في بذله وثباته ورسوخ إيمانه؟ ومن عبقريّ كعمر بن الخطّاب ﷺ يفري فريه، يسوس النّاس؟ ومن كعثمان بن عفّان ﷺ في بذله وإنفاقه؟ ومن كعليّ بن أبي طالب ﷺ في شجاعته وإقدامه؟ ومع ذلك فإنّ الفضل الخاصّ لا يقضي على الفضل العامّ»[(٣)].

وقد كان الرّسولُ ﷺ يستثمر هذا التنوّع والاختلاف في شخصيّات

---

(١) أحمد القاضي: معالم في البناء التّربويّ، البيان، مرجع سابق، ص٣٠.

(٢) محمّد بن أحمد الذّهبيّ: سير أعلام النّبلاء، ط٢، بيروت، مؤسسة الرّسالة، ١٤٠٢هـ، ٨/ ١١٤.

(٣) أحمد القاضي: معالم في البناء التّربويّ، البيان، مرجع سابق، العدد ٢٠٣، (رجب ١٤٢٥هـ)، ص٢٩.

أصحابه، ويضعه في مكانه الأمثل؛ فأنتجت تربيته جيلاً فريداً، متعدّد المواهب والمَلكَات.

فمن واجب المربّين استثمار القيمة الإيجابيّة للاختلاف والتنوّع، وهذا ما يعبّر عنه بعدم التَّجانس بين أفراد المجموعة، وله مزايا عديدة، منها: «التوسّع في التَّفكير، ومزيد من تبادل الشّروحات، ومزيد من التطرّق إلى أبعاد أخرى عند مناقشة المادّة، وهذه كلّها تعمّق الفهم ونوعيّة التَّفكير، وصحّة المعلومات المحفوظة لمدّة طويلة»[١]، وسيأتي مزيدٌ من البيان لذلك في الفصل السَّادس بإذن الله تعالى عند ذكر خصائص المجموعة الفعّالة.

ومن مراعاة التنوّع والاختلاف؛ مراعاة قدرات وإمكانات المتربّين الشَّخصيَّة، وهذا ما يعبّر عنه بمراعاة الفروق الفرديّة، «إذ تجد بعض المربّين يخطئ حين يريد أن يجعل من المتربّين نسخة طبق الأصل منه، أو من قدوة يرتسمها، أو يريد أن يجعلهم نسخاً واحدة متماثلة!! وحين يسير المربِّي على هذه الطريقة؛ فإنَّه سيحكم عليهم بالإخفاق لمجرّد أنَّهم لم يصلوا إلى الحدّ الَّذي قدّره لهم؟!»[٢].

٥ ـ الموازنة بين العلم والتَّربية والدّعوة:

يعتقد بعض النَّاس أنَّ هناك تعارضاً بين العلم والتَّربية والدّعوة، ففئة تميل لطلب العلم وتنادي بالتفرّغ والانقطاع التامّ له حتَّى بلوغ المنتهى، ومن ثمّ دعوة النَّاس وتربيتهم، وفئة أخرى تستحثّ الهمم للدّعوة إلى الله، وترى أنَّ مشكلات المسلمين اليوم عديدة، وتحتاج إلى حشد الطَّاقات وجمع الجهود، وأنّ التفرّغ لطلب العلم يعطّل كثيراً من هذه الطّاقات، وثالثة تدعو لتزكية النّفس وتربيتها وبنائها أوّلاً!!

(١) ديفيد جونسن وآخرون: التعلُّم التَّعاوني، ترجمة مدارس الظّهران الأهليّة، الدمّام، دار الكتاب التَّربويّ، ١٤١٦هـ، (٢: ٦).

(٢) إبراهيم بن صالح الدحيم: من أجل تربية أفضل، البيان، مرجع سابق، العدد ٢٠٢، (جمادى الآخرة ١٤٢٥هـ)، ص٢٧.

والصَّواب أنَّ كلاًّ من العلم والتَّربية والدّعوة مطلب مهمّ لبناء شخصيَّة المتربّي، فبالعلم يُعبد الله على الوجه الصَّحيح، ويُعرف الحقّ من الباطل، والحلال من الحرام، وبالتّربية تزكو النَّفس، ويتمّ بناؤها، وبالدّعوة يُرفع الجهل وينتشر العلم، ويُزال المنكر.

والمتأمّل سيرة النَّبيّ ﷺ يجد أنَّه بُعث معلِّماً للنَّاس ومربِّياً لهم، وفي ذات الوقت داعياً إلى الله على صراط مستقيم، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾ [الجمعة: ٢]. وقال سبحانه مخاطباً نبيّه ﷺ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥].

فلا تعارض ولا تضادّ ولا تقديم ولا تأخير، إنَّما يحتاج الأمر إلى شيء من الاعتدال والتّوازن، وأن لا يطغى جانب على جانب.

فالموازنة في ذلك منهج نبويّ، وقد كان ﷺ يربّي أصحابه على الاعتدال والتّوازن، وينهاهم عن الإفراط والتّفريط.

يقول الإمام الشّاطبيّ ـ رحمه الله تعالى ـ: «والشّريعة جارية في التّكليف بمقتضاها على الطّريق الأوسط الأعدل، الآخذ من الطّرفين بقسط لا ميل فيه»(١).

ولا تعني الموازنة هنا أن تتحقّق هذه الأمور ـ العلم والتّربية والدّعوة ـ في جميع المتربّين بالتّناصف والتّساوي؛ أي: أن يعطوا جميعاً من العلم والتّربية والدّعوة، ولكن يعطى كلّ متربٍّ ما يناسب شخصيّته، ويصلح له مع الحدّ الأدنى من الأمرين الآخرين.

فحين لا يوجد لدى المتربّي الحماس والقدرة العالية لطلب العلم الشّرعيّ فلا أقلّ أن يعطى الحدّ الأدنى منه، ولا يحمل عليه بما يبدّد طاقته، بل يجب صرف طاقته وجهده إلى ما يحسنه، يقول ابن القيّم رحمه الله: «وممّا

(١) أبو إسحاق الشّاطبيّ: الموافقات في أصول الشّريعة، د.م، دار الفكر العربي، د.ت، ٢/١٦٣.

ينبغي أن يتعمّد حال الصَّبيّ وما هو مستعدّ له من الأعمال، ومهيأ له منها، فيعلم أَنَّه مخلوق له، فلا يحمل على غيره، وما كان مأذوناً فيه شرعاً، فإنَّه إن حمله على غير ما هو مستعدّ له لم يفلح، وفاته ما هو مهيأ له»(١).

٦ ـ الوعي والبصيرة:

«إنَّ الوعي والبصيرة بالواقع يعني حالة من اليقظة؛ تقتضي فهم الأشياء ومدلولاتها، وتجميع عناصرها السَّابقة، وربطها في محاولة لإدراك الكلّ، كما يعني استعداداً ذهنياً لاستيعاب الأحداث، والتَّفاعل معها بشكل صحيح»(٢).

وعليه؛ فإنَّ التَّربية الجماعيَّة لا غنى لها عن إدراك الواقع وفهمه واستيعاب أحداثه.

«وإنه ليلحظ في دعوات الأنبياء ﷺ أنَّهم كانوا يضيفون إلى دعوة التَّوحيد الدَّعوة إلى تصحيح انحرافات المجتمعات الأخلاقيّة والاقتصاديّة والسِّياسيّة... وغير ذلك، كلّ بحسب ما كان في واقعه وانتشر في مجتمعه، فموسى ﷺ يحارب الطّغيان السّياسيّ، وشعيب ﷺ يحارب الفساد الاقتصاديّ، ولوط ﷺ يحارب الانحراف الأخلاقي... وهكذا»(٣).

ولقد كان النَّبيُّ ﷺ يتعامل مع واقعه تعامل الخبير الفاحص؛ لم يكن يجهل تحرّكات الأعداء، ولذا كانت استعداداته مبكّرة، وغزواته تشهد بذلك.

إنَّ تجاهل المربّي لواقع المتربّين وما يدور في مجالسهم لا سيَّما تلك المستجدّات الَّتي فتحت عليهم عبر وسائل الإعلام والتّقنية الحديثة للمعلومات يجعل المُربّي يقبع في واد والمتربّين في واد آخر.

وحتَّى لو ناقش ذلك المربّي مع من يربّيهم بعض المستجدّات وما يدور

---

(١) ابن قيِّم الجوزيَّة: تحفة المودود في أحكام المولود، بيروت، دار ابن حزم، ١٤٢١هـ، ص٢١٢.

(٢) محمّد يسري: معالم في أصول الدَّعوة، الرِّياض، سلسلة كتاب البيان، ١٤٢٤هـ، ص٥٧.

(٣) المرجع السَّابق، ص٥٩.

في واقعهم فإنّك تجد نقاشه ضعيف التأثير؛ لخلوّه من العمق والتَّحليل الصَّحيح لمدلولات الأحداث ومسبّباتها.

وممَّا ينبغي على المربّي إدراكه؛ الوعي والبصيرة بالواقع التَّربويّ ومؤسساته ووسائله وأساليبه المتجدّدة، وكذلك الإمكانات المتاحة والطَّاقات المبذولة؛ لأنَّ امتلاك المُربّي رؤية صحيحة وواضحة لواقعه ومجتمعه، ومشكلاته وأساليب علاجه تحول دون الفوضى والتخبّط، وتسهم في اتّخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب.

وكذلك الوعي والبصيرة بأحوال المتربّي وطباعه الشَّخصيَّة، وخصائصه العمريّة، وما يتعلّق ببيئته ومجتمعه الَّذي يعيش فيه.

وممَّا ينبغي إدراكه أيضاً؛ أنَّ الوعي والبصيرة بالواقع لا يختصّ بالمربّي فحسب، بل يجب على المربّين أن يعملوا على تربية من تحت أيديهم على التَّعاطي مع الجوانب العمليّة والواقعيّة أيضاً.

٧ ـ الولاء للأمّة الإسلاميَّة وليس لطائفة أو جماعة معيّنة:

من منهجيّة التَّربية الجماعيَّة «أنَّ المسلمين أمّة واحدة؛ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ، وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ، كما يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ، لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لأَبْيَضَ عَلَى أَسْوَدَ إِلَّا بِالتَّقْوَى، وأساس وحدة الأمَّة: الإسلام، وتحكيم شريعته على منهج أهل السُّنَّة والجماعة وأصولهم القويمة»[1].

وعليه؛ فإنَّ التَّربية الجماعيَّة تعني أوَّل ما تعني الاعتصام بالسنّة، والمحافظة على الجماعة، قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

إذن فحبّ المجموعة الصَّغيرة الَّتي ينتمي إليها ويتربّى معها ينبغي ألّا يصل إلى حدّ الغلوّ الَّذي يؤدّي إلى انعدام الولاء العام لكلّ المسلمين، وهذا

---

(١) محمّد يسري: معالم في أصول الدَّعوة، مرجع سابق، ص٧٩.

أمر في غاية الخطورة؛ لأنَّ الإسلام يوجب موالاة المسلمين عموماً، و«إذا كان الولاء الخاصّ سيتحوّل إلى سبب في انعدام الولاء العام، فإنَّ هذا يشبه العصبيّة الجاهليّة الممقوتة الَّتي يحذّر منها الإسلام»[١].

وواجب المربّين في هذه الحالة؛ هو البيان لجميع المتربّين بما يجب عليهم من الحبّ في الله، والبغض في الله، وأنّ قضيّة الولاء والبراء ترتبط بالعقيدة، وليست مجرّد أدب من آداب السُّلوك.

وقد كان النَّبيُّ ﷺ يؤاخي بين أصحابه أخوّة خاصّة (المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار)، كما كان يدعو إلى الأخوَّة الإيمانيّة العامّة بين المسلمين جميعاً.

وتعدّ الدّعوة إلى مبادئ شيخ معيّن، واتّباع أحكامه وكأنّه معصوم، أو الدّعوة إلى أشخاص أو رموز، مع التَّغافل عن المنهج من الأخطاء الَّتي تنافي قاعدة الولاء للأمّة الإسلاميَّة وليس لطائفة أو جماعة معيّنة.

ومن جميل ما يُحتجّ به في هذا المقام: ما حدث في غزوة أُحد عندما وقف أبو سفيان فقال: أَفِي الْقَوْمِ مُحَمَّدٌ؟... أَفِي الْقَوْمِ أبو بكر؟... أَفِي الْقَوْمِ عمر؟... فقال الرَّسولُ ﷺ: **«لَا تُجِيبُوهُ»**، ثُمَّ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: اعْلُ هُبَلُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«أَلَا تُجِيبُونه؟»**[٢]. قَالُوا: يَا رَسُولَ الله! مَا نَقُولُ؟ قَالَ: **«قُولُوا: اللهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ»**.

«فانظر؛ لمّا قال أبو سفيان: أفيكم محمّد؟.. أفيكم أبو بكر؟.. أفيكم عمر؟.. نهى رَسُولُ الله ﷺ عن إجابته، لمّا قال: «اعْلُ هُبَلُ»، قال النَّبيُّ ﷺ: **«أَلَا تُجِيبُونَه»**، والسرّ في ذلك؛ أنَّ أبا سفيان لمّا تعرّض للأشخاص؛ أمر النَّبيُّ ﷺ بعدم إجابته؛ لأنَّ بقاء الإسلام لا يتعلّق ببقاء الأعيان، ولمّا تعرّض

---

(١) عبد الوهاب الديلمي: العمل الجماعي محاسنه وجوانب النَّقص فيه، صنعاء، مكتبة الإرشاد، ١٤١٨هـ، ص٥٨.

(٢) محمَّد بن إسماعيل البخاريّ: صحيح البخاري، مرجع سابق، باب ما يكره من التّنازع في الحرب، رقم (٣٠٣٩)، ص٥٨١.

للتَّوحيد بقوله: «اعْلُ هُبَلُ» أمر النَّبيُّ ﷺ بإجابته: «اللهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ»(١).

ومن الأخطاء أيضاً حصر التَّربية في جزئيّة معيّنة من الدِّين، وذلك ما يقوم به بعض المربّين من الاهتمام بجزء من الدِّين وجعله محور تربيته، لا يلتفت إلى غيره، مع الإغضاء التامّ عن حال المتربّي وحاجاته.

وأشنع من هذا؛ من يوالي أو يعادي على تلك الجزئيّة أو الطَّريقة الَّتي هي في الأصل ممّا يسوغ فيه الاختلاف، فتجده يأمر بهجر المخالف ومقاطعته والتَّحذير منه، جاعلاً ذلك ديناً يدين الله ﷻ به.

خلاصة:

تناول هذا الفصل أركاناً رئيسة من أركان التَّربية الجماعيَّة، المُربِّي، المتربّين، المنهجيَّة. وبعض جوانب المادَّة (المنهج)، وقد تمَّ فيه معرفة صفات المُربِّي الفعَّال، والجوانب المكوّنة لشخصيَّة المُتربِّي، والمنهجيَّة الَّتي تُدار بها العمليَّة التَّربويَّة.

ولكن هذه الأركان تظلُّ عاجزةً عن التَّأثير والبناء، ما لم يكن هناك تناغم وانسجام بينها، ولا يكون ذلك إلَّا باستخدام أساليب تربويَّة تتناسب والموقف الَّذي يقتضيه الحال.

وهذا ما سيتناوله البحث في فصله القادم بإذن الله.

---

(١) عدنان العرعور: منهج الدّعوة في ضوء الواقع المعاصر، مرجع سابق، ص٢٥٧.

الفصل الخامس

أساليب التَّربية الجماعيَّة

تمهيد.

مفهوم الأسلوب.

الأسلوب في القرآن الكريم والسنّة النّبويّة.

في ذكر أهمّ أساليب التّربية الجماعيّة.

تمهيد

يعدُّ الأسلوب أحد الأركان المهمَّة للتَّربية الجماعيَّة، «ولم يبعد النُّجعة من عزى للمادَّة والمنهج نصف النَّجاح، وللأسلوب النّصف الآخر»[١].

فإذا وُجِدَ المُربّي الكفء، والمادَّة الصَّحيحة، وكانت المنهجيَّة السَّليمة بقواعدها وضوابطها، إلَّا أنَّ المُربّي لم يُوفَّق للأسلوب الأمثل، فإنَّه لن يُكتب له النَّجاح في تربيته وتوجيهه، وسيكون مُنفِّراً للمُتربِّين رغم صحَّة منهجه.

فرُبَّ كلمة طيِّبة كان لها وقع في النَّفْس أكثر من حديث ساعة. يقول المصطفى ﷺ: «**الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ**»[٢].

وما مثل الأسلوب الحسن إلَّا كمثل الملاط الَّذي يتخلّل البنيان، ويتغلغل فيه فيزيد من تماسكه وصلابته.

وإذا كان الحديث عن أساليب التَّربية الجماعيَّة فإنَّه من المهمّ والمهمّ جدّاً إدامة النَّظر والتَّأمّل في الأساليب النَّبويَّة التَّربويَّة؛ لأنَّ الله بعث نبيّه محمَّداً ﷺ معلِّماً ومزكّياً، ولأنّ تربيته ﷺ لأصحابه مرَّت بمختلف الظُّروف والأحوال الَّتي يمكن أن يمرّ بها مربٍّ في أي زمان ومكان، ولأنَّهُ ﷺ قد أوتي الكمال البشريّ، وعُصم من الخطأ الَّذي يقدح في تبليغه للدَّعوة.

ويمكن عرض هذه الأساليب بشيء من التَّفصيل على النَّحو التَّالي:

---

(١) عدنان العرعور: منهج الدّعوة في ضوء الواقع المعاصر، مرجع سابق، ص٢٧٧.

(٢) محمَّد بن إسماعيل البخاريّ: صحيح البخاري، مرجع سابق، باب من أخذ بالرّكاب ونحوه، رقم (٢٩٨٩)، ص٥٧٣.

مفهوم الأسلوب

١ ـ المعنى اللُّغويّ للأسلوب:

الأُسلوب بضمّ الهمزة: هو الطَّريق، وهو الفنّ، ولذا يقال: هو على أسلوب من أساليب القوم؛ أي: على طريق من طرقهم[١].

وقال ابن منظور: هو «الطَّريق، والوجه، والمذهب، والفنّ، يقال: أخذ فلان في أساليب من القول؛ أي: أفانين منه»[٢].

والأساليب: هي الفنون المختلفة[٣].

٢ ـ المعنى الاصطلاحيّ للأسلوب:

الأُسلوب: «هو الطَّريقة الكلاميّة الَّتي يسلكها المتكلّم في تأليف كلامه واختيار ألفاظه»[٤].

وقيل: إنَّ الأسلوب: «هو طريقة التَّعبير، أو طريقة الكتابة، أو طريقة الإنشاء، أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتَّعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتّأثير»[٥].

---

(١) محمَّد بن أبي بكر الرَّازي: مختار الصِّحاح، (د.ط)، جدّة، دار القبلة للثّقافة الإسلاميَّة، ١٤٠٦هـ، ص٣٠٨.

(٢) ابن منظور: لسان العرب، مرجع سابق، ٣١٩/٦.

(٣) الرَّاغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، مرجع سابق، ص٢٣٨.

(٤) محمَّد عبد العظيم الزّرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن، (د.ط)، بيروت، دار إحياء التراث، د.ت، ص١٩٩.

(٥) أحمد الشَّايب: الأسلوب «دراسة بلاغيّة تحليليّة لأصول الأساليب الأدبيّة»، ط٧، القاهرة، مكتبة النّهضة، ١٣٩٦هـ، ص٤٤.

والأسلوب الحسن: «هو أن يكون الحديث ملائماً لأفهام النَّاس ومداركهم، فتكون الفكرة واضحة، والكلمة فصيحة، والعبارة متناسقة، والتَّركيب قويّاً، ويكون هناك انسجام بين اللُّغة والمعنى، وسلاسة وإبداع في الأسلوب؛ ممَّا يحدث أثراً جماليّاً في النَّفس»(١).

يلاحظ أنَّ التَّعريفات السَّابقة ركّزت على اللَّفظ وأهملت الفعل، مع أنَّ الفعل قد يختلف من شخص لآخر في الشيء الواحد. فالابتسامة أثناء الحديث فعل، وهي داخلة في الأسلوب أيضاً.

ويعرّف الأسلوب التَّربويّ بأنَّه: «الإجراء المحدّد لنقل المعلومات أو المعارف أو المهارات أو الاتّجاهات والقيم بهدف تحقيق هدف تربويّ مرغوب فيه»(٢).

---

(١) حمد بن ناصر العمّار: أساليب الدّعوة الإسلاميَّة المعاصرة، الرّياض، دار إشبيليا، ١٤١٦هـ، ص٣٠.

(٢) علي مصطفى أبو العينين: القيم الإسلاميَّة والتَّربية، المدينة المنوّرة، مكتبة إبراهيم حلبي، ١٤٠٠هـ، ص١٣٠.

الأسلوب في القرآن الكريم، والسنَّة النَّبويّة

١ ـ الأسلوب في القرآن الكريم:

لقد جاء القرآن سهل الأسلوب، واضح المعنى، ليس فيه تعقيد ولا غموض، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القمر: ١٧].

وأمّا عن الأسلوب في القرآن فيتنوّع «فتجد فيه التّقرير الصّارم، والأمر الجازم، في الوقت الّذي تستمتع فيه بالقصص المؤثّرة، والأمثال المعبّرة، وتسمع منه الأخبار الماضية، والأحكام المحكمة، والأنباء القادمة... ثمّ يفاجئك بفتح ناظريك على المشاهد المستقبلة من صور يوم القيامة، ومناظر من الجنّة والنّار كأنّك تراهما رأي العين..، وتلفي فيه الحوار الممتع، والمناظرة المفحمة، في الوقت الّذي يعجّ بالحجج العقليّة، والمؤثّرات العاطفيّة»[1].

كلّ ذلك بأسلوب يجعل النّاظر فيه يتقلّب بين الخوف والرجاء، والقلق والطمأنينة، مراعياً الشّمول والتّوازن بإيقاع يتناسب مع الخلق جميعاً. فمن لم يتأثّر بالتّرغيب تأثّر بالتّرهيب، ومن لم يتحرّك قلبه تحرّك عقله للاستجابة، قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الزمر: ٢٣].

٢ ـ الأسلوب في السُّنَّة النَّبويّة:

وما يقال في هذا المبحث عن القرآن الكريم يقال عن السُّنَّة النَّبويّة،

(١) عدنان العرعور: منهج الدّعوة في ضوء الواقع المعاصر، مرجع سابق، ص٢٩٠.

فهذا أفصح الخلق وأوضحهم بياناً، وأقواهم حجّة، يتكلّم بأسلوب يفهمه جميع النَّاس.

وكان من أسلوبه ﷺ إذا تكلّم بالكلمة أعادها ثلاثاً لتفهم عنه؛ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُحَدِّثُ حَدِيثاً لَوْ عَدَّهُ الْعَادُّ لأَحْصَاهُ»[(١)].

ولما كان لحسن الأسلوب، والكلمة الطّيّبة، وطيب العشرة، الأثر الطيّب في حياة النَّاس؛ جاء التَّوجيه النّبويّ قائلاً: **«إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»**[(٢)]، فتنكير كلمة «شيء» تفيد العموم في كلّ قضيّة، ومع كلّ مخلوق، إنساناً كان أو حيواناً.

وقال ﷺ: **«تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ»**[(٣)].

وحذّر رَسُولُ اللهِ ﷺ من تنفير النَّاس بالأسلوب الفظّ، والتصرّفات السيئة، فقال ﷺ: **«إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ»**[(٤)]، قال هذا لمن أطال الصَّلاة، فما عساه يقول لمن يحقر النَّاس ويقسو عليهم، ويسيء الأسلوب والتّعامل في دعوته وتربيته؟

وقد كان الرَّسولُ ﷺ ينوّع في أسلوبه، فتارة يخاطب العقل، ومن ذلك ما أجاب به الشّابّ الَّذي استأذنه بالزّنا، فقال له ﷺ: **«أَتُحِبُّهُ لأُمِّكَ؟... أَفَتُحِبُّهُ لأُخْتِكَ؟...»** الحديث[(٥)]، وتارة يخاطب الوجدان، ومن ذلك ما كان عليه

---

(١) محمّد بن إسماعيل البخاريّ: صحيح البخاري، مرجع سابق، باب صفة النّبيّ ﷺ، رقم (٣٥٦٧)، ص٦٨٢.

(٢) مسلم بن الحجّاج النّيسابوري: صحيح مسلم، مرجع سابق، باب فضل الرّفق، رقم (٢٥٩٤)، ص١٠٤٣.

(٣) محمّد بن عيسى التّرمذيّ: سنن التّرمذيّ، مرجع سابق، باب ما جاء في صنائع المعروف، رقم (١٩٥٦)، ص٤٤٥.

(٤) محمّد بن إسماعيل البخاريّ: صحيح البخاري، مرجع سابق، باب تخفيف الإمام في القيام، رقم (٧٠٢)، ص١٤٨.

(٥) أحمد بن حنبل: المسند، مرجع سابق، رقم (٢٢١١٢)، ص٢٣٧.

الصَّلاة والسَّلام يقوله لأصحابه: «**إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ أُعَلِّمُكُمْ...**» الحديث[١]. وهل ثمّة عاطفة أبلغ من هذه؟ وتارة يعظ النَّاس وهو رافع الصّوت، محمرّ العينين كأنَّه منذر حرب، وتارة يثير الانتباه بسؤال أو لغز، وغيرها من الأساليب الَّتي جعلت من دعوته وتربيته ﷺ نموذجاً فريداً يُحتذى.

(١) محمَّد ناصر الدِّين الألباني: صحيح سنن أبي داود، مرجع سابق، باب كراهية استقبال القبلة عند قضاء الحاجة، رقم (٨)، ص١٤.

في ذكر أهمّ أساليب التَّربية الجماعيَّة

١ ـ التَّربية بالقدوة:

القدوة في اللُّغة: «الأسوة»[١]، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

لذلك اقتضت مشيئة الله سبحانه أن يجعل رسوله محمداً ﷺ نموذجاً بشريّاً يُقتدى به، حتَّى غدا قرآناً حيّاً يمشي على الأرض، وكأنّ المنهج الربّانيّ المتمثل في القرآن الكريم قد تحوّل «إلى بشر يترجم بسلوكه وتصرّفاته ومشاعره وأفكاره مبادئ ذلك المنهج ومعانيه»[٢].

ولقد كان رَسُولُ الله ﷺ يعلم جيّداً فائدة القدوة في التَّربية، ويعلم جيّداً مدى اهتمام أصحابه بالاقتداء به؛ لذلك كان يعتمد التَّربية في كثير من المواقف بفعله. روى الترمذيّ في سننه من حديث أبي طلحة قال: «شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ الْجُوعَ وَرَفَعْنَا عَنْ بُطُونِنَا عَنْ حَجَرٍ حَجَرٍ، فَرَفَعَ رَسُولُ الله ﷺ عَنْ حَجَرَيْنِ»[٣].

«إنَّ رَسُولَ الله ﷺ لم يتكلّم ببنت شفة؛ لأنَّ القدوة في مثل هذا الموطن هي الَّتي تتحدّث، لقد رفع رَسُولُ الله ﷺ عن إزاره، فإذا مقابل كلّ حجر يربطه الصَّحابيّ على بطنه حجرين على بطن رَسُولِ الله ﷺ، إنَّ لسان الحال يقول: إن كنتم تربطون حجراً فأنا أربط حجرين اثنين. تُرى لو كان

(١) محمَّد بن أبي بكر الرَّازي: مختار الصِّحاح، مرجع سابق، ص٥٢٥.
(٢) محمَّد قطب: منهج التَّربية الإسلاميَّة، مرجع سابق، ١/ ١٦٤.
(٣) محمَّد بن عيسى التِّرمذيّ: سنن التِّرمذيّ، مرجع سابق، باب ما جاء في معيشة أصحاب النَّبيّ ﷺ، رقم (٢٣٧١)، ص٥٣٤.

رَسُولُ الله ﷺ متكئاً على أريكته يأكل ويشرب والناس في الخندق يحفرون في جوع وبرد شديدين، أكان هذا الأمر هيّن على النّفوس»[١].

ومن أبرز المواقف الَّتي تجلّت فيها عظمة القدوة وما لها من تأثير بالغ في النّفوس، ما جاء في رواية البخاري لصلح الحديبية. عن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه قال: «... فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قَضِيَّةِ الْكِتَابِ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لأَصْحَابِهِ: **قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا**، قَالَ: فَوَاللهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ، حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا نَبِيَّ اللهِ! أَتُحِبُّ ذَلِكَ؟ اخْرُجْ ثُمَّ لَا تُكَلِّمْ أَحَداً مِنْهُمْ كَلِمَةً، حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ، وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ، فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَداً مِنْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ؛ نَحَرَ بُدْنَهُ، وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا فَنَحَرُوا، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضاً حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضاً غَمّاً»[٢].

يتبيّن ممّا سبق أنَّ القدوة أحياناً تعمل ما لا يعمله الأمر أو النّهي.

إنَّ القدوة بمثابة رسائل خفيّة تنبعث من المربّي إلى المتربّي شاء أم أبى! وكم هو الأثر الَّذي تحدثه هذه الرسائل والإيحاءات في شخصيَّة المتربّي دون أن يشعر!

وهذا الأثر قد يكون إيجابيّاً نافعاً، وقد يكون سلبيّاً ضارّاً، «فحين تكون سيرة المربّي حسنة، واستقامته جيّدة، ومراقبته لنفسه مستمرّة؛ فإنَّ رسائل حسنة منه ستظهر دون أن يشعر، تؤثّر في المتربّي، وتساهم في صياغة

(١) خليل بن عبد الله الحدري: التَّربية الوقائيّة في الإسلام ومدى استفادة المدرسة الثَّانويَّة منها، مكّة المكرّمة، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، ١٤١٨هـ، ص٢١٦، ٢١٧.

(٢) محمَّد بن إسماعيل البخاريّ: صحيح البخاري، مرجع سابق، باب الشّروط في الجهاد، رقم (٢٧٣٢)، ص٥٢٢.

شخصيّته دون كثير نصح أو توجيه مباشر»[١]. قال خالد بن صفوان ـ وقد سئل عن الحسن البصريّ ـ: «كان الحسن أشبه النَّاس سريرة بعلانية، وأشبهه قولاً بفعلٍ»[٢]، وتلك الَّتي أعلت من قدره وشأنه رَحِمَهُ اللَّهُ.

«إنَّ القدوة الحسنة عمليَّة تربويّة مستمرّة؛ لا تعرف الملال ولا الانقطاع، تساعد المتربّي على الارتقاء، وبلوغ الكمالات، وتختصر الوقت، وتعطي قناعة تامَّة بإمكانيّة بلوغ الفضائل والكمالات»[٣].

وحين يختلف الحال ويظهر الخلل والتّقصير من المربّي ولو تكلّف إظهار نفسه بالمظهر الحسن؛ فإنَّ لغة الإيحاء ستكشف الحال، وتُظهر الحقيقة الَّتي لا يستطيع المربِّي إخفاءها عن المتربّين الَّذين يصحبهم ويعايشهم.

فكيف إذا اكتشفوا أنَّه كان يحدّثهم عن معانٍ يفتقدها هو! بالتّأكيد ستكون الصّدمة قويّة، ومؤلمة.

ويكفي لتصوير بشاعة هذه الصّفة أن يعلم المربّي أنَّه عندما ينزل عن مستوى القدوة الحسنة فيتدنّى مستوى فعله عن مستوى قوله، فإنَّه «أشبه بمن يمسك في إحدى يديه قلماً، وفي الأخرى ممحاة، فكلّما كتب كلاماً بيمناه محته يسراه»[٤].

أيّها المربّي.. إذا كان هناك فجوة كبيرة بين ما تقوله وما تقوم به، فتأكّد أنَّ أثرك السّلبيّ على المتربّين سيزداد كلَّما ازداد نصحك وتوجيهك لهم، «من لا يستطيع تصحيح أخطاء نفسه فلا يصحّ له أن يكون قيّماً على أخطاء

(١) إبراهيم بن صالح الدحيم: من أجل تربية أفضل، البيان، مرجع سابق، العدد ٢٠٢، (جمادى الآخرة ١٤٢٥هـ)، ص٢٧.

(٢) محمَّد بن أحمد الذَّهَبيّ: سير أعلام النُّبلاء، مرجع سابق، ٤/ ٥٧٦.

(٣) إبراهيم بن صالح الدحيم: من أجل تربية أفضل، البيان، مرجع سابق، العدد ٢٠٢، (جمادى الآخرة ١٤٢٥هـ)، ص٣٠.

(٤) أحمد فهمي: «صفات المربّي دراسة تحليليّة»، البيان، مرجع سابق، العدد ١٤٣ (رجب ١٤٢٠هـ)، ص٣٨.

الآخرين يصحّح لهم وينتقد»[١].

وإذا كان زرع القيم الإيجابيّة في المتربّين يتمّ في الصّغر من قِبَل الوالدين إذا كانا قدوة صالحة. فإنّ هدم القِيم الإيجابيّة يتمّ أيضاً من قِبل الوالدين حين تغيب هذه القدوة!

يقول الأستاذ محمّد قطب في كتابه منهج التّربية الإسلاميّة: «مرّة واحدة يجد الابن أمّه تكذب على أبيه أو أباه يكذب على أمّه، أو أحدهما يكذب على الجيران.. مرّة واحدة كفيلة بأن تدمّر قيمة الصّدق في نفسه ولو أخذا كلّ يوم وكلّ ساعة يردّدان على سمعه النّصائح والمواعظ والتّوصيات بالصّدق!

مرّة واحدة يجد أمّه أو أباه يغشّ أحدهما الآخر أو يغشّان النّاس في قول أو فعل.. مرّة واحدة كفيلة بأن تدمّر قيمة الاستقامة في نفسه ولو انهالت على سمعه التّعليمات! وهكذا في كلّ القِيم والمبادئ الّتي تقوم عليها الحياة الإنسانيّة السويّة»[٢].

٢ ـ التَّربية بالتَّواضع وحسن المعاملة:

التَّواضع لغة: التذلّل[٣]، وهو ضدّ الكبر، والتَّواضع يعني خفض الجناح، وقبول الحقّ ممّن كان؛ صغيراً أو كبيراً، صعلوكاً أو وجيهاً، صديقاً أو عدوّاً، واحترام كلّ النّاس[٤].

ولمّا سُئل بكر بن خنيس: «ما التَّواضع؟ قال: سمعت عاصم بن أبي النّجود يقول: التَّواضع إذا خرجت من منزلك لا تلقى أحداً إلّا رأيت أنَّه خير منك»[٥].

---

(١) محمّد أحمد الرّاشد: فضائح الفتن، ط٣، طنطا، دار البشير للثّقافة والعلوم، ١٤١٩هـ، ص٥.

(٢) محمّد قطب: منهج التّربية الإسلاميّة، مرجع سابق، ٢/١١٨.

(٣) محمّد بن أبي بكر الرّازي: مختار الصّحاح، مرجع سابق، ص٧٢٧.

(٤) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري في شرح صحيح البخاريّ، مرجع سابق، ١١/ ٣٤١.

(٥) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، (د.ط)، بيروت، دار الفكر، ١٤١٥هـ، ٢٥/٢٣٧.

ولولا جهل المتكبّر بربّه لَمَا وقع في الكبر، ولو عرف ربّه حقَّ المعرفة لعلم أنَّ الكبرياء له وحده. وقد ندب ﷻ رسوله ﷺ إلى هذه الخصلة، فقال: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨].

وبلغ من تواضعه ﷺ وحسن معاملته لأصحابه ـ وهو المنشغل بشؤون الدَّولة الإسلاميَّة ـ أن تأخذ بيده الأَمَةُ فتنطلق به حيث شاءت[١]. عَنْ أَنَسِ بن مالك ﷺ أَنَّ امْرَأَةً كَانَ فِي عَقْلِهَا شَيْءٌ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ الله! إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً، فَقَالَ: «**يَا أُمَّ فُلَانٍ انْظُرِي أَيَّ السِّكَكِ شِئْتِ حَتَّى أَقْضِيَ لَكِ حَاجَتَكِ، فَخَلَا مَعَهَا فِي بَعْضِ الطُّرُقِ حَتَّى فَرَغَتْ مِنْ حَاجَتِهَا**»[٢].

إنَّ التَّكبّر وسوء المعاملة يعدّ عقبة كؤود بين المربِّي والمتربّي؛ «لأنَّ من طبيعة النَّاس الَّتي جبلهم الله تعالى عليها، أنَّهم لا يقبلون قول من يستطيل عليهم ويحتقرهم ويتكبّر عليهم، وإن كان ما يقوله حقّاً وصدقاً»[٣].

ومن التَّواضع وحسن المعاملة:

١ ـ الحفاوة وحسن الاستقبال:

يقول الرَّازيّ: «الحفاوة، بفتح الحاء بمعنى (حفى) أي: بالغ في إكرامه وإلطافه والعناية بأمره»[٤].

أحياناً يتعامل المربِّي مع المتربّي على أنَّه صاحب منّة عليه؛ ولذا يرى أنّه لا حاجة إلى القيام بشيء من الحفاوة وحسن الاستقبال، وربما شعر أنَّ الحقّ له، والحقيقة أنَّ للمربِّي حقّاً كبيراً، لكن هذا الحقّ ربما لن يحصل عليه المربِّي حتَّى لو كان «أباً» إلَّا إذا غرس في قلب المتربّي إكرام أهل الفضل،

---

(١) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري في شرح صحيح البخاريّ، مرجع سابق، ١/ ٤٨٩.

(٢) زكيّ الدِّين المنذري: مختصر صحيح مسلم، مرجع سابق، باب قرب النَّبيّ ﷺ من أصحابه، رقم (١٥٧٧)، ص٤٧٢.

(٣) عبد الكريم زيدان: أصول الدّعوة، ط٢، بيروت، مؤسسة الرّسالة، ١٤٠٧، ص٣٦٣.

(٤) محمَّد بن أبي بكر الرَّازي: مختار الصّحاح، مرجع سابق، ص١٤٥.

مع التّدريب المستمرّ على ذلك من خلال أساليب وخطوات تربويّة مشوّقة يقوم بها المربّي.

ولقد كان النّبيُّ ﷺ يستقبل أصحابه بوجه طلق، وترحيب دائم، ونفس منشرحة، وذلك ما جعل نفوسهم تنجذب إليه، وتأنس بحديثه.

جاء صفوان بن عسّال رضي الله عنه إلى النّبيّ ﷺ فقال: يا رَسُولَ الله! إنّي جئت أطلب العلم، فقال له النّبيُّ ﷺ: **«مرحباً بطالب العلم، إنَّ طالب العلم تحفّه الملائكة بأجنحتها، ثمَّ يركب بعضهم على بعض حتّى يبلغوا السّماء الدّنيا من محبّتهم لما يطلب...»**[1]، أيّ حفاوة تلك، وأيّ استقبال للمتربّي وطالب العلم أعظم من ذلك، ترى ما هو الأثر الّذي ستتركه تلك العبارات الجميلة، وذلك التّرحيب الحار في نفس المتربّي؟!

وعن أبي رِفَاعَةَ قال: «انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَخْطُبُ، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله! رَجُلٌ غَرِيبٌ جَاءَ يَسْأَلُ عَنْ دِينِهِ؛ لَا يَدْرِي مَا دِينُهُ، قَالَ: فَأَقْبَلَ عَلَيَّ رَسُولُ الله ﷺ وَتَرَكَ خُطْبَتَهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَيَّ، فَأُتِيَ بِكُرْسِيٍّ حَسِبْتُ قَوَائِمَهُ حَدِيداً، قَالَ: فَقَعَدَ عَلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ وَجَعَلَ يُعَلِّمُنِي مِمَّا عَلَّمَهُ الله، ثُمَّ أَتَى خُطْبَتَهُ فَأَتَمَّ آخِرَهَا»[2].

«عجيب والله! يُوقف الخطبة، ويجلس للمتعلّم! أيّ تكريم فوق هذا وأيّ حفاوة، وكم سيصنع هذا الأسلوب من رغبة في نفس المتعلّم والطّالب!! هل نستطيع ـ نحن المعلّمين أو المربّين ـ أن نقوم عن وجبة الإفطار في المدرسة مثلاً لنجيب طالباً عن مسألته؟ وحين يقطع علينا المتربّي لذّة النّوم باتّصال هاتفيّ لحلّ مشكلة، أو إجابة عن سؤال، هل سيجد التّرحيب منّا وطيب النّفس؟»[3].

---

(١) يُوسف بن عبد البرّ: جامع بيان العلم وفضله، مرجع سابق، ١/ ١٥٥.

(٢) مسلم بن الحجّاج النّيسابوري: صحيح مسلم، مرجع سابق، باب حديث التّعليم في الخطبة، رقم (٨٧٦)، ص٣٧٣.

(٣) إبراهيم بن صالح النّحيم: أساليب نبويّة في التّربية والتّعليم، البيان، مرجع سابق، العدد ٢٠٩، (المحرّم ١٤٢٦هـ)، ص٣٢.

ب ـ التَّبسّط وإزالة الحواجز:

إنَّ السَّماحة، وطيب المعشر، وبشاشة الوجه، ورقّة العبارة، والتَّبسّط وإزالة الحواجز بين المربِّي والمتربّي كفيل بإيجاد بيئة مطمئنّة يتمّ من خلالها بناء القيم والمهارات في جوّ مفعم بالحبّ والتَّفاعل الإيجابي، والنَّاظر في هدي النَّبيِّ ﷺ يجد ذلك واضحاً، ويرى الأثر الكبير الَّذي يحدثه هذا الأسلوب في النّفوس.

عن أنسٍ ﵁ قَالَ: «**إِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَيُخَالِطُنَا حَتَّى يَقُولَ لأخٍ لِي صَغِيرٍ: يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ؟**»[(١)]. ما ألطفه من صنيع، وما أروعه من تصرّف.. سيّد الخلق.. ورسول الثقلين يداعب صبيّاً ويواسيه في عصفور فَقَدَه.. فما أحرى المربّين والدّعاة إلى أن يتمثّلوا هذا الخُلق.

وجاء ـ مرّة ـ رجل ليشكو له انطلاق بطن أخيه، فأمره أن يسقيه عسلاً[(٢)]، فانظر إلى هذا التَّواضع الجمّ، أيُسأل رَسُولُ الله ﷺ ـ سيّد الخلق، ورئيس الدَّولة ـ عن مرض يستحيي المرء من إخبار النَّاس به؟!

وعَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ قَالَ: قُلْتُ لِجَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ: أَكُنْتَ تُجَالِسُ رَسُولَ الله ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ، كَثِيراً، «**كَانَ لا يَقُومُ مِنْ مُصَلَّاهُ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ الصُّبْحَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، فَإِذَا طَلَعَتْ قَامَ، وَكَانُوا يَتَحَدَّثُونَ فَيَأْخُذُونَ فِي أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ فَيَضْحَكُونَ، وَيَتَبَسَّمُ ﷺ**»[(٣)].

هذا المربّي الأعظم، انظر إلى طيب معشره، ولين جانبه، كيف يتبسّط مع أصحابه، ويتيح لهم الفرصة للتحدّث والأخذ في أمور الجاهليّة، والضّحك، وأين يكون ذلك؟! إنَّهُ في المسجد، وبعد أداء فريضة من فرائض الله!

---

(١) محمَّد بن إسماعيل البخاريّ: صحيح البخاري، مرجع سابق، باب الانبساط إلى النَّاس، رقم (٦١٢٩)، ص١١٨٢.

(٢) محمَّد بن إسماعيل البخاريّ: صحيح البخاري، مرجع سابق، باب الدواء بالعسل، رقم (٥٦٨٤)، ص١١١٦.

(٣) مسلم بن الحجّاج النّيسابوري: صحيح مسلم، مرجع سابق، باب تبسّمه ﷺ وحسن عشرته، رقم (٢٣٢٢)، ص٩٤٩.

إنَّ تبسّط المربِّي مع المتربّي يصنع جسراً من التَّواصل والتّفاعل بينهما، فكم في نفوس المتربّين من مشاعر وخلجات لو وجدت نفساً بسيطة وقريبة ليس هناك أدنى كُلفة في التَّعامل معها؛ لما تردّدت في البوح والتّعبير، وحين لا توجد هذه النّفس فلا شكّ أنَّ المتربّي سيبحث عن نفوس أخرى.

تأمَّل هذا الحديث! روى الإمام أحمد في مسنده عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ: «أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ خَرَجَ بِالنَّاسِ قِبَلَ غَزْوَةِ تَبُوكَ؛ فَلَمَّا أَنْ أَصْبَحَ صَلَّى بِالنَّاسِ صَلاةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ رَكِبُوا، فَلَمَّا أَنْ طَلَعَتِ الشَّمْسُ نَعَسَ النَّاسُ عَلَى أَثَرِ الدُّلْجَةِ، وَلَزِمَ مُعَاذٌ رَسُولَ الله ﷺ يَتْلُو أَثَرَهُ... ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَشَفَ عَنْهُ قِنَاعَهُ، فَالْتَفَتَ فَإِذَا لَيْسَ مِنَ الْجَيْشِ رَجُلٌ أَدْنَى إِلَيْهِ مِنْ مُعَاذٍ، فَنَادَاهُ رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ: **يَا مُعَاذُ!** قَالَ: لَبَّيْكَ يَا نَبِيَّ الله، قَالَ: **ادْنُ دُونَكَ**، فَدَنَا مِنْهُ حَتَّى لَصِقَتْ رَاحِلَتَاهُمَا إِحْدَاهُمَا بِالأُخْرَى، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **مَا كُنْتُ أَحْسِبُ النَّاسَ مِنَّا كَمَكَانِهِمْ مِنَ الْبُعْدِ**، فَقَالَ مُعَاذٌ: يَا نَبِيَّ اللهِ نَعَسَ النَّاسُ؛ فَتَفَرَّقَتْ بِهِمْ رِكَابُهُمْ تَرْتَعُ وَتَسِيرُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **وَأَنَا كُنْتُ نَاعِساً**، فَلَمَّا رَأَى مُعَاذٌ بُشْرَى رَسُولِ الله ﷺ إِلَيْهِ وَخَلْوَتَهُ لَهُ قَالَ: يَا رَسُولَ الله! ائْذَنْ لِي أَسْأَلْكَ عَنْ كَلِمَةٍ قَدْ أَمْرَضَتْنِي وَأَسْقَمَتْنِي وَأَحْزَنَتْنِي، فَقَالَ نَبِيُّ الله ﷺ: **سَلْنِي عَمَّ شِئْتَ...**» الحديث[1].

إنَّ هذا السؤال ما كان له أن يخرج من فيّ معاذ بن جبل ﷺ لولا تبسّط النّبيّ ﷺ وإتاحة الفرصة، ولو كان هناك حواجز بينه وبين مربّيه محمَّد ﷺ لظلّ هذا السؤال حبيساً في صدره.

ولا يعني التبسّط وإزالة الحواجز والكلفة أن يذوب المربّي في شخصيَّة المتربّي، ولكن بالقدر الّذي يضمن التّفاعل والتواصل الإيجابي بينهما.

---

(١) أحمد بن حنبل: المسند، مرجع سابق، مسند معاذ بن جبل ﷺ، رقم (٢٢٤٧٣)، ص١٦٣٤.

٣ ـ التَّربية بالقصّة:

إنَّ القصَّة أمر محبَّب للنَّاس عموماً؛ صغاراً كانوا أم كباراً، وتترك أثرها في النّفوس، وتحرّك العواطف، وتوقظ الحسّ، وقد أخبر تبارك وتعالى عن شأنها في القرآن فقال: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ [يوسف: ٣]، وأمر نبيّه ﷺ بذلك فقال: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف: ١٧٦]، لهذا فقد سلك النَّبيُّ ﷺ هذا المنهج، واستخدم هذا الأسلوب.

يقول الأستاذ محمَّد قطب: «والتَّربية بالقصّة لون من التَّربية يستخدم الحادث، ولكنّه حادث خارجيّ، يقع لأشخاص آخرين غير قارئ القصّة أو مستمعها... ومع ذلك فهو مؤثّر في النَّفس كما لو كان يقع للإنسان ذاته!

وعن طرق التَّأثير للقصّة أضاف قائلاً: «وهذا التأثير للقصّة يقع عن طريقين اثنين.. أحدهما هو المشاركة الوجدانيّة؛ فالأشخاص في القصّة يضفي عليهم الفنّ القصصي حياة وحركة فيصبحون أحياء..، من ثمّ يشاركهم وجدانيّاً فيما هم فيه من أحداث وانفعالات. أمّا الطَّريق الآخر فربما كان يتمّ على غير وعي كامل من الإنسان؛ ذلك أنَّ قارئ القصَّة أو سامعها يضع نفسه في موضع أشخاص القصَّة..، ويظلّ طيلة القصَّة يعقد مقارنة خفيّة بينه وبينهم، ومن هنا يحدث تأثّر ذاتيّ إلى جانب المشاركة الوجدانيّة»[1].

والتَّربية بالقصَّة من الأساليب الَّتي ترسّخ الفكرة في عقول وقلوب المتربّين، وهي أبلغ من النّصح المجرَّد؛ لأنَّ «الحادثة المرتبطة بالأسباب والنّتائج ليهفو إليها السّمع، فإذا تخلّلتها مواطن العبرة في أخبار الماضين كان حبّ الاستطلاع لمعرفتها من أقوى العوامل على رسوخ عبرتها في النَّفس»[2].

تأمَّل هذا الموقف! شابّ من أصحاب النَّبيّ ﷺ ـ وهو خبَّاب بن

---

(١) محمَّد قطب: منهج التَّربية الإسلاميَّة، مرجع سابق، ٢/ ١٥٤.

(٢) منَّاع القطَّان: مباحث في علوم القرآن، ط٨، الرِّياض، مكتبة المعارف، ١٤٠٨هـ، ص٣٠٥.

الأرتّ ﷺ ـ يبلغ به الأذى والشدّة كلّ مبلغ، فيأتي النَّبيَّ ﷺ شاكياً له ما أصابه، فيقول ﷺ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً، وَهُوَ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ ـ وَقَدْ لَقِينَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ شِدَّةً ـ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَلَا تَدْعُو اللهَ؟ فَقَعَدَ وَهُوَ مُحْمَرٌّ وَجْهُهُ فَقَالَ: «**لَقَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ لَيُمْشَطُ بِمِشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ عِظَامِهِ مِنْ لَحْمٍ أَوْ عَصَبٍ؛ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُوضَعُ الْمِنْشَارُ عَلَى مَفْرِقِ رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَيْنِ؛ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَلَيُتِمَّنَّ اللهُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ مَا يَخَافُ إِلَّا اللهَ**»(١).

لقد تعامل النَّبيُّ ﷺ مع هذا الموقف الرّهيب! وهذا الشابّ المبتلى بأسلوب قصصي معبّر، إنه لم يربّت على كتفي ذلك الشَّابّ ويصبّره بكلمات المواساة والشّفقة الَّتي قد تؤثّر تأثيراً وقتيّاً سرعان ما يزول؛ وذلك لعلمه ﷺ أنَّ ذلك الموقف الَّذي تضعف فيه النّفس وتنهار لا يصلح معه إلَّا ذلكم الخطاب.

لذا ينبغي على المربّي والدَّاعية «أن يدرس البيئة الَّتي يعيش فيها، ويعرف أوضاعها وتقاليدها، ويتعمّق في فهم مشكلاتها ونفسيّات أهلها، وما يؤثّر فيها»(٢).

و«ممَّا لا شكَّ فيه أنَّ القصَّة المحكمة الدَّقيقة تطرق المسامع بشغف، وتنفذ إلى النَّفس البشريَّة بسهولة ويسر، وتسترسل مع سياقها المشاعر فلا تملّ ولا تكلّ، ويرتاد العقل عناصرها فيجني من حقولها الأزاهير والثّمار»(٣).

ويضيف القطّان قائلاً: «وفي القصص القرآني تربة خصبة تساعد المربّين

---

(١) محمَّد بن إسماعيل البخاريّ: صحيح البخاري، مرجع سابق، باب ما لقي النَّبيُّ ﷺ من المشركين، رقم (٣٨٥٢)، ص٧٣٠.

(٢) يُوسف القرضاوي: ثقافة الدَّاعية، ط٦، بيروت، مؤسّسة الرِّسالة، ١٤٠٣هـ، ص١٤٥.

(٣) منَّاع القطّان: مباحث في علوم القرآن، مرجع سابق، ص١١٠.

على النّجاح في مهمّتهم، وتمدّهم بزاد تهذيبي، من سيرة النّبيين، وأخبار الماضين»[١].

وللقصّة آثار تربويّة عظيمة، قد لا تتحقَّق في غيرها من الأساليب.

يقول النَّحلاوي في أصول التَّربية الإسلاميَّة: «والقصّة القرآنيّة النَّبويَّة تمتاز بميزات جعلت لها آثاراً نفسيَّة وتربويّة بليغة، محكمة، بعيدة المدى على مرّ الزّمن، مع ما تثيره من حرارة العاطفة، ومن حيويّة وحركيّة النَّفس، تدفع الإنسان إلى تغيير سلوكه وتجديد عزيمته بحسب مقتضى القصَّة وتوجيهها وخاتمتها، والعبرة منها»[٢].

وأسلوب القصَّة شامل لجميع أنواع التَّربية وأساليبها، يقول الأستاذ محمَّد قطب في كتابه منهج التَّربية الإسلاميَّة: «والقرآن الكريم يستخدم القصَّة لجميع أنواع التَّربية والتَّوجيه الَّتي يشملها منهجه التَّربويّ: تربية الرُّوح، وتربية العاطفة، وتربية الجسم، . . . ، والتَّربية بالقدوة، والتَّربية بالموعظة؛ فهي سجّل حافل لجميع التوجيهات، وهي كذلك ـ على قلّة عدد الألفاظ المستخدمة في أدائها ـ حافلة بكلّ أنواع التَّعبير الفنّي ومشخصاته»[٣].

٤ ـ التَّربية بالحوار:

الحوار: «هو أن يتناول الحديث طرفان أو أكثر، عن طريق السؤال والجواب، بشرط وحدة الموضوع أو الهدف، فيتبادلان النِّقاش حول أمر معيّن، وقد يصلان إلى نتيجة، وقد لا يقنع أحدهما الآخر، ولكن السَّامع يأخذ العبرة ويكوّن لنفسه موقفاً»[٤].

وهو أسلوب يدفع بالمتربّي إلى المشاركة بالأسئلة والاستماع والفهم،

---

(١) منَّاع القطَّان: مباحث في علوم القرآن، مرجع سابق، ص٣١١.

(٢) عبد الرَّحمٰن النّحلاوي: أصول التَّربية الإسلاميَّة، ط٣، دمشق، دار الفكر، ١٤٢٣هـ، ص٢٣٤.

(٣) محمَّد قطب: منهج التَّربية الإسلاميَّة، مرجع سابق، ١/ ١٩٤.

(٤) عبد الرَّحمٰن النّحلاوي: أصول التَّربية الإسلاميَّة، مرجع سابق، ص٢٠٦.

بل إنه قد يتوصّل إلى الحقيقة بنفسه عن طريق الحوار والمناقشة.

والتّربية بالحوار المنهجيّ لا تفيد المتربّي فحسب، ولكن المربّي هو أوّل المستفيدين منها.

يقول الدّكتور عبد الكريم بكّار: والحوار المنهجي مفيد في إيصال الفكرة للآخرين، وحين نمارس الحوار؛ فإنّنا لا نفيد المتربّي وحده، بل نحن نستفيد منه أكثر؛ فمن خلال الحوار والنّقاش تنضج أفكارنا ويرتقي تفكيرنا وتتّزن نظرتنا. إنّنا حين نعرض أفكارنا للتّشذيب والتّهذيب، والإضافة والنّقد، نكون أكثر معرفة للواقع وأقدر على التّعامل معه[١].

إنه من المهمّ، ومن المهمّ جدّاً أن يجعل المربّي من الحوار أساساً ومنهجاً له في حياته، لا سيّما في المجال التّربويّ، فلا يفرض الأمور فرضاً جازماً لا يقبل المناقشة ولا المحاورة.

فالحوار يزيد من قَبول المتربّي للمربّي؛ «حيث يشعر أنَّ المربّي لا يمارس معه نوعاً من إلغاء الشّخصيّة. وحين نطالب بالحوار؛ فإنّنا نقصد القيام بدور المحاور لا المناظر؛ فهناك فرق كبير بينهما، فالمناظر يبغي إقناع صاحبه برأيه ليتبنّاه، بينما المحاور يقوم بإضاءة نقطة مظلمة، وتوضيح قضيّة غامضة لا يراها المحاور الآخر على الوجه الصّحيح، وبهذا يكون الحوار هادئاً ومنتجاً؛ لأنَّهُ يستهدف النّفع المتبادل وليس الاستحواذ والاستيلاء..»[٢].

وهذا ما فعله النّبيُّ ﷺ مع الشابّ الّذي جاءه يستأذنه في الزّنا! فالأمر يحتاج إلى حوار هادئ مقنع، يفتح بصر المخطئ وعقله إلى جوانب قد غفل عنها؛ حيث قال له: أدن منّي، فلمّا دنا قال له: أترضاه لأمّك؟! أترضاه لأختك؟! لعمّتك؟! لخالتك؟! والشابّ يقول في كلّ مرّة: لا، والنّبيُّ ﷺ يردّ عليه بقوله: وكذلك النّاس لا يرضونه..»[٣].

---

(١) انظر: عبد الكريم بكّار: بناء الأجيال، الرّياض، المنتدى الإسلامي، ١٤٢٣هـ، ص٢٩.

(٢) المرجع السّابق، ص٢٩.

(٣) انظر الحديث: أحمد بن حنبل: المسند، مرجع سابق، انظر الحديث رقم (٢٢١١٢)، ص٢٣٧.

لقد أدرك النَّبيُّ ﷺ حال الشابّ، فلم يتوجّه إليه بموعظة إيمانيّة، فضلاً عن أن يعنّفه؛ لأنَّ استئذانه دليل إيمانه، فجعل النَّبيُّ ﷺ يلفت نظره إلى مفاسد وبشاعة ذلك الفعل الَّذي تنفر منه أصحاب الفطر السَّليمة؛ إذ المسألة ليس مسألة حرام فحسب، بل يترتّب عليها مفاسد أخرى.

وأمّا حين يفرض المربّي رأيه فرضاً، وبدون أيّ حوار أو نقاش؛ فإنّه قد ينجح في توجيه ظاهر المتربّي، لكنّه قد لا ينجح في تغيير قناعة المتربّي من الدّاخل؛ ممّا قد يسبّب جموحاً وتمرّداً من المتربّي متى سنحت الفرصة لذلك، فكما في المثال الإنجليزي «من السّهل قيادة الحصان إلى نبع الماء، ولكن من الصّعب إجباره على أن يشرب»(١).

إنَّ ما يحدث من بعض المتربّين من التَّعبير عن رأيهم بالعناد والخصومة ورفع الصّوت ـ مع والديهم بالذّات ـ هو بسبب ضيق مساحة الحوار أو انعدامها غالباً. لذا يجب على كلّ مربّ يطمح لبناء جيل متّزن الشَّخصيَّة، واثق بنفسه، أن لا يغفل هذا الأسلوب التَّربويّ الفذّ؛ الَّذي يعمد إلى إثارة التَّفكير والعواطف.

ولقد كان رَسُولُ الله ﷺ يستخدم هذا الأسلوب بشكل ملحوظ في تربيته وتوجيهه لأصحابه؛ فتارة يطرح السؤال المحيّر للفهم، المشكل على سامعه، ومنه قوله ﷺ: «**إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ، فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ؟** فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي. قَالَ عَبْدُ الله: وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، فَاسْتَحْيَيْتُ ـ لصغر سنّي ـ ثُمَّ قَالُوا: حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: هِيَ النَّخْلَةُ»(٢).

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفيه امتحان العالم أذهان الطّلبة بما يخفى مع

---

(١) علي الحمّادي: ٢٠٠ حكمة قياديّة ووصيّة إداريّة، ط٢، بيروت، دار ابن حزم، ١٤٢٣هـ، ص٣٠.

(٢) محمّد بن إسماعيل البخاريّ: صحيح البخاري، مرجع سابق، باب فضل العلم، رقم (٦١)، ص٣٦.

بيانه لهم إن لم يفهموه»[(١)]. وتارة بإلقاء السؤال عليهم؛ لكي يلفت نظرهم، ويثير انتباههم لما يريد غرسه في نفوسهم. عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: «بَيْنَمَا أَنَا رَدِيفُ النَّبِيِّ ﷺ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا آخِرَةُ الرَّحْلِ، فَقَالَ: **يَا مُعَاذُ!** قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: **يَا مُعَاذُ!** قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: **يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ!** قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: **هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ؟** قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: **حَقُّ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً**، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: **يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ!** قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: **هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ إِذَا فَعَلُوهُ؟** قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: **حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ**»[(٢)].

لا شكّ أنَّ في تكرار نداء النَّبيّ ﷺ لمعاذ ثلاثاً مع قربه الشّديد منه، ومع إجابة معاذ في كلّ مرّة، لفت نظر إلى أهميَّة ما سيلقيه عليه؛ فيكون أوقع في الفهم وأبلغ في النَّفس، «وقد أخرج ﷺ السؤال بصيغة الاستفهام ليكون أوقع في النَّفس وأبلغ في فهم المتعلّم، فإنَّ الإنسان إذا سئل عن مسألة لا يعلمها ثمَّ أخبر بها بعد الامتحان بالسؤال عنها؛ فإنَّ ذلك أدعى لفهمها وحفظها، وهذا من حسن إرشاده وتعليمه ﷺ»[(٣)].

وتارة في الحثّ على السؤال وفتح المجال فيه، فقد كانت رغبة النَّبيُّ ﷺ في بعض الأحيان أن يكون الصَّحابة هم البادئون بالسؤال؛ ليكون التَّعليم أشدّ وقعاً في نفوسهم.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْماً بَارِزاً لِلنَّاسِ»،

---

(١) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري في شرح صحيح البخاريّ، مرجع سابق، ١/ ٢١٥.

(٢) محمَّد بن إسماعيل البخاريّ: صحيح البخاري، مرجع سابق، باب ما جاء في دعاء النَّبيّ ﷺ أمّته إلى التَّوحيد، رقم (٧٣٧٣)، ص١٤٠٥.

(٣) سليمان بن عبد الله: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التَّوحيد، ط٦، بيروت، المكتب الإسلاميّ، ١٤٠٥هـ، ص٦٥.

وفي رواية: قال رَسُولُ الله ﷺ: «سَلُونِي...» الحديث[1].

وتارة يستخدم الأسلوب الاستفهامي لإثارة العواطف ثمَّ السّيطرة عليها وتوجيهها توجيهاً صحيحاً، حتَّى يتمّ الاعتماد عليها عند المواقف الصّعبة، كما حصل مع الأنصار عندما أعطى من غنائم حنين عطايا كبيرة لم يكن في الأنصار شيء منها، فوجدوا في أنفسهم وعتبوا، فأمر رَسُولُ الله ﷺ سعد بن عبادة فجمعهم، فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَحَمِدَ الله وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ، ثُمَّ قَالَ: «يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ! مَا قَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ وَجِلَةٌ وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ؟ أَلَمْ آتِكُمْ ضُلَّالاً فَهَدَاكُمُ اللهُ؟ وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللهُ؟ وَأَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ؟ قَالُوا: بَلِ اللهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ وَأَفْضَلُ، قَالَ: أَلَا تُجِيبُونَنِي يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ؟ قَالُوا: وَبِمَاذَا نُجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللهِ، وَللهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ، قَالَ: أَمَا وَاللهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَصُدِّقْتُمْ: أَتَيْتَنَا مُكَذَّباً فَصَدَّقْنَاكَ، وَمَخْذُولاً فَنَصَرْنَاكَ، وَطَرِيداً فَآوَيْنَاكَ، وَعَائِلاً فَأَغْنَيْنَاكَ، أَوَجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ فِي لُعَاعَةٍ مِنَ الدُّنْيَا تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْماً لِيُسْلِمُوا، وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ؟ أَفَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ الله ﷺ فِي رِحَالِكُمْ؟ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَءًا مِنَ الأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْباً وَسَلَكَتِ الأَنْصَارُ شِعْباً لَسَلَكْتُ شِعْبَ الأَنْصَارِ، اللَّهُمَّ ارْحَمِ الأَنْصَارَ وَأَبْنَاءَ الأَنْصَارِ وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الأَنْصَارِ. قَالَ: فَبَكَى الْقَوْمُ حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ، وَقَالُوا: رَضِينَا بِرَسُولِ اللهِ قِسْماً وَحَظّاً»[2].

ما أحوج المتربّي إلى ذلكم الحوار العاطفيّ؛ الّذي يتجلّى فيه صدق العاطفة، فيسكن بذلك فؤاده، ويشعر بالرّاحة والاطمئنان؛ وعندئذٍ تقوى أواصر الأخوّة والمحبّة في الله بين المربّي والمتربّي.

---

(١) مسلم بن الحجّاج النّيسابوري: صحيح مسلم، مرجع سابق، باب توقيره ﷺ وترك الإكثار عليه من السؤال، رقم (٢٣٥٩)، ص٩٦١.

(٢) محمّد بن إسماعيل البخاريّ: صحيح البخاري، مرجع سابق، باب غزوة الطائف، رقم (٤٣٣٠)، ص٨١٧.

«وهكذا كان رَسُولُ الله ﷺ يخالط أصحابه ويربّيهم على التّفكّر والتأمّل والنّظر، ثمَّ يُبيّن لهم بعد ذلك إن لم يفهموا ما أراد، فيكون ذلك أوقع في نفوسهم، وأحفظ لما أراد ﷺ»(١).

والأمثلة على تنوّع أساليب الحوار في السنّة النّبويَّة كثيرة جدّاً، لعلّ فيما ذكر بيان للمقصود.

٥ ـ التَّربية بالأحداث:

التَّربية بالأحداث تعني استثمار الفرصة المناسبة لموقف معيّن، أو حدث طارئ، أو مشهد في توجيه أو وعظ، أو تعديل سلوك، ويكون هذا الحدث دافعاً للتأثّر والتقبّل.

والتَّربية بالأحداث من الأساليب الفعّالة في التَّربية؛ لأنَّها تؤثّر في النَّفس تأثيراً بالغاً، وذلك لأنَّ «الحادثة تثير النَّفس بكاملها، وترسل فيها قدراً من حرارة التَّفاعل والانفعال؛ يكفي لصهرها أحياناً، أو الوصول بها إلى قرب الانصهار، وتلك حالة لا تحدث كلّ يوم في النَّفس، وليس من اليسير الوصول إليها، والنَّفس في راحتها وأمنها وطمأنينتها»(٢).

وقد كانت الأحداث في حياة الصَّحابة والتَّوجيهات القرآنيّة المنزلة فيها من أبلغ أساليب التَّربية لهم، وأعمقها أثراً في نفوسهم، ففي غزوة أُحد عندما استشهد سبعون من الصَّحابة الكرام، وأصاب القوم استغراب من ذلك؛ نزلت آيات تبيّن سبب هذه الخسارة المؤلمة، وأعطي المسلمون درساً في الطَّاعة وعدم المخالفة، قال تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

وكذلك الهزّة العنيفة الَّتي تعرّض لها المسلمون يوم حنين؛ إذ أعجبتهم كثرتهم، فلم تغن عنهم شيئاً. وما نزل من آيات ودروس عظيمة في حادثة

(١) خالد بن عبد الله القرشي: تربية النَّبيّ ﷺ لأصحابه في ضوء الكتاب والسنّة، مكّة المكرّمة، دار التَّربية والتّراث، ١٤٢١هـ، ص٣٦١.

(٢) محمَّد قطب: منهج التَّربية الإسلاميَّة، مرجع سابق، ١/٢٠٧.

الإفك الَّتي مسَّت بيت النبوَّة والمؤمنين جميعاً. وكذلك إجلاء بني النَّضير، وما نزل فيهم من عبر وعظات، وغيرها الكثير الكثير، حتَّى لم تكد تخلو سورة من سور القرآن من هذه التَّوجيهات الَّتي تعقب الأحداث، وتبيّن الموقف الصَّحيح الَّذي ينبغي على الجماعة المسلمة أن تتبنّاه، حيث «كان الحدث يهزّ الجماعة المسلمة كلّها، فتنفعل به انفعالاً يصل إلى درجة التوهّج، فيترك طابعه الَّذي لا يزول، أو كان يحدث الحدث فينزل التَّعليق عليه حارّاً متدفّقاً؛ فيكون هو الَّذي يشعل إلى درجة التوهّج، وفي ثناياه يجيء التَّوجيه المطلوب، كما يُطرق الحديد بعد تحميته حتَّى يتوهّج، فيُشكَّلُ على الشّكل المطلوب»[(١)].

وهكذا كان الرَّسولُ ﷺ يستثمر الحدث الطارئ، أو الفرصة المناسبة؛ لتوجيه أصحابه وحثّهم على التأمّل والتّدبّر، والعظة والعبرة لما يشاهدون أو يسمعون، ولا يدعه يمرّ دون تصويب رأي معيّن، أو تعديل سلوك خاطئ، والأمثلة على ذلك كثيرة، منها:

ما أخرجه الإمام مسلم عن جابر بن عبد الله ؓ: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ بِالسُّوقِ دَاخِلاً مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ وَالنَّاسُ كَنَفَتَهُ، فَمَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ[(٢)] مَيِّتٍ، فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ ثُمَّ قَالَ: **أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ؟** فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: **أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟** قَالُوا: وَاللهِ لَوْ كَانَ حَيّاً كَانَ عَيْباً فِيهِ؛ لأَنَّهُ أَسَكُّ، فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ؟ فَقَالَ: **فَوَاللهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ**»[(٣)].

«إنَّ المكان الَّذي وعظهم به ﷺ من خلال مشهد الجدي الميت كان السّوق؛ الَّذي هو مظنّة الغفلة، والتّطلّع إلى نماء الأموال، وزيادة الثّروة،

---

(١) محمَّد قطب: منهج التَّربية الإسلاميَّة، مرجع سابق، ٢/١٥١.

(٢) أسك: مقطوع الأذنين.
ابن الأثير: النّهاية في غريب الحديث، مرجع سابق، مادّة (سكك)، ص٣٨٤.

(٣) مسلم بن الحجّاج النّيسابوري: صحيح مسلم، مرجع سابق، كتاب الزّهد والرقائق، رقم (٢٩٥٧)، ص١١٨٧.

فكانت الموعظة بمثابة هزّة قويّة تناسب غفلة أهل السّوق، دعاهم فيها إلى التأمّل والتّفكّر، وأشعرهم بتفاهة الدّنيا الَّتي هانت على الله تعالى كما هان عليهم هذا الجدي الميت المتن»[١]. كم يتكرّر على المتربّي مثل هذا المشهد أو قريباً منه ثمَّ لا يوليه أدنى اهتمام!

ومن أمثلة ذلك أيضاً ما رواه مسلم من حديث عمر بن الخطّاب رضي الله عنه أنَّه قَالَ: قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بِسَبْيٍ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ تَبْتَغِي، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيّاً فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«أَتَرَوْنَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟** قُلْنَا: لَا وَاللهِ وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **للهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا»**[٢].

كان يمكن أن يذهب هذا الحدث الممتلئ رحمة وشفقة من أمٍّ وجدت ابنها بعد فقده، فانكبّت عليه تقبّله وتحضنه دون تعليق! لكن النَّبيَّ ﷺ استخدمه لبيان مدى رحمة الله ـ تعالى ـ بعباده، الَّتي فاقت رحمة هذه المرأة بابنها.

ومن الأمثلة كذلك: ما حدَّث به الصَّحابي الجليل جرير بن عبد الله البجليّ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةً ـ يَعْنِي الْبَدْرَ ـ فَقَالَ: **«إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا»**[٣].

كم هي اللّيالي الَّتي يجلس فيها المربّي مع طلّابه، أو الوالد مع أبنائه، ثمَّ لا يحصل تذكير برؤية الله ﷻ في الجنّة.

---

(١) زياد محمود العاني: أساليب الدّعوة والتَّربية في السنّة النّبويَّة، عمَّان، دار عمَّار، ١٤٢٠هـ، ص٣٨٩.

(٢) مسلم بن الحجَّاج النّيسابوري: صحيح مسلم، مرجع سابق، كتاب التَّوبة، رقم (٢٧٥٤)، ص١١٠٢.

(٣) محمَّد بن إسماعيل البخاريّ: صحيح البخاري، مرجع سابق، باب فضل صلاة العصر، رقم (٥٥٤)، ص١٢٤.

«والمربّي البارع لا يترك الأحداث تذهب سُدى بغير عبرة وبغير توجيه. إنَّما يستغلّها لتربية النّفوس، وصقلها وتهذيبها»[١].

فمثلاً حينما يجلس المربّي مع من يربّيهم حول النّار لصنع الطّعام، يمكن أن يستفيد من هذا الحادث، فيذكّر المتربّين بحديث الرّسولِ ﷺ: «نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقِدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءاً مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ»[٢]، ويمكن أن يقول لهم أيضاً: أرأيتم النَّار كيف تأكل الحطب؟ كذلك الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النَّار الحطب.

وكذلك لو انطفأ المصباح فجأة، وأصبح الظلام دامساً، والمكان موحشاً، فيمكن أن يذكّرهم بظلمة القبر ووحشته. والأمثلة على ذلك كثيرة جدّاً.

٦ ـ التَّربية بالتَّحفيز:

الحفْزُ: حثّك الشيء من خلفه سوقاً وغير سوق، واللَّيل يحفز النَّهار حفزاً: يحثّه على اللَّيل. والحفز: الحثّ والإعجال[٣].

إذا كان الحفز بمعنى الدّفع والحث والإعجال، فإنَّ ذلك يعني أنَّه لا بُدَّ من توفّر أساليب أخرى ـ محفّزات ـ تعمل على تدعيم هذا الأسلوب التّربويّ النَّاجح ـ وهي كثيرة ـ منها على سبيل المثال:

أ ـ الثّناء والتّشجيع:

الثَّناء والتَّشجيع أسلوب تربويّ يراد منه حثّ النّفس على الزّيادة وإثارة النّفوس الأخرى نحو المنافسة.

وقد استخدم الرَّسولُ ﷺ هذا الأسلوب مع أصحابه ـ رضوان الله عليهم ـ

---

(١) محمَّد قطب: منهج التَّربية الإسلاميَّة، مرجع سابق، ١/٢٠٧، ٢٠٨.

(٢) مسلم بن الحجّاج النّيسابوري: صحيح مسلم، مرجع سابق، باب في شدّة حرّ نار جهنّم، رقم (٢٨٤٣)، ص١١٤١.

(٣) ابن منظور: لسان العرب، مرجع سابق، ٣/ ٢٨٣.

لأنَّ الإقناع الفكريّ المجرّد، يتفاوت تأثيره، بحسب تفاوت النَّاس، وحتَّى لو كان الإقناع مجدياً، فإنَّه لا غنى للمربِّي عن استخدام هذا الأسلوب مع المتربّي أيّاً كان عمره ومستواه الفكري، ولكن شريطة أن يكون الثّناء حقّاً، وبالقدر الَّذي يحقّق الغاية المنشودة.

ومن الأمثلة على ذلك: أنَّ أبا هريرة ﷺ قال: يَا رَسُولَ اللهِ! مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ؛ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ...»**[١].

بربّك ما هو حال المتربّي حينما يكتشف أنَّ مربّيه ينتظر سؤاله هو بالذّات من بين المتربّين، وذلك لما يرى من حرصه وفطنته.

وَعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«أَبَا الْمُنْذِرِ أَيُّ آيَةٍ مَعَكَ مِنْ كِتَابِ اللهِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: أَبَا الْمُنْذِرِ أَيُّ آيَةٍ مَعَكَ مِنْ كِتَابِ اللهِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: قُلْتُ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ...﴾** [البقرة: ٢٥٥] قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي وَقَالَ: **لِيَهْنَ لَكَ يَا أَبَا الْمُنْذِرِ الْعِلْمُ»**[٢].

فكم يبعث التَّشجيع والثّناء في نفس المتربّي من حبّ العلم، وذلك على عكس ما يأتي به كثرة التأنيب واللّوم، أو السّكوت عن الثّناء عند كلّ نجاح أو تميّز.

وفي قصّة سَلَمة بن الأكوع ﷺ في (ذي القرد) لمَّا رجعوا قافلين إلى المدينة بعد أن أبلى سلمة بلاءً حسناً، يقول سلمة: قال رَسُولُ الله ﷺ: **«كَانَ خَيْرَ فُرْسَانِنَا الْيَوْمَ أَبُو قَتَادَةَ وَخَيْرَ رَجَّالَتِنَا سَلَمَةُ**، قَالَ: ثُمَّ أَعْطَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ

---

(١) أحمد الزبيدي: مختصر صحيح البخاري، مرجع سابق، باب الحرص على الحديث، رقم (٨٥)، ص٣٥.

(٢) محمّد ناصر الدّين الألباني: صحيح سنن أبي داود، مرجع سابق، باب ما جاء في آية الكرسيّ، رقم (١٤٦٠)، ص٤٠٢.

سَهْمَيْنِ؛ سَهْمَ الْفَارِسِ، وَسَهْمَ الرَّاجِلِ، فَجَمَعَهُمَا لِي جَمِيعاً، ثُمَّ أَرْدَفَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ وَرَاءَهُ عَلَى الْعَضْبَاءِ رَاجِعِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ»[١].

تأمّل هذه الحادثة، وكم فيها من الثّناء والتّشجيع، وتقدير الكفاءات، وفي مقالة لإبراهيم الدحيم في مجلّة البيان يقول معلّقاً على هذا الحديث الآنف الذِّكر: «ولك أن تتصوّر مقدار التّكريم حين يُركبك القائد معه في مركبته الخاصّة تسير بصحبته أمام النَّاس، كم سيضاعف هذا الثناء والتّقدير من نشاطٍ في نفس سلمة أو أبي قتادة ﷺ بل كم سيحرّك في نفوس الآخرين حين يكون المدح في محلّه»[٢].

ويختم إبراهيم الدحيم مقالته بكلام نفيس يقول فيه: «إنَّ كثيراً من القدرات، وكثيراً من أصحاب الكفاءات يصابون بالضّمور، بل ربما يموتون وتموت مواهبهم وقدراتهم؛ لأنَّهُم لا يجدون من يدفعهم بكلمة ثناء، أو يرفعهم بعبارة تشجيع.

إنّنا حين نثني على أصحاب القدرات لسنا نحفظ ونضمن جهد المجتهد منهم فحسب، بل إنّنا نحرّك نفوساً ربما لا يحرّكها أسلوب آخر...»[٣].

ب ـ التَّدريب:

وممَّا لا شكَّ فيه أنَّ الله ﷻ قد وهب الإنسان طاقات هائلة، وإمكانات متعدّدة، لكن أكثر هذه الطَّاقات كامن يحتاج إلى اكتشاف، ومن ثمّ تنمية وتدريب حتَّى يبلغ الإنسان أعلى كمالاته المتاحة.

وفي مجال التَّربية والتَّعليم فإنَّ أسلوب التَّدريب يساعد على تحسين إمكانات المتربّين، وتحسين أدائهم، وهو الأسلوب الفعّال لبلوغ الغايات الّتي

---

(١) مسلم بن الحجَّاج النّيسابوري: صحيح مسلم، مرجع سابق، باب غزوة ذي قرد، رقم (١٨٠٦)، ص٧٥٣.

(٢) إبراهيم بن صالح الدّحيم: أساليب نبويّة في التَّربية والتَّعليم، البيان، مرجع سابق، العدد ٢٠٩، (المحرّم ١٤٢٦هـ)، ص٣٦.

(٣) المرجع السَّابق، ص٣٧.

يرسمها المربِّي لهم، «ومن المجمع عليه الآن أنَّ ما يتعلّمه المرء وما يكتسبه من مهارات، أهمّ بكثير ممَّا ورثه عن آبائه من ذكاء وألمعيّة»[١].

ويعرَّف التَّدريب بأنَّهُ «عبارة عن نشاط منظّم، يركّز على الفرد لتحقيق تغيّر في معارفه ومهاراته وقدراته لمقابلة احتياجات محدّدة في الوضع الحاضر أو المستقبلي، في ضوء متطلّبات العمل الَّذي يقوم به المرء، وفي ضوء تطلّعاته المستقبليّة للوظيفة الَّتي يقوم بها في المجتمع»[٢].

يظنّ بعض النَّاس أنَّ الحاجة للتّدريب تُعنى بمن يزاول المهن التّطبيقيّة والمهنيّة، بينما مهنة التَّربية والدّعوة لا تحتاج إلى شيء من ذلك، والأمر على خلاف ما يتصوّر أولئك.

إنّنا معاشر المربّين والدّعاة إلى الله «بحاجة لمن يعلّمنا فنّ الحوار، وفنّ الصّمت، كما أنّنا بحاجة إلى من يدرّبنا على إدارة الوقت، ومن يدرّبنا على رسم الأهداف، وعلى التخلّي عن النّزعات العدوانيّة، ومن يدرّبنا على القراءة المثمرة والتّفكير المبدع، وحين نحرز تقدّماً على هذه الأصعدة؛ فإنّنا سنجد أنَّ معالم حياتنا كلّها قد تغيّرت، وصارت فرص النّجاح والارتقاء أفضل بكثير ممَّا هي عليه الآن»[٣].

إنَّ مشيئة الله وحكمته البالغة، في تهيئة جميع أنبيائه لرعي الغنم قبل بعثتهم، لهي وقفة تستحقّ النّظر والتأمّل.

إنَّها فرصة للتّدريب على سياسة النَّاس والصَّبر عليهم، إضافة إلى ما تورثه رعايتها من الرّحمة واللّين؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيّاً إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ؛ كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لأَهْلِ مَكَّةَ»[٤].

---

(١) عبد الكريم بكّار: حول التَّربية والتَّعليم، مرجع سابق، ص٣٢٥.

(٢) المرجع السَّابق، ص٣٢٥.

(٣) المرجع السَّابق، ص٣٣٠.

(٤) محمَّد بن إسماعيل البخاريّ: صحيح البخاري، مرجع سابق، باب رعي الغنم، رقم (٢٢٦٢)، ص٤٢١.

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ معلّقاً على هذا الحديث: «قال العلماء: الحكمة في إلهام الأنبياء من رعي الغنم قبل النبوّة أن يحصل لهم التمرّن برعيها على ما يكلّفونه من القيام بأمر أمّتهم»[١]، فإذا كان الأنبياء ـ عليهم الصّلاة والسّلام ـ يحتاجون إلى نوع تمرين وتدريب لأجل رعاية الخلق والقيام عليهم، فغيرهم ممَّن يسير على طريقتهم من باب أولى.

فحريّ بالمربّين والآباء أن يهتمّوا بتدريب من تحت أيديهم، وتمكينهم من الدّورات التدريبيّة الّتي تتناسب ومراحلهم العلمية والعمريّة؛ لأنَّ ذلك يحفزهم وينشّطهم على إتقان أعمالهم، واستنفاد جميع قواهم وطاقاتهم.

٧ ـ التّربية بالتّوجيه غير المباشر:

التّوجيه غير المباشر يعني التّعريض، والتّعريض خلاف التّصريح، ومنه عرّضت به تعريضاً إذا قلت قولاً وأنت تعنيه[٢].

إذاً فالتّوجيه غير المباشر هو دفع المربّي أتباعه لعمل ما دون التّصريح به. ولقد كان هذا الأسلوب من أكثر الأساليب الّتي اعتمدها الرّسولُ ﷺ في تربيته لأصحابه، بل لا تكاد تخلو أحاديثه وتوجيهاته منه، وهو أسلوب راق وشفّاف يلامس القلوب ولا يخدشها، وله فوائد جمّة قد لا تتوفّر في غيره من الأساليب، منها:

أ ـ أنَّ فيه ستر للمسيء أو المخطئ، وإعانة له على تصحيح خطئه دون معرفة الآخرين؛ ممّا قد يجنّبه الحرج أو العناد والإصرار على الخطأ.

ب ـ أنّه ينمّي المبادرة الذاتيّة لدى المتربّي، ويساعده على اتّخاذ القرار.

ج ـ أنّه يجعل الدّافع للعمل أو التّرك ذاتياً؛ ممّا قد يجنّب المتربّي الوقوع في الرّياء أو المجاملة.

---

(١) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري في شرح صحيح البخاريّ، مرجع سابق، ٤/٥٥٨.
(٢) أحمد بن محمّد الفيّومي: المصباح المنير، بيروت، مكتبة لبنان، ١٤٢١هـ، ص١٥٣.

د - أنَّه يقوّي جانب الثقة بالنَّفس، واستقلال الشَّخصيَّة؛ ممَّا يدفع المتربّي للاستمرار في العمل دون أمر المربِّي.

هـ - بعض المتربّين مرهف الإحساس، شديد الحساسيّة للنّقد؛ ممَّا قد يجعل التَّوجيه غير المباشر أكثر ملاءمة لشخصيّته.

وإليك بعض توجيهات النَّبيّ ﷺ غير المباشرة، وكيف آتت أكلها مع أصحابه رضوان الله عليهم:

روى البخاري عن حكيم بن حزام رضي الله عنه قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ قَالَ: **«يَا حَكِيمُ إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ؛ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى»**. قَالَ حَكِيمٌ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَرْزَأُ[(١)] أَحَداً بَعْدَكَ شَيْئاً حَتَّى أُفَارِقَ الدُّنْيَا، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه يَدْعُو حَكِيماً إِلَى الْعَطَاءِ فَيَأْبَى أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُ، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ رضي الله عنه دَعَاهُ لِيُعْطِيَهُ فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ شَيْئاً، فَقَالَ عُمَرُ: إِنِّي أُشْهِدُكُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى حَكِيمٍ أَنِّي أَعْرِضُ عَلَيْهِ حَقَّهُ مِنْ هَذَا الْفَيْءِ فَيَأْبَى أَنْ يَأْخُذَهُ. فَلَمْ يَرْزَأْ حَكِيمٌ أَحَداً مِنَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى تُوُفِّيَ[(٢)].

تلاحظ أنَّ الرَّسولَ ﷺ لم يطلب من حكيم بن حزام ترك السؤال صراحة، بل بيّن له مساوئ المسألة لا سيّما إذا كانت لتكثير المال دون بذله وإنفاقه، وشبّهها له بمن يأكل ولا يشبع، فالمال إذا لم تتحصّل به الفوائد كانت زيادته كالعدم، كمن يأكل ولا يشبع[(٣)].

---

(١) أرزأ: أسأل، يقال: رَزَأْتُهُ أرْزَؤُه. وأصله النّقص.
ابن الأثير: النّهاية في غريب الحديث، مرجع سابق، مادّة (رزأ)، ص٢١٨.

(٢) محمّد بن إسماعيل البخاريّ: صحيح البخاري، مرجع سابق، باب الاستعفاف عن المسألة، رقم (١٤٧٢)، ص٢٨٧.

(٣) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري في شرح صحيح البخاريّ، مرجع سابق، ٣/٤٢٩.

كان لهذا التّوجيه غير المباشر من رَسُولِ الله ﷺ أبلغ الأثر في نفس حكيم رضي الله عنه، حيث امتنع لا عن السؤال فحسب، بل حتّى عن قبول المال الّذي يستحقّه من الفيء.

ألا يمكن أيّها الآباء والمربّون أن نستحضر هذا الحديث عند وقوع أبنائنا ومن نربّي في خطأ ما، فنعمل على بيان مساوئ ذلك الخطأ وما يترتّب عليه بأسلوب هادئ قبل أن نشرع في المنع المباشر.

وقد كان ﷺ كما وصفت ذلك أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها بقولها: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا بَلَغَهُ عَنِ الرَّجُلِ الشَّيْءُ لَمْ يَقُلْ: مَا بَالُ فُلَانٍ يَقُولُ؟ وَلَكِنْ يَقُولُ: مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَقُولُونَ كَذَا وَكَذَا؟»[(١)].

وفي بعض الأحيان يذكر بعضاً من أخطاء الأمم السّابقة وما أوجبته لهم من غضب الله وعذابه، وهو يريد بذلك تحذير أصحابه من فعل ما فعلوا، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي مَرَضِهِ الَّذِي لَمْ يَقُمْ مِنْهُ: **«لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»**. قَالَتْ: فَلَوْلَا ذَاكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ، غَيْرَ أَنَّهُ خُشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِداً[(٢)].

وأحياناً يأمر أصحابه بما يريد قوله للرّجل، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلاً دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَعَلَيْهِ أَثَرُ صُفْرَةٍ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَلَّمَا يُوَاجِهُ رَجُلاً فِي وَجْهِهِ بِشَيْءٍ يَكْرَهُهُ، فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ: **«لَوْ أَمَرْتُمْ هَذَا أَنْ يَغْسِلَ هَذَا عَنْهُ»**[(٣)].

وأحياناً يخاطب شخصاً ليُسْمِعَ غيره؛ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ عِنْدَهُ جُلُوسٌ وَأَحَدُهُمَا يَسُبُّ صَاحِبَهُ مُغْضَباً قَدِ

---

(١) تقدّم تخريجه ص٨٩.

(٢) محيي الدّين النّووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجّاج، مرجع سابق، باب النّهي عن بناء المساجد على القبور، ج٦٥٥، رقم (١١٨٤)، ص١٥.

(٣) أبو داود سليمان بن الأشعث: سنن أبي داود، مرجع سابق، باب في الخلوق للرّجال، رقم (٤١٨٢)، ص٤٠٥.

احْمَرَّ وَجْهُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي لأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ؛ لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»، فَقَالُوا لِلرَّجُلِ: أَلَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ، قَالَ: إِنِّي لَسْتُ بِمَجْنُونٍ[١].

ويؤخذ من هذا الحديث؛ أنَّه ليس من الحكمة أن يواجه المتربّي بالنّصح المباشر في حالة فوران الغضب.

٨ ـ التَّربية بالتَّعويد على تحمّل المسؤوليَّة:

إنَّ تعويد المتربّي تحمّل المسؤوليَّة، وإشعاره بأنّ عليه دوراً هامّاً، يجب أن يحرص على أدائه بكلّ أمانة، هو بحدّ ذاته يبني شخصيّته، ويقوّي ثقته بنفسه، ويجعله يندفع ذاتياً نحو العمل، ما دامت الأمور لم يستأثر بها دونه.

ولا شيء يحقّق ذلك بقدر ما يحقّقه إشراكه بالمسؤوليّة واعتباره عضواً فاعلاً في رعاية مصالحه ومصالح المجتمع كلّه.

وحين نعود لسيرة المصطفى ﷺ نجد أنَّه جعل جميع أفراد المجتمع مسؤولين فيه، فليست المسؤوليَّة منوطة بفردٍ دون آخر، قال ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»[٢].

وقال ﷺ: «مَثَلُ الْمُدْهِنِ فِي حُدُودِ اللهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا مَثَلُ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا سَفِينَةً، فَصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَسْفَلِهَا وَصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَعْلَاهَا، فَكَانَ الَّذِي فِي أَسْفَلِهَا يَمُرُّونَ بِالْمَاءِ عَلَى الَّذِينَ فِي أَعْلَاهَا، فَتَأَذَّوْا بِهِ، فَأَخَذَ فَأْساً فَجَعَلَ يَنْقُرُ أَسْفَلَ السَّفِينَةِ، فَأَتَوْهُ فَقَالُوا: مَا لَكَ؟ قَالَ: تَأَذَّيْتُمْ بِي وَلَا بُدَّ لِي مِنَ الْمَاءِ، فَإِنْ

---

(١) محمَّد بن إسماعيل البخاريّ: صحيح البخاري، مرجع سابق، باب الحذر من الغضب، رقم (٦١١٥)، ص١١٨٠.

(٢) المرجع السَّابق، باب كراهية التَّطاول على الرّقيق، رقم (٢٥٥٤)، ص٤٨٣.

أَخَذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَنْجَوْهُ وَنَجَّوْا أَنْفُسَهُمْ، وَإِنْ تَرَكُوهُ أَهْلَكُوهُ وَأَهْلَكُوا أَنْفُسَهُمْ»[١].

فحريّ بالمربّين اليوم أن يسيروا على منهاج النّبوّة نفسه، متّبعين بذلك جميع الأساليب الّتي سلكها رَسُولُ الله ﷺ مع صحابته الكرام؛ ليخرج لنا بإذن الله جيل يحمل المسؤوليّة، ويقدّرها قدرها.

ومن تلك الأساليب الّتي تعوّد المتربّين على تحمّل المسؤوليّة:

١ ـ مشاورتهم وتعويدهم إبداء الرأي:

لقد كان النّبيُّ ﷺ يعتمد الشّورى في مسيرته التّربويّة مع أصحابه، مع أنّه مُؤَيَّدٌ من عند الله، ومع كمال عقله ورجحان رأيه.

والأمثلة على استشارته ﷺ لأصحابه وقبوله مشورتهم كثيرة، منها: استشارته للمسلمين يوم بدر لملاقاة العدوّ خارج المدينة، وقوله لهم: «**أشِيرُوا عليَّ أيُّهَا النَّاس**»، فأشار الجميع بأنّه لا مانع من ملاقاة العدوّ[٢].

وكذلك قَبوله مشورة الحُباب بن المنذر رضي الله عنه في تغيير مكان نزول الجيش[٣].

وقَبوله لمشورة سلمان الفارسيّ رضي الله عنه في حفر الخندق حول المدينة[٤].

واستشارته لسعد بن معاذ وسعد بن الرّبيع رضي الله عنهما في أن يُعطي غطفان ثلث ثمار المدينة على أن ترجع، فأشاروا عليه بأن لا يفعل[٥].

ومن الأمثلة على الشّورى كذلك؛ ما جاء في قصّة إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾

---

(١) محمّد بن إسماعيل البخاريّ: صحيح البخاري، مرجع سابق، باب القرعة في المشكلات، رقم (٢٦٨٦)، ص٥١١.

(٢) ابن هشام: السّيرة النّبويّة، مرجع سابق، ٢/٢٠٥.

(٣) المرجع السّابق، ص٢١٠.

(٤) أبو بكر الجزائريّ: هذا الحبيب يا محبّ، المدينة المنوّرة، مكتبة العلوم والحكم، ١٤١٤هـ، ص٣٠١.

(٥) المرجع السّابق، ص٣٠٦.

[الصافات: ١٠٢]، «فلم يتعجّل ﷺ على ولده ليقضي أمر الله تعالى، وإنَّما شاوره؛ لتكون الاستجابة عن رضا نفس»[(١)].

هذا ولمشاورة المتربّين وتعويدهم إبداء الرأي فوائد كثيرة، منها:

١ ـ تنمية عقول المتربّين، وتفجير طاقاتهم الكامنة، واستثمار أجود ما فيها، ودفعهم إلى حالة من الوعي والإدراك، والتَّفكير المنطقيّ السَّليم؛ الَّذي يجعل منهم عناصر خير في المجتمع[(٢)].

٢ ـ تعويدهم على الجرأة الأدبيّة، والقدرة على التَّعبير الصَّحيح عند إبداء الرأي.

٣ ـ أنَّها وسيلة للكشف عن كفاءات المتربّين، وقدراتهم العقليّة، وحذقهم، وحدّة رأيهم.

٤ ـ إنَّ مشاورة المتربّين، واحترامهم، وإشعارهم بالثّقة في أنفسهم خير معين لهم على تحمّل المسؤوليَّة.

٥ ـ وكذلك فإنَّ مشاورة المتربّين تعطيهم دفعاً وحماساً يجعلهم يبذلون ما في وسعهم من نصح وإخلاص وأمانة[(٣)].

ب ـ تعويدهم على المشاركة والعمل:

«اعتاد كثير من ناشئة المسلمين اليوم أن يُكفى كلّ شيء، فهو في المنزل يقدّم له الطَّعام والشَّراب، ويتولّى أهله تنظيم غرفته، وغسل ملابسه، فساهم ذلك في توليد جيل كسول؛ لا يعرف العمل والمسؤوليَّة»[(٤)].

وليت الأمر توقّف عند حدود البيت فحسب، «ففي المدرسة وميادين

---

(١) خولة درويش: تعويد الأطفال تحمّل المسؤوليّة، البيان، مرجع سابق، العدد ٣٧، (رمضان ١٤١١هـ)، ص٨١.

(٢) زياد محمود العاني: أساليب الدّعوة والتَّربية في السنّة النَّبويَّة، مرجع سابق، ص٢٩٣.

(٣) المرجع السَّابق، ص٢٩٤.

(٤) محمَّد بن عبد الله الدّويش: معالم في المنهج التَّربويّ النَّبويّ، البيان، مرجع سابق، العدد ١٢٥، (المحرّم ١٤١٩هـ)، ص٣٠.

التَّعليم اعتاد التَّلاميذ الكسل الفكريّ، وصار دورهم مجرّد تلقّي المعلومات جاهزة دون أيّ جهد، وحتَّى حين يُطلب منهم بحث أو مقالة فلا بُدَّ أن تحدّد لهم المراجع، وبأرقام الصّفحات، وقل مثل ذلك في كثير من المحاضن التَّربويَّة»[١].

إنَّك أيُّها المربِّي إن لم تنفض غبار الكسل عن المتربّين، وتعوّدهم المشاركة والعمل، فلن تُخرّج جيلاً ذا بال، يحمل مسؤوليَّة نفسه ومسؤوليّة مجتمعه، ذلك أنَّ الإحساس بالمسؤوليّة تجاه الآخرين لن يتكوَّن إلَّا نتيجة تحمّل المسؤوليَّة فعلاً؛ أي: عن طريق المشاركة والعمل مع الآخرين؛ لمواجهة الأعباء والمشكلات الَّتي تعصف بالفرد والمجتمع.

هذا وقد غرس النَّبيُّ ﷺ في نفوس أتباعه منذ فجر الدّعوة حمل مسؤوليَّة الدّعوة، وبناء الدَّولة، فمن أوَّل يوم يصل فيه المدينة يؤسّس مقرّاً لدعوته (المسجد) ويدعو المسلمين للمشاركة والعمل في بنائه، معلناً لأتباعه أنَّه لا مكان للكسل والتَّراخي.

وكان ﷺ يشرط على من يبايعه النّصح لكلّ مسلم، عن جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ البجليّ ﷺ قال: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ قُلْتُ: أُبَايِعُكَ عَلَى الإِسْلَامِ، فَشَرَطَ عَلَيَّ: «وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ»، فَبَايَعْتُهُ عَلَى هَذَا[٢].

ولم تكن المشاركة والعمل مقصورة على الرِّجال وحدهم، بل كان ﷺ يدعو النِّساء لتقديم المستطاع في ذلك، وأن يكون دورهنّ إيجابيّاً في المجتمع المسلم، فالسّلبيّة غير مقبولة عنده حتَّى من النِّساء؛ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: «... كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ حِينَ يُجَلِّسُ بِيَدِهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ يَشُقُّهُمْ، حَتَّى جَاءَ النِّسَاءَ مَعَهُ بِلالٌ، فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ [الممتحنة: ١٢] الآيَةَ، ثُمَّ قَالَ حِينَ فَرَغَ مِنْهَا: آنْتُنَّ عَلَى ذَلِكِ؟ قَالَتِ امْرَأَةٌ وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ لَمْ يُجِبْهُ غَيْرُهَا:

---

(١) محمَّد بن عبد الله الدّويش: معالم في المنهج التَّربويّ النَّبويّ، البيان، مرجع سابق، ص٣٠.

(٢) محمَّد بن إسماعيل البخاريّ: صحيح البخاري، مرجع سابق، باب قول النَّبيّ ﷺ: «الدِّين النَّصيحة»، رقم (٥٨)، ص٣٥.

نَعَمْ، قَالَ: **فَتَصَدَّقْنَ**، فَبَسَطَ بِلَالٌ ثَوْبَهُ، ثُمَّ قَالَ: **هَلُمَّ، لَكُنَّ فِدَاءٌ أَبِي وَأُمِّي، فَيُلْقِينَ الْفَتَخَ وَالْخَوَاتِيمَ فِي ثَوْبِ بِلَالٍ**»[١].

ومثلما أنَّ السَّلبيّة غير مقبولة عند الرَّسولِ ﷺ من النِّساء، فكذلك هي غير مقبولة عنده من الفقير.

عَنْ أبي موسى الأشعريّ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ**، فَقَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ! فَمَنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: **يَعْمَلُ بِيَدِهِ؛ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ، وَيَتَصَدَّقُ**، قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: **يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ**، قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: **فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ، وَلْيُمْسِكْ عَنِ الشَّرِّ؛ فَإِنَّهَا لَهُ صَدَقَةٌ**»[٢].

٩ ـ التَّربية بالمعايشة والمصاحبة:

«إنَّ مفهوم المعايشة هو أن يُظهر المربِّي استعداده لمعايشة المتربّين، واستقبالهم، والجلوس معهم، وأن يشعرهم بتوفّر الوقت والمكان لديه؛ لمعالجة قضاياهم، وحلّ مشكلاتهم»[٣]، وتتمثّل أيضاً في الاستعداد التامّ لمرافقة المتربّين في رحلاتهم وزياراتهم.

ولقد كان رَسُولُ اللهِ ﷺ معايشاً لأصحابه ومصاحباً لهم؛ لا يتبرّم من كثرة مسائلهم، ولا يحجب منهم أحداً، يهنئهم في أفراحهم، ويواسيهم في أحزانهم، ويحلّ مشكلاتهم.. يزورهم في منازلهم، كما يستقبلهم في بيته.. يسافر ويأكل ويشرب وينام معهم. كيف لا! وهو القائل ﷺ: «**الْمُسْلِمُ إِذَا كَانَ مُخَالِطاً النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ خَيْرٌ مِنَ الْمُسْلِمِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ**»[٤]، ولكنّه ومن خلال تلك المعايشة يربِّي ويوجّه.

---

(١) محمَّد بن إسماعيل البخاريّ: صحيح البخاري، مرجع سابق، باب موعظة الإمام النِّساء يوم العيد، رقم (٩٧٩)، ص١٩٥.

(٢) المرجع السَّابق، باب على كلّ مسلم صدقة، رقم (١٤٤٥)، ص٢٨١.

(٣) سالم البطاطي: المعايشة التَّربويَّة، الرِّياض، دار مدار الوطن، ١٤٢٧هـ، ص٧.

(٤) محمَّد بن عيسى التِّرمذيّ: سنن التِّرمذيّ، مرجع سابق، رقم (٢٥٠٧)، ص٥٦٤. وهو في السِّلسلة الصَّحيحة للألباني برقم (٩٣٩)، ص٦٥٢.

وإذا كان من الواجب على المؤمن الملتزم بالمنهج الصَّحيح أن «يخالط النَّاس لغاية واضحة، هي العمل على انتشالهم من الضَّلال إلى الهدى، ومن البدعة إلى السُّنَّة، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، ولا يستطيع أن يؤدّي ذلك بصورة صحيحة مؤثّرة إلَّا مَن داخَل النَّاس وعاشرهم، وعرف أحوالهم، وأحسن إليهم بلسانه ويده ما استطاع إليه سبيلاً»(١)، فإنَّه حريّ بالمربّي أن يجعل لمعايشته ومصاحبته لطلّابه هدفاً وغاية.

ويجب أن تكون المعايشة والمصاحبة بالقدر الَّذي لا يؤدّي إلى سقوط هيبة المربّي ونفاد ما عنده، ممَّا قد يؤدّي إلى جُرأة المتربّي عليه، وزوال الكلفة بينهما.

وللتّربية بالمعايشة والمصاحبة فوائد كثيرة، منها: معرفة المربّي بشخصيّة المتربّي، وطباعه، وقدراته، ومن ثمّ وضع الآليّات والأساليب المناسبة للتَّعامل معه، وكذلك غرس بعض المفاهيم التَّربويَّة والإيمانيّة في شخصيّته من خلال القدوة والتَّوجيه المستمرّ.

وبعد التعرّف على مفهوم التَّربية بالمعايشة والمصاحبة وفوائدها، لعلّه من المناسب أن نتحدّث عن أسلوب من أساليب التَّربية بالمعايشة والمصاحبة على سبيل المثال وبيان المقصود.

الرَّحلات والمخيّمات:

تعدُّ الرّحلات من أنجع الأساليب التَّربويَّة، وأقواها تأثيراً على المتربّين، سواءً أكانوا كباراً أم صغاراً؛ وذلك لتوفّر الرّغبة الشَّديدة، والمحبّة المتناهية، والاستعداد التامّ لها، إنَّها بمثابة خروج عن المألوف والعادة بالنّسبة لهم.

لذا فإنَّه يتوجّب على المربّي أن يقوم برحلات مع المتربّين بين الحين والحين، وسيجني من خلالها فوائد جمّة، منها:

أ ـ أنَّها مجالٌ رحبٌ للتَّربية بالمعايشة والمصاحبة والقدوة، والتَّوجيه المباشر وغير المباشر.

---

(١) سلمان بن فهد العودة: العزلة والخلطة، ط٢، الدمّام، دار ابن الجوزي، ١٤٢٦هـ، ص٥٠.

ب - التَّدريب العمليّ على التَّعاون والعمل الجماعيّ، والتخلّص من الانطوائيّة والعزلة.

ج - التَّدريب على القيادة والإدارة، وذلك بتعيين واحدٍ من المتربّين في كلّ رحلة، وتكليفه بالإشراف على الرِّحلة، ووضع الخطّة والمتابعة حتَّى النِّهاية.

د - زيادة التَّرابط والأخوَّة والمحبّة في الله بين أفراد المجموعة.

هـ - أنَّها تسفر عن أخلاق المتربّين، وتظهرهم على حقيقتهم أمام المربِّي كما يسفر السَّفَر عن أخلاق الرِّجال، وبذلك يتمكّن المربِّي من التَّقويم الصَّحيح، ووضع العلاج المناسب لبعض السّلوكيّات.

و - أنَّها وسيلة للاستجمام والتَّرفيه الآمن؛ الَّذي يبعث في النّفس النّشاط والحيويّة، والقدرة على العطاء.

١٠ - التَّربية بالعقوبة:

لا شكّ أنَّ التَّربية بالعقوبة من الأمور غير المستنكرة في الإسلام، «فوضع قاعدة مسبقة بتحريم العقوبة الحسيّة أو تحريم العقوبة إطلاقاً؛ مفسد في التَّربية، كوضع قاعدة مسبقة بضرورة استخدامها في كلّ حالة ولو لم تدعُ الضّرورة إليها»[(١)].

وهكذا استخدم رَسُولُ الله ﷺ العقوبة أسلوباً من أساليب التَّربية في الإسلام؛ لتقويم الأخلاق، وتعديل السُّلوك، وإصلاح النّفوس، وإشعار المرء بخطئه؛ لغرض تلافيه وتداركه.

لذلك ينبغي على المربِّي أن يقوم بالعقوبة للإصلاح، لا للانتقام والتّشفّي، وعليه أن يكفّ عنها إذا لم تؤدِ إلى الإصلاح المنشود.

وهكذا تكون العقوبة في التَّربية أسلوباً من أساليب التأديب؛ شريطة أن يراعى فيها التدرّج من الرِّفق إلى الشدّة، ومناسبتها لما ارتكب من أخطاء.

---

(١) محمَّد قطب: منهج التَّربية الإسلاميَّة، مرجع سابق، ٢/١٣٦.

والمربّي الحكيم يَدْرس حالة المتربّي الَّذي بين يديه، ويقدّر ما يصلح له؛ مراعياً الفروق الفرديّة بين متربٍّ وآخر.

فهنالك عمل يستحقّ القسوة في العقوبة، وآخر لا يستحقّ ذلك، وهناك متربٌّ يرى في الإعراض عنه لحظة عقوبة قاسية لا يتحمّلها وجدانه، وآخر يبكي ألماً إذا عُبس في وجهه، وهكذا[1].

وهذه بعض النّماذج للتّربية بالعقوبة:

١ ـ التّربية بالإعراض بالوجه:

قد يكون الإعراض بالوجه عقوبة قاسية عند بعض المتربّين، لا سيّما إذا صدر ممَّن له مكانة كبيرة في قلوبهم؛ إذ المتربّي ذو الأخلاق الحسنة، والخلال الكريمة لا يتحمّل إعراض مربّيه عنه، فإذا حدث ذلك؛ فإنَّه سرعان ما يستدرك خطأه، ويصحّح مسلكه.

إنَّ كثرة التأنيب والتّقريع للمتربّي سرعان ما تُذهب فاعليّة أسلوب الإعراض بالوجه، فليتنبّه المربّون لذلك، وعليهم أن يتعهّدوا علاقاتهم الإنسانيّة مع المتربّين؛ لأنَّ ذلك دعامة أساسيّة لصلاحية هذا الأسلوب.

والنَّبيُّ ﷺ ـ الَّذي كان يحبّه أصحابه أكثر من أنفسهم ـ استخدم هذا الأسلوب في تربيته أصحابه، وكان هذا الأسلوب ذا أثر كبير وفعّال في سرعة تدارك الخطأ، وفعل الصّواب، ومن أمثلة ذلك:

ما روى الترمذيّ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ رضي الله عنه قَالَ: تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً، فَجَاءَتْنَا امْرَأَةٌ سَوْدَاءُ، فَقَالَتْ: إِنِّي قَدْ أَرْضَعْتُكُمَا، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: تَزَوَّجْتُ فُلَانَةَ بِنْتَ فُلَانٍ، فَجَاءَتْنَا امْرَأَةٌ سَوْدَاءُ فَقَالَتْ: إِنِّي قَدْ أَرْضَعْتُكُمَا وَهِيَ كَاذِبَةٌ، قَالَ: فَأَعْرَضَ عَنِّي، قَالَ: فَأَتَيْتُهُ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ، فَأَعْرَضَ عَنِّي بِوَجْهِهِ، فَقُلْتُ: إِنَّهَا كَاذِبَةٌ، قَالَ: «**وَكَيْفَ بِهَا وَقَدْ زَعَمَتْ أَنَّهَا قَدْ أَرْضَعَتْكُمَا؟**

---

(١) محمَّد قطب: منهج التّربية الإسلاميّة، مرجع سابق، ص١٣٦.

دَعْهَا عَنْكَ»[(١)].

إنَّ إعراض النَّبيّ ﷺ عنه لما رأى من رغبته في استمرار الزَّواج، وتكذيبه دعوى الأمَة، دون أن يجعل احتمالاً لصدقها، حيث الأولى والأحوط أن يرجّح جانب الصّدق في مثل هذه الأمور؛ دفعاً للشّبهة.

وقد استخدم النَّبيُّ ﷺ الإعراض هنا كأسلوب من أساليب التَّربية، حيث أراد به أن يأخذ بالأحوط، وأن يتحرَّى الصّدق والدِّقَّة في مثل هذه الأمور.

وكذلك ما روى الإمام مسلم أنَّ سَلَمَةَ بْنَ يَزِيد الْجُعْفِيّ سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ! أَرَأَيْتَ إِنْ قَامَتْ عَلَيْنَا أُمَرَاءُ يَسْأَلُونَا حَقَّهُمْ، وَيَمْنَعُونَا حَقَّنَا، فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ فِي الثَّانِيَةِ أَوْ فِي الثَّالِثَةِ، فَجَذَبَهُ الأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ وَقَالَ: **اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، فَإِنَّمَا عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ**[(٢)].

إنَّ إعراض رَسُولِ الله ﷺ عن سلمة بن يزيد فيه نوع من التَّحذير من الخروج على الأمراء، وهو أسلوب يستخدمه الرَّسول ﷺ في بعض المواقف، فيقوم مقام اللّوم والعتاب.

والمتأمّل سيرة الرَّسول ﷺ يجد أنَّ التَّنوّع في أساليب العقوبة سمة بارزة في تربيته ﷺ؛ وذلك لعلمه أنَّ تنويع الأساليب والمداولة بينها أوقع في النّفس، وأبلغ في التأثير.

ب ـ التَّربية بالتَّأنيب التَّعليمي:

التَّأنيب لغة: من أنّبه تأنيباً؛ لامه أو بكّته[(٣)]. والتَّأنيب من أساليب التَّربية النَّبويَّة، وتتفاوت لهجة الكلام فيه حسب نوعيّة الخطأ، وشخصيّة

---

(١) محمَّد بن عيسى التِّرمذيّ: سنن التِّرمذيّ، مرجع سابق، باب ما جاء في شهادة المرأة الواحدة في الرّضاع، رقم (١١٥٠)، ص٢٧٣. صحّحه الترمذيّ.

(٢) مسلم بن الحجّاج النّيسابوري: صحيح مسلم، مرجع سابق، باب في طاعة الأمراء وإن مَنَعُوا الحقوق، رقم (١٨٤٦)، ص٧٧١.

(٣) الفيروزآبادي: القاموس المحيط، مرجع سابق، ص٥٧.

مرتكبه، فقد يكون خطأ ما مدعاة لتأنيب شديد لمتربٍّ، في حين يكون التأنيب خفيفاً أو معدوماً لخطأ مثله، أو أشدّ منه لمتربٍّ آخر؛ وذلك حسب حالة كلّ متربٍّ وطبيعته النَّفسيَّة.

ومن أمثلة التأنيب الشَّديد: ما جاء في حديث أبي ذرٍّ ﷺ عندما عيَّر رجلاً بأمّه، وقد تقدّم هذا الحديث بتمامه[1].

ومن أمثلة عدم التأنيب: ما حصل مع حاطب بن أبي بلتعة ﷺ عندما بعث برسالة إلى قريش يخبرها بمسير رَسُولِ الله ﷺ إلى مكّة عام الفتح.

تلاحظ أنَّ الخطأ الَّذي ارتكبه حاطب ﷺ أكبر بكثير من خطأ أبي ذرٍّ ﷺ؛ لأنَّ خطأ حاطب يعتبر خيانة لله ولرسوله ﷺ، في حين أنَّ خطأ أبي ذرٍّ لا يعدو أن يكون وجود خصلة من خصال الجاهليّة فيه، لكنّه أُنّب دون حاطب[2].

«والسَّبب ـ والله أعلم ـ أنَّ أبا ذرٍّ لم يكن يعلم أنَّ خطأه هذا ينبيء عن وجود خصلة من خصال الجاهليّة وعاداتها المستهجنة فيه، فكان تأنيب رَسُولِ الله ﷺ له بمثابة هزّة عنيفة نبّهته على ذلك، وجعلته يسأل رَسُولَ الله ﷺ ومستغرباً: «عَلَى حِينِ سَاعَتِي هَذِهِ مِنْ كِبَرِ السِّنِّ»[3]، ثمَّ بدا أثر ذلك التأنيب واضحاً في سلوك أبي ذرٍّ بعدُ؛ ممَّا جعله يُلبس غلامه مثل ما يلبس.

أمَّا حاطب بن أبي بلتعة ﷺ فإنَّه قد شعر بخطئه وعظيم فعله، وأنّ فعله هذا ممَّا يخرج من الإسلام، ممَّا جعله ينفي ذلك عن نفسه بقوله: «مَا بِي إِلَّا أَنْ أَكُونَ مُؤْمِناً بِاللهِ وَرَسُولِهِ»[4]، فيبدو أنّه قد اعترته حالة ضعف طارئة من حالات الضّعف الَّتي تعتري النّفس البشريَّة مهما بلغ من كمالها وقوّتها،

---

(١) انظر: ص٦٩.

(٢) زياد محمود العاني: أساليب الدّعوة والتَّربية في السنّة النّبويّة، مرجع سابق، ص٤٦٦.

(٣) محمَّد بن إسماعيل البخاريّ: صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب الأدب، رقم (٦٠٥٠)، ص١١٧٠.

(٤) المرجع السَّابق، كتاب الاستئذان، رقم (٦٢٥٩)، ص١٢٠٥.

يضاف إلى ذلك انكشاف أمره، مع ما اعتراه من الحياء والخوف والخجل وغيرها ممَّا ألمّ به، وهذا كاف لتأنيبه، ولهذا صدّقه رَسُولُ الله ﷺ وغمره بعطفه وحنانه، وأمر أصحابه بأن لا يقولوا له إلّا خيراً»[(١)].

والقول الأصوب ـ والله أعلم ـ أنه كان متأولاً بدليل أنه قال كما صحت به رواية أحمد: «أما إني لم أفعله غشاً يا رسول الله ولا نفاقاً قد علمت أن الله مظهر رسوله ومتم له أمره»[(٢)] فهو يعلم أن الموالاة كفر لكنه لا يعد ما فعله موالاة ـ تأويلاً ـ لثقته أن الله ناصر رسوله ﷺ، ولكنه أراد منعة الكفار لأهله.

ومن العلماء من عد ما بدر من حاطب رضي الله عنه من الموالاة الخاصة غير المكفرة، ومن هؤلاء: شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال في مجموع الفتاوى: «وقد تحصل للرجل موادتهم لرحم أو حاجة فتكون ذنباً ينقص به إيمانه ولا يكون به كافراً، كما حصل من حاطب بن أبي بلتعة لما كاتب المشركين ببعض أخبار النبي ﷺ وأنزل الله فيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾[(٣)] [الممتحنة: ١].

إنَّ التّأنيب التّعليميّ هو أسلوب تالٍ لأسلوب الإعراض بالوجه؛ لا يُلجأ إليه ما دام أسلوب الإعراض بالوجه ساري المفعول.

خلاصة:

تمَّ في هذا الفصل استعراض تعريف الأسلوب، وأهميّته، وذكر بعض أساليب التّربية الجماعيّة مدعّمة بالأحاديث والمواقف النّبويّة الممتلئة بالحكمة والعظة والعبرة، والّتي لا غنى لأيّ مربٍّ عن الاستفادة منها؛ إذ إنَّ أساليب النّبيّ ﷺ التّربويّة الّتي استخدمها مع أصحابه كانت شاملة لكلّ المواقف الّتي يمكن أن يتعرّض لها أيّ مربٍّ مع طلّابه في أيّ زمان ومكان. كما ينبغي على المربّي أن يتدرّج في أسلوبه بما يحقّق النّفع والمصلحة المنشودة.

---

(١) زياد محمود العاني: أساليب الدّعوة والتّربية في السّنة النّبويّة، مرجع سابق، ص٤٦٧.
(٢) أحمد بن حنبل: المسند، مرجع سابق، (٣/ ٣٥٠).
(٣) ابن تيمية: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، مرجع سابق، (٧/ ٥٢٣).

ويتمام هذا الفصل يكون البحث قد تناول معالم التَّربية الجماعيَّة وخطوطها العريضة، ولكي يكون البحث أكثر ملامسة للواقع فإنَّه لا بُدَّ من الحديث عن المجموعة التَّربويَّة الَّتي تحاط برعاية المربِّي وإشرافه، وبيان ملامحها العامَّة. وهذا ما سيتبيَّن خلال الفصل القادم.

الفصل السَّادس

المجموعة التَّربويّة الفعَّالة

تمهيد.

خصائص المجموعة التَّربويَّة الفعّالة.

ضوابط المجموعة التَّربويَّة الفعّالة.

العوامل الَّتي تعيق أداء المجموعة التَّربويَّة الفعّالة.

تمهيد

يجيء هذا الفصل موضّحاً الكثير من الملامح العامّة للمجموعة التّربويّة، حيث يتطرّق إلى بعض خصائصها وضوابطها، والعوامل الّتي تعيق أداءها؛ لكي يقف المربّي على بعض جوانب التّطبيق العمليّ للتّربية الجماعيّة، مستفيداً من ذلك في تحسين أداء مجموعته وزيادة فاعليّتها وإنتاجها.

وقد استفدت من بعض خبرات وتجارب المتخصّصين في دراسة التّعلّم التّعاونيّ وما توصّلوا إليه، من خلال ممارساتهم العمليّة، ودراساتهم المستفيضة لإنجاح المجموعات التّعلميّة التّعاونيّة وزيادة فاعليّتها، والتّخلّص من بعض السّلبيّات الّتي تكتنفها.

خصائص المجموعة التَّربويَّة الفعّالة

من خصائص المجموعة التَّربويَّة الفعَّالة ما يلي:

١ ـ تقوم على اكتشاف الطَّاقات وتنميتها:

إنَّ القدرة على الكشف والاستفادة من مكامن الطَّاقة والتميّز لدى أعضاء المجموعة بأفضل ما يمكن يعتبر من مسلّمات التَّربية الجماعيَّة الفعّالة. ولكي يتحقّق هذا كان لزاماً على المربّين معرفة وتمييز هذه الطّاقات لدى المتربّين، ومن ثَمّ توظيفها التوظيف الأمثل الَّذي يمكّن المتربيّن من تقديم أفضل ما لديهم لخدمة الأهداف المرسومة. وذلك يعتبر حافزاً لاستمراريّة العطاء والنماء لدى الأفراد؛ حيث يحقّقون ذواتهم بتميّزهم وتفوّقهم من خلال إمكاناتهم الحقيقيّة.

وإنّ إخفاق أحد الأعضاء في جانب معيّن لا يعني إخفاقه وضعفه في كلّ شيء، بل إنَّ غاية ما في الأمر أنَّه لم يؤت قدرة في هذا الجانب، وقد يكون لديه من القدرات والإمكانات في جوانب أخرى ما يفوق غيره، وهذه سنّة الله تعالى في توزيع القدرات؛ ليحصل التّكامل والتّوازن، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأنعام: ١٦٥].

ومن الأهميّة بمكان وضع محكّات ومعايير مسبقاً حين وضع الخطّة للكشف عن طاقات كلّ عضو من أعضاء المجموعة وتوظيفها توظيفاً إيجابيّاً يسهم في بناء الفرد ذاته، ويسهم في تقدّم ورقيّ مجموعته التَّربويَّة الَّتي ينتمي إليها.

٢ ـ بناء المهارات الاجتماعيَّة اللازمة للوصول إلى التَّعاون ذي الجودة العالية:

إنَّ التَّربية الجماعيَّة بطبيعتها تعتمد على الاحتكاك المباشر بين الأفراد، فإذا كان الأفراد أنفسهم غير ماهرين اجتماعياً فإنَّ ذلك سيؤثّر سلباً على المجموعة التَّربويَّة برُمّتها، ممَّا قد يجعل أداء الأعضاء دون المستوى المطلوب.

وممَّا لا شكَّ فيه أنَّ المهارات الاجتماعيَّة لا تولد مع الإنسان، ولا تظهر بشكل سحريّ عند الحاجة إليها، وإنَّما تُكتسب وتُعلَّم.

لذا يتعيّن تعليم الأفراد المهارات الاجتماعيَّة اللازمة لعملهم كأعضاء في مجموعة. كما يتعيّن تدريبهم وحثّهم على استخدامها.

«إنَّ معرفتنا أنَّ المهارات الاجتماعيَّة يجب أن تُعلّم ليست سوى جزء من المسألة، والجزء الآخر المهمّ أيضاً هو معرفة المهارات الَّتي يجب أن نعلمها، وكيفيّة تعليمها، وكيفيّة تحسينها باستمرار، وأساليب ملاحظتها، وإجراءات المعالجة لمعرفة مدى الفاعليّة الَّتي تمّ بها استخدام هذه المهارات»[١].

ولا يمكن أن يتعلّم المتربّون هذه المهارات إلَّا إذا أدركوا «حاجتهم لها، وفهموا طبيعتها، وعرفوا كيفيّة ممارستها، وتدرّبوا عليها إلى أن تصل إلى درجة الإتقان، ثمَّ يعيدوا النَّظر فيها لمعرفة مدى نجاحهم في تطبيقها، وأخيراً يثابروا في ممارستها إلى أن تصل إلى مستوى التَّطبيق التّلقائي»[٢].

ومن جملة المهارات الَّتي يجب أن يتعلّمها الأعضاء: مهارات القيادة، ومهارات التَّواصل كحسن الاستقبال، والبشاشة، ولين القول، وفنّ الاستماع للآخرين، والحوار بطريقة هادئة، والاشتراك في نقاش مثمر مع الزملاء، وكذلك بناء الثّقة والحفاظ عليها، والقدرة على التَّعبير عن المشاعر، كمشاعر

---

(١) ديفيد جونسن وآخرون: التعلُّم التَّعاوني، مرجع سابق، (٥: ١).

(٢) المرجع السَّابق، (٥: ١٦).

الأخوَّة، والمحبّة في الله، وكذلك القدرة على اتّخاذ القرارات في الوقت المناسب، وعدم التردّد، وغيرها من المهارات الَّتي تجعل المتربّين أكثر فاعليّة في التعلّم من بعضهم بعضاً.

٣ ـ التَّفاعل الإيجابي، والمشاركة الوجدانيّة بين الأعضاء:

لا يمكن أن توصف المجموعة التَّربويَّة بأنَّها فعَّالة إذا لم يحدث بين أعضائها تفاعل إيجابي، ومشاركة وجدانيّة؛ تتضاعف من خلالها جهود الأفراد في جوّ من المودّة والألفة. ولحدوث ذلك فإنَّ على المربِّي إتاحة الفرصة والوقت الكافي للالتقاء بين أعضاء المجموعة، وتشجيعهم على التّفاعل الإيجابي، واتّخاذ قرارات مشتركة يتّفق عليها الجميع.

وللتّفاعل الإيجابي مزايا عديدة، منها: زيادة الوعي، ونضج الأفكار، والوصول إلى فهم أعمق للقضايا المطروحة للنّقاش، حيث يتبادل الأعضاء المعلومات ويحلّلونها على نحو أكثر فاعليّة، كما يزوّد بعضهم بعضاً بعناوين الكتب الجديدة، والمجلّات، والمواقع الإلكترونيّة النَّافعة.

فإذا خلت اللقاءات التربويّة من التَّفاعل الإيجابي والمشاركة الوجدانيّة، فهي أقرب ما تكون لمحاضرة عامّة يؤمّها فئام من النَّاس.

إنَّ على المربِّي ملاحظة حدوث التَّفاعل الإيجابي بين الأعضاء، ودعمه، وتحسينه بشكل مستمرّ.

٤ ـ شعور الفرد بأنّه مسؤول عن كلّ عضو من أعضاء المجموعة:

إنَّ مسؤوليَّة الفرد عن غيره لا تقلّ أهميَّة عن مسؤوليَّته عن نفسه، كما تشهد بذلك بعض النّصوص الشَّرعيَّة الَّتي تتضمّن مسؤوليَّة الإنسان عن نفسه وعن الآخرين، يقول تعالى في مسؤوليَّة الإنسان عن نفسه: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤]، ويقول تعالى: ﴿كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١]، ويقول تعالى في مسؤوليَّة الإنسان عن غيره: ﴿كُنتُمْ

خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ويقول تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥].

إذاً فمسؤوليَّة الفرد عن كلّ عضو من أعضاء مجموعته منبثقة من تعاليم شرعنا الحنيف، ولا يجوز لأيّ فرد من أفراد المجموعة أن يتخاذل عن إخوانه أو يتقاعس عن تقديم النّصح والعون لهم، يقول المصطفى ﷺ: **«لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»**(١).

إنَّ هذا الشُّعور يشيع روح الألفة والمحبّة بين أعضاء المجموعة، ويجعلهم كالجسد الواحد، يقول ﷺ: **«مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»**(٢)، وفيه أيضاً تقوية للرّوح الجماعيّة بين الأعضاء وتقديمٌ للمصلحة العامّة على الخاصّة.

ومن صور استشعار المسؤوليَّة لدى الأعضاء تجاه بعضهم البعض: التّناصح، والتّناصر، وتنفيس الكربات، والمواساة، والتّثبيت، والزّيارة، وتعديل السّلوكيّات الخاطئة مع الستر التامّ لها، وكذلك المعاونة في تحضير الدّروس، وإعطاء المراجع، وغيرها من حقوق الأخوّة الإسلاميَّة الّتي تزيد من فاعليّة المجموعة، وتحسّن أدائها.

٥ ـ التّفاوت وعدم التّجانس بين الأعضاء:

لقد خلق الله الخلق متفاوتين في المواهب، والإمكانات، والاستعدادات، وطرق التّفكير، وحلّ المشكلات، «وهذا التّفاوت ضروريّ لتنوُّع الأدوار المطلوبة للخلافة في هذه الأرض، ولإقامة الحياة البشريَّة عليها

---

(١) محمَّد بن إسماعيل البخاريّ: صحيح البخاري، مرجع سابق، باب من الإيمان أن يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه، رقم (١٣)، ص٢٦.

(٢) سبق تخريجه ص٣٠.

باستثمار شتّى خبراتها، وبتنظيم الحياة والعلاقات الاجتماعيَّة، فالَّذي خلق الحياة وأراد لها البقاء والنموّ خلق الكفايات والاستعدادات متفاوتة عند الأفراد تفاوت الأدوار المطلوب أداؤها»(١).

وهذا يقتضي تجمّع الأفراد وتعاونهم؛ ليكمّل بعضهم بعضاً، وليسدّ بعضهم خلّة بعض، يقول الله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف: ٣٢].

ولو كان النَّاس في طبقة واحدة ـ معيشيّاً، وثقافيّاً، وفكريّاً، وعلى مستوى المواهب والإمكانات ـ لتعطّلت المصالح، ولعجز الإنسان عن عمارة الأرض بالكليّة.

وفيما يتعلّق بالمجموعة التَّربويَّة، فإنَّ عدم التَّجانس بين أعضائها، سواءً أكان على مستوى الخلفيّات الثَّقافيّة والاجتماعيّة، أم على مستوى المواهب والإمكانات، وطرق التّفكير، يعطي مزيداً من التَّوسّع في التّفكير، والتأثير المتبادل الإيجابي بين الأعضاء، والنَّظر إلى القضايا المطروحة من زوايا مختلفة؛ ممَّا يولّد أفكاراً إبداعيّة ووجهات نظر صحيحة.

وإذا كان أعضاء المجموعة أكثر تجانساً؛ كان ما يضيفه كلّ عضو كمصدر من مصادر المعرفة أقلّ؛ لذا يتعيّن على المربِّي ـ إذا كان يريد مجموعة تربويّة فعّالة ـ أن يحرص على تكوين مجموعة غير متجانسة ما أمكنه ذلك.

ولا يعني عدم التّجانس المخالفة التامّة، والتّباين المطلق بين الأعضاء؛ لأنَّ ذلك يؤثّر سلبيّاً على المجموعة، وإنَّما وجود قدر من عدم التَّجانس والتَّوافق بين الأعضاء، فمثلاً إذا أراد مشرف حلقة تحفيظ القرآن الكريم أن يقسم حلقته إلى مجموعتين، فعليه أن لا يضع الأقارب أو أبناء بلد معيّن في مجموعة والآخرين في المجموعة الأخرى، ولكن عليه أن يعتمد المزج الصَّحيح والعشوائي بين المجموعتين؛ لضمان قدر من التَّفاوت وعدم

---

(١) عبد الرَّحمٰن النّحلاوي: التَّربية الاجتماعيَّة في الإسلام، مرجع سابق، ص٢٣.

التَّجانس، وهذا ما يفعله أرباب التَّعلُّم التَّعاوني في اختبارهم للمجموعة التَّعاونيَّة الفعّالة.

٦ ـ إدارة الخلافات والصَّراعات بين الأعضاء بطريقة هادفة:

لا شكّ أنَّ التّفاعل الإيجابي بين الأعضاء وعدم التَّجانس يولّدان الصّراع والخلاف، هذا إذا كانت المجموعة قائمة على التّعاون.

يقول جنسون: «إنَّ التّعاون والصّراع شيئان متلازمان، فكلّما زاد اهتمام أعضاء المجموعة في تحقيق أهداف مجموعتهم، وكلّما زاد اهتمامهم ببعضهم بعضاً زاد احتمال أن تظهر بينهم صراعات معيّنة. والَّذي يحدّد مدى نجاح العمل التّعاونيّ بشكل كبير هو الطريقة الَّتي تُدار بها الصّراعات»[1].

إنَّ إدارة الصّراعات والخلافات بشكل بنّاء بين أعضاء المجموعة مهارة مكتسبة يجب على المربّي أن يدرّب طلّابه عليها، وعلى كيفيّة استخدامها؛ كطريقة التّفاوض أو الحوار البناء بين طرفي المشكلة، أو وضع وسيط بينهما من نفس أعضاء المجموعة إذا لزم الأمر، وعليه أن يرسّخ في نفوسهم مبدأ الرّجوع إلى الحقّ والاعتراف بالخطأ عند الوقوع فيه، وعليه أيضاً أن يدرّبهم على حلّ مشاكلهم الخاصّة، وحلّ مشاكل بعضهم بعضاً.

كما أنَّ على المربّي ألّا يتدخّل في حلّ المشكلات أو الخلافات الَّتي تنشب بينهم ما لم يكن الأمر ملحّاً، «وبقليل من الصّبر سيجد أنَّ المجموعة تستطيع ـ غالباً ـ التّغلّب على مشكلاتها بمفردها، ولا تتوصّل للحلّ فقط، بل إنّها تكتسب أيضاً أسلوباً في حلّ المشاكل المشابهة في المستقبل»[2].

٧ ـ إنتاج مشاريع علمية ودعويّة مشتركة بين الأعضاء:

إذا شعر المربّي أنَّ مهمّته هي غرس القيم والمبادئ التَّربويَّة، والارتقاء بالمستوى العلميّ والفكريّ لدى أعضاء المجموعة التَّربويَّة فقط، واقتصر دور

---

(١) ديفيد جونسن وآخرون: التعلُّم التّعاوني، مرجع سابق، (١: ١١).

(٢) المرجع السّابق (٢: ٢٠).

الأعضاء على التَّلقيّ وتبادل وجهات النّظر، ولم يتمكَّنوا من التَّوصّل إلى نتاجات ومشاريع عمليَّة ودعويّة متميّزة من خلال إسهامات الأعضاء المشتركة وجهودهم؛ فإِنَّه لا يمكن بأيّ حال من الأحوال أن توصف هذه المجموعة بالفاعليّة والتَّميّز.

لذا كان على المربِّي أن يوجّه أعضاء المجموعة للقيام بمشاريع علميَّة ودعويّة مشتركة؛ كالمشاركة في إخراج كتيّب أو مطويّة، أو تصميم موقع إلكتروني على الشّبكة؛ له أهداف ورسالة محدّدة... وقس على ذلك من المشاريع والأعمال الجماعيَّة الَّتي تخدم المجتمع، شريطة أن تتناسب ومستوى أعضاء المجموعة.

إنَّ تلك المشاريع المشتركة تزيد من فاعليّة الأعضاء، وتشعرهم بالمسؤوليَّة، وتجعل ما يتلقّونه نظريّاً يقومون به عمليّاً، وتسهم في خلق جوّ من الألفة والتَّفاهم بينهم لعملهم جنباً إلى جنب، وتشجّع لزيادة النَّجاح والرّغبة الأكيدة في التَّعلّم وتنمية الذَّات.

٨ ـ مشاركة جميع الأعضاء في التَّقويم المستمرّ للمجموعة:

إذا كان من صفات المربِّي الفعّال القدرة على التَّقويم، فإِنَّه لا ينبغي أن يستأثر بذلك عن أعضاء مجموعته التَّربويّة، بل يتعيّن عليه تدريب الأعضاء على المشاركة في التَّقويم؛ لأنَّ ذلك يشعرهم بالمسؤوليَّة التَّامّة عن المجموعة ونشاطاتها ومشاريعها، ويحفّزهم على مواصلة الجهد، وزيادة النّشاط، وتقبّل النّقد البنّاء في سبيل تطوّر المجموعة ورقيّها.

إنَّ المتربّين لا يتعلّمون من التَّجارب الَّتي لا يتأمّلون فيها، وإذا أرادت المجموعة التَّربويَّة أن تعمل بشكل أفضل، فإِنَّه لا بُدَّ للأعضاء أن يتأمّلوا في كيفيّة جعل أعمالهم أكثر فاعليّة، ويخطّطوا لزيادة مهاراتهم في المستقبل، وكلّما كان تأمّلهم وتقويمهم شاملاً ودقيقاً كانت فاعليّة الأعضاء أفضل.

كما ينبغي على أعضاء المجموعة عند قيامهم بالتَّقويم أن لا تكون مهمّتهم فقط هي تسليط الضوء على المعايب والنّقائص إلى حدّ فقدان الثّقة

بالنّفس والشّعور بالعجز، بل يجب عليهم «أن يركّزوا على الأنماط السلوكيّة الإيجابيّة والفاعلة، وكلّما كان أعضاء المجموعة أكثر إدراكاً ومعرفة بتصرّفاتهم النَّاجحة والفاعلة والكفؤة؛ أصبحوا أكثر وعياً ومعرفة بدورهم، وأصبحوا أيضاً أكثر ثقة بقدرتهم على أن يكونوا منتجين وفاعلين»[(١)].

(١) ديفيد جونسن وآخرون: التعلُّم التَّعاوني، مرجع سابق (٦: ٥).

ضوابط المجموعة التَّربويَّة الفعّالة

من ضوابط المجموعة التَّربويَّة الفعّالة ما يلي:

١ ـ أن يُربَّى أعضاء المجموعة على التَّعلّق بالمنهج لا بالأشخاص:

الأصل في المجموعة التَّربويَّة أن يربّى أعضاؤها على التَّعلّق بالله وحده؛ وذلك بتوثيق الصِّلة به سبحانه وبمنهجه القويم ـ الكتاب والسنَّة ـ لأنَّهما الحصن الحصين، والملاذ المكين؛ فلا نجاة ولا فلاح إلَّا بالتمسّك بهما.

وقد جاء القرآن ذامّاً التَّعلّق بالأشخاص حتَّى ولو كانوا رسلاً، قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران: ١٤٤].

يقول صاحب الظِّلال رحمه الله: «وكأنّما أراد الله سبحانه بهذه الحادثة، بهذه الآية أن يفطم المسلمين عن تعلّقهم الشَّديد بشخص النَّبيِّ ﷺ وهو حيّ بينهم»(١).

وقد كان النَّبيُّ ﷺ شديد الحرص على ربط أصحابه بالمنهج لا بالأشخاص، عَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رضي الله عنه قَالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْماً بَعْدَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً؛ ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ؛ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلَافاً كَثِيراً، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ؛ فَعَلَيْهِ**

---

(١) سيِّد قطب: في ظلال القرآن، مرجع سابق، ١/ ٤٨٦.

بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ»(١).

كان من وصيّة النَّبيِّ ﷺ لأصحابه في حال وجود الاختلاف أن يلجؤوا إلى سنّته وسنّة الخلفاء الرَّاشدين المهديّين من بعده، ولم يقل لهم عليكم بفلان أو فلان؛ لأنَّ الأشخاص يموتون، وقد يتغيّرون، ولكن العقيدة باقية ممتدّة موصولة بالله الَّذي لا يموت.

٢ ـ ألّا يؤدّي الارتباط بالمجموعة إلى إشغال المتربّي معظم الوقت وعزله عن واقعه ومجتمعه:

إذ الفرد له شؤونه الخاصّة به، والَّتي تختلف عن شؤون غيره، فلا بُدَّ من منحه فترات حرّة يدبّر فيها شؤونه، كأداء حقّ أهله، وأضيافه، والتَّرويح عن نفسه، والاعتناء بدراسته، وزيارة أقاربه، . . . إلخ. وقد لفت الإسلام النَّظر إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾ [النور: ٦٢].

كما إنَّ عزل المتربّي عن واقعه ومجتمعه ـ وذلك بإشغاله ببعض الأنشطة والأعمال الَّتي تتعلّق بمجموعته التَّربويَّة إلى حد الانهماك ـ يؤثّر على قدرته على التَّعايش مع المستجدّات، ومواكبة التّغيّرات، ومحاكاة الواقع؛ ما يجعله عاجزاً عن تمثيل الدّور الَّذي يُنتظر منه.

٣ ـ ألَّا يؤدّي الارتباط بالمجموعة إلى ضمور الشخصيّة الفرديّة المميّزة:

انتهى بنا الحديث فيما مضى إلى أنَّ الإسلام ينظر إلى كلٍّ من الفرديّة والجماعيّة على أنَّها أمر فطريّ وأصيل عند الإنسان؛ ولذلك فهو يحضّ على

---

(١) محمَّد ناصر الدِّين الألباني: صحيح سنن التِّرمذيّ، الرِّياض، مكتبة المعارف، ١٤٢٠هـ، باب ما جاء في الأخذ بالسنّة واجتناب البدعة، ج٣، رقم (٢٦٧٦)، ص٦٩.

الجماعة والعيش معها، ومعايشتها، ولكنّه في الوقت نفسه يحتفظ للإنسان بفرديّته، ويحرص حرصاً شديداً على ألّا تُخدش هذه الفرديّة مهما تكن الأسباب والمسوّغات.

لذا فإنَّه يتعيّن على المربِّي الفعّال بناء الشَّخصيَّة الفرديَّة المميّزة لكل عضو داخل إطار المجموعة، واعتبار ذلك مقياس النَّجاح للمجموعة. ولقد كان الرَّسولُ ﷺ ينظر إلى أصحابه على أنَّ كلّ واحد منهم فرد مميّز في ذاته، له القدرة على العطاء والبذل، فكانوا مشاعل هداية، ونماذج فريدة، فكان الواحد منهم بأمّة، فهذا مصعب بن عمير يقدم المدينة سفيراً للإسلام، فلا يحول الحول إلّا وقد دخل الإسلام أكثر بيوت المدينة[1]، وهذا نعيم بن مسعود لا يكاد يُسلم حتَّى يؤدّي دوره، فيخذّل جيوش الأحزاب[2].

وتأمّل دور أبي بكر ﷺ وقت الردّة، وأحمد بن حنبل في الفتنة، إنّهم أفراد غيّروا مسار الأحداث، وأعادوا كتابة التاريخ، وهذا غيض من فيض.

ولم تكن المسؤوليَّة على الرِّجال أو الأغنياء منهم فحسب، بل الكلّ يحمل جزءاً منها، قال الرَّسولُ ﷺ: «تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ، حَتَّى قَالَ: وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»[3]. لم يُستثنَ من الإنفاق والعطاء من لا يملك إلّا تمرة واحدة؛ لأنَّهُ قادر على إنفاق شقّها الآخر، إنَّه البناء الحقيقيّ للأفراد جميعاً. فالكلّ يبذل، والكلّ يضحّي، حتَّى إذا بقي الضّعفة والمساكين الَّذين لا مال لهم ولا قوّة يجاهدون بها؛ يبقى لهم دورهم الَّذي ينبّه إليه الرَّسولُ ﷺ بقوله: «إِنَّمَا يَنْصُرُ اللهُ هَذِهِ الأُمَّةَ بِضَعِيفِهَا؛ بِدَعْوَتِهِمْ وَصَلَاتِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ»[4].

---

(١) صفي الرَّحمٰن المباركفوري: الرَّحيق المختوم، الرِّياض، مكتبة العبيكان، ١٤٢٣هـ، ص١٣٠.

(٢) المرجع السَّابق، ص٢٨٥.

(٣) مسلم بن الحجَّاج النّيسابوري: صحيح مسلم، مرجع سابق، باب الحثّ على الصَّدقة، رقم (١٠١٧)، ص٣٩٢.

(٤) محمَّد ناصر الدِّين الألباني: صحيح سنن النَّسائي، بيروت، المكتب الإسلامي، =

إنَّ تحييد الفرد وتهميش دوره في المجموعة يسهم في ضمور شخصيّته الفرديّة، ويجعله عاجزاً عن العمل والعطاء، وأثر ذلك لا يكون على الفرد وحده، وإنَّما يكون الأثر على المجموعة بكاملها؛ إذ المجموعة تتشكّل من الأفراد، فإذا كان أحد الأفراد ضعيفاً، أو لم يقم بدوره، فإنَّه يشكّل نقطة ضعف في المجموعة.

ومن الصّور الخاطئة الَّتي تؤدي إلى ضمور الشَّخصيَّة الفرديَّة المميّزة ما يلي:

أ ـ ألّا تُستغلّ المواهب الخاصّة والقدرات الفرديّة لدى كلّ فرد بحسبه، فتُقتل القدارت، ويُخنق الإبداع.

ب ـ ألّا يُنظر إلى الجميع عند توزيع الأعمال، بل تتكرّر الوجوه نفسها دائماً لكلّ الأعمال، وهذا يقتل الفئتين؛ العاملة تنهك بالأعمال، حتَّى تصبح غير قادرة على العطاء المثمر، وأمَّا الفئة الأخرى فتبقى أرقاماً لا رصيد لها من الواقع.

ج ـ الحكم بالإخفاق المؤبّد على من يُسند له عمل ما، ثمَّ لا يتقنه، في الوقت الَّذي قد يحسن غيره، بل ربما كان الخلل ابتداءً في إسناد هذا العمل له وهو لا يحسنه[1].

٤ ـ ألَّا يطول أمد ارتباط المجموعة بمربٍّ دون سواه:

مهما بلغت إمكانات المربّي وطاقاته فإنَّه يمثّل تجربة محدودة، ولا ينبغي أن يبقى هو المشرف والموجّه لمجموعة تربويّة السّنوات الطّوال، لذا كان لا بُدَّ لتوسيع أفق المتربّي، وتنمية قدراته، وبناء شخصيّته العلميّة والفكريّة من فتح قنوات أخرى غير هذه، ومن ذلك:

أ ـ تنويع قراءاته، وعدم الاقتصار على شريحة معيّنة من الكتّاب.

= ١٤٠٨هـ، باب الاستنصار بالضَّعيف، ج٢، رقم (٢٩٧٨)، ص٦٦٩.

(١) شاكر السّروري: أنت قادر على العطاء، البيان، مرجع سابق، العدد ١٣٥، (ذو القعدة ١٤١٩هـ)، ص١١١.

ب ـ اتّصاله الفكريّ واستفادته من عدد كبير من الأشخاص، من خلال الزِّيارات وحضور النّدوات والمؤتمرات.

ج ـ التَّخلّص من الممارسة غير المقبولة الّتي يفرضها بعض المربّين ـ بحسن نيّة ـ من خلال طول أمد بقاء تلميذه مرتبطاً به دون سواه، وفرض حصار فكريّ عليه، ورفض كلّ ما لم يرد عن قناته[1].

وقد كان بعض العلماء الربّانيين يوجّه تلامذته ويحثّهم على ملازمة علماء آخرين غيره؛ لعلمه أنَّ ذلك يوسّع أفقهم، ويصقل تجربتهم، ويعمّق فهمهم، كما أنَّ ذلك يطرد السآمة عن المربِّي والمتربّي، ويبعث على تجديد النّشاط والحماس لمواصلة الجهد.

وينبغي التَّعامل مع هذا الضّابط باعتدال وتدرّج، مع مراعاة المصلحة في ذلك، وعدم تحميل المتربّين نتائج التحوّلات المفاجئة.

٥ ـ ألَّا تتحوّل التَّربية على الحوار وحريّة التَّعبير إلى الجدال والمراء:

التَّربية على الحوار البنّاء وحريّة التّعبير من المطالب المهمّة لبناء شخصيَّة المتربّي، وزرع الثّقة في نفسه، وتمكينه من البوح عن كلّ ما يختلج في نفسه من تساؤلات؛ ليكون على قناعة تامَّة بما يتلقّاه ويحمله.

ومن المؤشّرات والدلائل على نجاح المجموعة وفاعليّتها: كثرة الحوارات والنّقاشات، وتعدّد وجهات النّظر بين الأعضاء، ولكن الحذر كلّ الحذر أن تتّسع هذه الدائرة لتشمل الجدال والمراء والتعصّب للرأي؛ فذلك يقسّي القلوب، ويولّد الضغائن، ويورث البغضاء والقطيعة، ويؤدي إلى التّنازع الّذي يفرّق المجموعة، ويشتّت قوّتها؛ فيحصل الفشل... قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾ [الأنفال: ٤٦]، وقال ﷺ: «أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقّاً، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ

---

(١) محمّد بن عبد الله الدويش: تربية الشباب؛ الأهداف والوسائل، مرجع سابق، ص٧٧، ٧٨.

الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحاً، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ»[١].

٦ ـ الحذر من التَّعصّب المذموم للمجموعة:

بعض المتربّين يجعلون من انتمائهم للمجموعة سبباً ومانعاً للتَّعاون مع إخوانهم ممَّن ليسوا على طريقتهم، وكأنَّ الدّعوة والإصلاح لا يتمّان إلّا من خلال أشخاص معيّنين، وهذا خطأ بيّن، والواجب على المسلم أن يكون مفتاحاً للخير مغلاقاً للشرّ أينما توجّه، وكالغيث المدرار؛ أنّى وقع نفع.

يقول الفريح: «وهذا مرض قد يسري في قلوب بعض الدّعاة، فيجعلون من انتمائهم لبلد أو قوم أو غيرها من الموازين الأرضيّة التّرابيّة سبباً يمنعهم من التَّعاون مع إخوانهم الدّعاة ممَّن ليسوا من ذلك البلد أو هذه القبيلة، وقد يحملهم تعصّبهم إلى احتقار من سواهم، وسوء الظنّ بهم، بل واتّهامهم في عقائدهم ونيّاتهم»[٢].

٧ ـ الحذر من الطَّاعة غير المبصرة (الاتّباع الأعمى):

التَّربية على السَّمع والطَّاعة من الأمور المهمَّة في التَّربية الجماعيَّة، «ولكن مع أهميَّتها فإنَّها ليست مطلقة، بل هي محدودة بضوابط الشَّرع وهدي الإسلام، كما قال رَسُولُ الله ﷺ: «الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ»[٣]، كما إنها طاعة مبصرة: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٠٨﴾ [يوسف: ١٠٨]»[٤].

وينبغي على كلّ عضو من أعضاء المجموعة ألّا يسير مع إخوانه سير العميان، وألّا يتبعهم الاتّباع الأعمى، والدّليل على ذلك قول الرَّسولِ ﷺ:

---

(١) أبو داود سليمان بن الأشعث: سنن أبي داود، مرجع سابق، باب في حسن الخلق، ج٥، رقم (٤٨٠٠)، ص١٥٠.

(٢) مازن عبد الكريم الفريح: الرائد (دروس في التّربية والدّعوة)، مرجع سابق، ٢/ ٢٦٥.

(٣) محمَّد بن إسماعيل البخاريّ: صحيح البخاري، مرجع سابق، باب سريّة عبد الله بن حذافة السّهمي، رقم (٤٣٤٠)، ص٨٢٠.

(٤) مازن عبد الكريم الفريح: الرائد (دروس في التّربية والدّعوة)، مرجع سابق، ٢/ ٢٦٤.

«لَا تَكُونُوا إِمَّعَةً، تَقُولُونَ: إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا، وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ؛ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تَظْلِمُوا»[1].

بعض المربّين يتعسّف ويبالغ في التَّربية على السَّمع والطَّاعة، ويتعنّت ضدّ أيّ رأي أو وجهة نظر تصدر عن أحد المتربّين وتكون مخالفة لأوامره، ويعتبر ذلك خروجاً عن الطَّاعة، وهو بذلك يسهم ـ من حيث لا يشعر ـ في التَّربية على الخنوع والطّاعة غير المبصرة، والواجب الاعتدال في ذلك، والنّظر بموضوعيّة لوجهة النّظر الأخرى، ولربما تكون هي الصَّحيحة.

---

(١) محمَّد بن عيسى التِّرمذيّ: سنن التِّرمذيّ، مرجع سابق، باب ما جاء في الإحسان والعفو، ج٤، رقم (٢٠٠٧)، ص٣٢٠.

العوامل الَّتي تعيق أداء المجموعة التَّربويَّة الفعّالة

من العوامل الَّتي تعيق أداء المجموعة التَّربويَّة الفعّالة ما يلي:

١ ـ الافتقار إلى نضج أعضاء المجموعة:

يحتاج أعضاء المجموعة إلى وقت وخبرة في العمل مع بعضهم بعضاً؛ ليصبحوا مجموعة عمل فاعلة، ولذا فإنَّ المجموعات المؤقّتة المشكّلة لغرض خاص لا تنضج عادة بما فيه الكفاية لتعمل بكلّ فاعليّتها.

ولن يكون الوقت كافياً لنضج الأعضاء وصقل خبرتهم ما لم يتزامن مع ذلك تزويد الأعضاء بمهارات العمل الجماعيّ، والتأكّد من تطبيق تلك المهارات مع بعضهم البعض، وبشكل مستمرّ.

٢ ـ العدد غير المناسب لأعضاء المجموعة:

فالمجموعات كبيرة الحجم تقلّص حالات التَّفاعل بين الأفراد، حيث لا يتمكّن الأعضاء من تحقيق المهارات الاجتماعيَّة التَّعاونيَّة الضَّرورية لدمج كلّ عضو من أعضاء المجموعة بفاعليّة وكفاءة.

يقول جنسون: «كلّما كان عدد أعضاء المجموعة أكبر، كان عدد الأعضاء المشاركين في النِّقاش أقلّ، وكانت نظرة الأعضاء إلى مساهمتهم الشَّخصيَّة أقلّ أهميَّة، وكانت هناك حاجة أكبر للمهارات الجماعيَّة، وكان تركيب المجموعة أكثر تعقيداً»(١).

كما ينبغي أن لا يُقلّص عدد الأعضاء إلى الحدّ الَّذي لا يمكّنهم من التَّفاعل، والتوسّع في المعلومات، وممارسة الألعاب الجماعيَّة والنشاطات المختلفة.

---

(١) ديفيد جونسن وآخرون: التعلُّم التَّعاوني، مرجع سابق، (٤ : ٨).

٣ ـ اختفاء بعض الأفراد في وسط المجموعة، وعدم المشاركة الفعلية مع باقي الأعضاء:

عندما يعمل الأعضاء بشكل جماعيّ، ويكون هناك فرصة أمام بعضهم بأن يقلّلوا جهودهم بدون أن يدرك الآخرون أو المربّي؛ فإنَّ الكثير منهم يميلون إلى بذل جهد أقلّ من غيرهم.

لذا فإنَّه يجب على المربّي أن لا يكتفي بالمناقشة الجماعيَّة والملاحظة العابرة، بل يقوم بإحصاء جهود ومشاركات كلّ عضو من أعضاء المجموعة على حدة؛ وذلك للحدّ من هذه التَّصرّفات.

٤ ـ الرَّغبة في الزّعامة والتطلّع للصّدارة:

إنَّ شعور الفرد المتضخّم بذاته، وتطلّعه للزّعامة والصّدارة «لون من ألوان إثبات الذّات؛ يدفع صاحبه إلى الإحساس بأنّه ليس في مستوى الآخرين، وإنَّما أعلى منهم، ومن ثمّ فلا ينبغي أن يتعاون معهم، وإنَّما يأمرهم ليطيعوا»(١).

وواجب المربّي أن يصلح هذا الانحراف ويعالجه بالوسائل المناسبة، ومن أنجع تلك الوسائل: «أن يعهد المربّي إلى مثل هذا الشّاب بتحمّل المسؤوليَّة؛ مسؤوليَّة حقيقيَّة جادّة، ويكون مسؤولاً عنها أمام المربّي الَّذي يتولّى الإشراف عليه، عندئذٍ سيحسّ أنَّ المسألة ليست هي (المَرْيَسَة) الفارغة، إنَّما هي القيام بالمسؤوليَّة على وجهها الأكمل الَّذي لا يُعرّضه للّوم، ولا يعرّض ذاته الَّتي يعتزّ بها للحرج»(٢).

وينبغي ألّا يفهم من هذا إرادة قتل الطّموح، وتفضيل دنوّ الهمّة، والقعود والكسل، والتهرّب من المسؤوليَّة، خاصّة إذا تعيّنت على الأكفاء.

---

(١) محمَّد قطب: منهج التَّربية الإسلاميَّة، مرجع سابق، ٢/ ٢٨٤.

(٢) المرجع السَّابق، ص٢٨٥.

٥ ـ التَّطرّف في الآراء والمبالغة في الحماس لها:

يجنح بعض الأشخاص إلى التَّطرّف في الآراء، والمبالغة في الحماس للأفكار، ومن ذلك أنَّه يسود لديهم الرأي الواحد، والقطع بما هو مظنون، والجزم بما هو محتمل، والافتقار إلى الاعتدال في النّظر إلى الأمور، وهي مشكلة قد تكون موروثة من الأسرة، أو المجتمع، أو البيئة المحيطة، وقد تكون نتيجة ممارسات غير سليمة من بعض المربّين وبدون قصد.

«إنَّ إجابة المعلّم عن سؤال تلميذه إجابة قاطعة، وحديثه عن مشكلته بأنَّه ليس لها إلَّا حلّ واحد، وتعليقه على موقف أو ظاهرة... إلخ؛ كلّ ذلك يؤثّر في طريقة تفكير هذا التّلميذ، ويصبغها بصبغة التطرّف في الآراء والقطع فيها»[(١)].

وطريقة المربّي في نقاشه لآراء المخالفين والتَّعامل معها، وفي حديثه عن الظّواهر الاجتماعيَّة وتحليلها ربما أثّر تراكمياً في طريقة تفكير المتربّين.

إنَّ على المربّي أن يبيّن لطلّابه أنَّ اختلاف الآراء فيما يسوغ فيه الاختلاف يؤدي إلى النّقاش والحوار الَّذي يعوّد على الاعتدال في الآراء وعدم التطرّف فيها.

٦ ـ الإكثار من المزاح والهزل والخروج فيه عن حدّ الوقار والهيبة:

الإفراط في المزاح، والتّجاوز في الهزل، مظهر يدلّ على انخفاض مستوى الجديّة، ولا ينبغي أن يكون هو السمة البارزة في المجموعة؛ لأنَّ ذلك سيؤثّر على مسارها، ويعيقها عن تحقيق أهدافها المرسومة، «والرَّجُل الجادّ قد يهزل، ويضحك، ولكن ثمّت خيط يشدّه إلى حياة الجدّ، ويأبى عليه التَّجاوز والتَّمادي. فالمزاح لديه ممَّا يأتي عارضاً لا يستحقّ لدى صاحبه أن يوفّر له لقاءات، ويضيّع من أجله أوقاتاً، فضلاً عن أن يسعى إليه ويستهدفه،

---

(١) الافتتاحيّة: التَّربية وأثرها على الدّعوة، البيان، مرجع سابق، العدد ١٦٥، (جمادى الأولى ١٤٢٢هـ)، ص٤.

وهو يرى نصب عينيه قول الرَّسول ﷺ: «وَلَا تُكْثِرِ الضَّحِكَ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ»[١][٢].

٧ ـ ندرة المربّين الأكفاء:

إنَّ حاجة المجموعة إلى المربّين الأكفاء الَّذين يستطيعون التَّعامل مع المتربّين، وبناء خبراتهم، وحلّ مشاكلهم، وتحقيق أهدافهم بكلّ فاعليّة؛ هي حاجة ملحّة، ومطلب أساس، ولكن ـ ويا للأسف! ـ هم قلّة، ولعلّ ذلك من أهمّ العوامل الَّتي تعيق أداء المجموعة التَّربويَّة الفعَّالة.

۞ خلاصة:

من خلال عرض ما تقدَّم من نقاط في هذا الفصل يتبيَّن أنَّ المجموعة التَّربويَّة لها خصائص وضوابط وعوامل تعيقها. متى ما وعاها المربّي فإنَّ ذلك سيحسِّن من أداء مجموعته ويزيد من فاعليّتها، وما تلك الخصائص والضَّوابط والعوائق الَّتي ذكرت إلَّا اجتهاد من الباحث قد لا يراها البعض، أو قد يُزاد فيها ويُنقص.

---

(١) محمَّد بن عيسى التِّرمذيّ: سنن التِّرمذيّ، مرجع سابق، باب من اتَّقى المحارم فهو أعبد النَّاس، ج٤، رقم (٢٣٠٥)، ص٤٧٨.

(٢) محمَّد بن عبد الله الدويش: التَّربية الجادّة ضرورة، الرياض، دار الوطن، ١٤١٥هـ، ص٤٧، ٤٨.

الخاتمة

- النتائج.
- التوصيات.

النتائج

توصَّل الباحث من خلال استقراء فصول هذا الكتاب إلى استخلاص النتائج الآتية:

١ ـ أنَّ الأمَّة الإسلاميَّة ـ وبخاصّة شبابها الطّموح الَّذي يُنتظر منه الكثير ـ بأمسّ الحاجة إلى تربية ناضجة تبني شخصيَّة الفرد من جميع الجوانب، كما تلبّي حاجاته وتعالج أوضاعه ليكون قادراً على العطاء، ولا سبيل إلى ذلك إلَّا بأن يتربَّى الفرد في جماعة؛ يتفاعل معها، ويبادل أعضاءها الحبّ والتَّقدير، والأخوَّة الصَّادقة، وغيرها من المعاني الَّتي ترتقي بشخصه، وتزكّي نفسه.

٢ ـ أنَّ التَّربية الجماعيّة عمليَّة مستمرَّة؛ لا يكفي فيها توجيه عابر، ولا لقاء مقتضب، كما أنَّ المتربّي نفس بشريّة وليس آلة تضغط على أزرارها مرّة ثمَّ تتركها وتنصرف إلى غيرها، بل هي دائمة التَّقلّب، متعدّدة الاتّجاهات، تحتاج إلى متابعة وتوجيه في كلِّ حال من أحوالها.

٣ ـ أنَّ أسلوب التَّربية الجماعيّة له أصل في الكتاب والسُّنَّة، وعند علماء السَّلف والمربّين المسلمين، والنَّماذج على ذلك كثيرة جدّاً.

٤ ـ أنَّ جلّ تربية النَّبيِّ ﷺ لأصحابه كانت جماعيَّة.

٥ ـ أنَّ الصحّة النَّفسيّة مثل النّضج العاطفي، والعلاقات الاجتماعيّة، والشّعور القويّ بالهويّة الذاتيّة، لها علاقة مباشرة بالتَّربية الجماعيّة.

٦ ـ أنَّ تلك الفجوة بين علماء الأمَّة الربّانيين ومفكّريها ودعاتها المخلصين من جهة، وبين شبابها الغيورين من جهة أخرى، من الأسباب الَّتي ولّدت الأفكار الضَّالّة والمبادئ المتطرّفة.

٧ ـ أنَّ للتَّربية الجماعيّة فوائد جمّة إذا ما بُنيت على أركان متينة، ومنهجيّة صحيحة، وأساليب فاعلة، منها:

أ ـ الكشف عن مواطن الضَّعف والقصور في شخصيَّة الفرد ومساعدته في التخلّص من ذلك.

ب ـ تزويد الفرد بكثير من الخبرات والتّجارب التَّربويّة والدّعويّة.

ج ـ زيادة النَّشاط للعمل ومضاعفة الجهد فيه.

د ـ تحصيل فضيلة لزوم الصّالحين، والتَّواصي بالحقّ والصّبر معهم.

هـ ـ البعد عن اليأس، وبثّ الأمل في النّفس.

و ـ الحماية من كيد الشّيطان ومكره.

ز ـ توظيف طاقات الفرد بما يحقّق التّكامل والتَّوازن في شخصيّته.

٨ ـ أنَّ هناك صفات للمربّي، لها أثر بالغ على المتربّين يجب على المربّي أن يتحلّى بها، ومن هذه الصّفات:

أ ـ العلم الشَّرعيّ.

ب ـ الزّاد الإيماني.

ج ـ الثّقافة الواسعة.

د ـ القدرة على القيادة.

هـ ـ القدرة على المتابعة.

و ـ القدرة على التّقويم.

ز ـ الاستقرار النَّفسيّ.

ح ـ الاعتدال والاتّزان.

ط ـ الخبرة والمعرفة الجيّدة في المجال التَّربويّ.

ي ـ المعرفة الواسعة بشخصيّة المتربّي وأحواله.

ك ـ حسن العطاء.

ل ـ المهارات التَّواصليّة.

م ـ المرونة.

ن ـ القدرة على بناء العلاقات الإنسانيّة.

كما أنَّ هناك أخطاء في التَّربية يجب على المربِّي أن يتجنّبها، منها:

- عدم الاعتراف بالخطأ أمام من يربِّيهم.
- عدم الإغضاء عن الهفوات والزّلات الصغيرة.
- التَّركيز على بعض المتربّين دون البعض في إسناد المهام.
- التدخّل الزائد في كلِّ كبيرة وصغيرة من خصوصيّات المتربّي.
- عدم التفطّن إلى أنَّ رأي المربِّي في المتربّي له أثر على شخصيّته.
- السّطحيَّة والافتقار إلى العمق.
- المركزيّة في العمل.

٩ ـ أنَّ لوعي المربِّي بأركان التَّربية الجماعيّة وأساليبها أثراً إيجابيّاً في تربيته ودعوته.

١٠ ـ أنَّ مهمَّة التَّربية الجماعيّة تتركز في بناء الجوانب المكوّنة لشخصيّة المتربّي بحيث يعطي كلّ جانب حقَّه في الرِّعاية والتَّوجيه، مراعية مراحل العمر المختلفة، وهي كالآتي:

الجانب الإيماني، الجانب العلمي، الجانب العقلي، الجانب الخُلقيّ، الجانب النَّفسيّ، الجانب الدّعويّ، الجانب الجسمي.

١١ ـ أنَّ التَّربية الجماعيّة ليست عشوائيّة ولا فوضويّة، بل هي مبنيّة على منهجيّة محكمة، من ذلك:

- الانطلاق من خطط مدروسة وأهداف واضحة.
- التَّدرّج وفقه الأولويّات.
- الشُّمول والتّكامل.
- مراعاة الاختلاف والتنوّع.
- الموازنة بين العلم والتَّربية والدّعوة.
- الوعي والبصيرة.

- الولاء للأمّة الإسلاميّة وليس لطائفة أو جماعة معيّنة.

١٢ - أنَّ للتَّربية الجماعيّة أساليب من الأهميّة بمكان، يجب اتّباعها خلال التَّربية، من ذلك:

- التَّربية بالتَّواضع وحسن المعاملة؛ كالحفاوة، وحسن الاستقبال، وكذلك التبسّط وإزالة الحواجز.

- التَّربية بالتَّحفيز، ومن ذلك الثَّناء والتّشجيع، وكذلك التّدريب.

- التَّربية بالتَّوجيه غير المباشر.

- التَّربية بالتَّعويد على تحمّل المسؤوليَّة، ومن ذلك مشاورة المتربّين وتعويدهم إبداء الرأي، وكذلك تعويدهم على المشاركة والعمل.

- التَّربية بالمعايشة والمصاحبة، ومن ذلك إقامة الرّحلات والمخيّمات.

١٣ - من الأهميّة بمكان تعرّف المربّي على الملامح العامّة للمجموعة التَّربويّة؛ لأنَّ ذلك يعتبر النّموذج التّطبيقي لعمله، ومن تلك الملامح:

أوّلاً: خصائص المجموعة التَّربويَّة الفعّالة، ومن ذلك:

- شعور الفرد بأنّه مسؤول عن كلّ عضو من أعضاء المجموعة.
- التّفاوت وعدم التّجانس بين الأعضاء.
- إدارة الخلافات والصّراعات بين الأعضاء بطريقة هادئة.
- مشاركة جميع الأعضاء في التّقويم المستمرّ للمجموعة.

ثانياً: ضوابط المجموعة التَّربويَّة الفعّالة، ومن ذلك:

- أن يربّي أعضاء المجموعة على التّعلّق بالمنهج لا بالأشخاص.
- ألّا يؤدّي الارتباط بالمجموعة إلى إشغال المتربّي معظم الوقت وعزله عن واقعه ومجتمعه.
- الحذر من الطّاعة غير المبصرة (الاتّباع الأعمى).

ثالثاً: العوامل الّتي تعيق أداء المجموعة التَّربويَّة الفعّالة، ومن ذلك:

- الافتقار إلى النّضج.
- العدد غير المناسب لأعضاء المجموعة.

- الرَّغبة في الزّعامة والتطلّع للصّدارة.
- الإكثار من المزاح والهزل والخروج فيه عن حدّ الوقار والهيبة.

١٤ ـ أنَّ ثمّة ثغرات في العمل الإسلامي، من تربية ودعوة يجب المسارعة لسدّها، ومن ذلك:

- غياب التأصيل العلميّ في بعض أساليبنا التَّربويّة والدّعويّة.
- ندرة المربّين الأكفاء.
- قلّة الدّراسات والاستبانات الَّتي تتناول القضايا التَّربويّة، والمؤسسات الدّعويّة.

التَّوصيات

في ضوء ما توصّل إليه الباحث من نتائج، فإنَّه يوصي بما يلي:

١ ـ توعية الآباء والمربّين بأهميّة التَّربية الجماعيّة وفوائدها الجمَّة، وأنها ربما تكون علاجاً لكثير من مشكلات الأبناء كالانطوائيّة والعزلة، وحبّ السّيطرة والأنانيّة.

٢ ـ توعية الآباء والأمّهات بخطورة عزل أبنائهم عن المجتمع والواقع الَّذي يعيشون فيه؛ لأنَّ ذلك سيفقدهم بعض مقوّمات الشخصيّة السّويّة، ولكن عليهم اختيار الأجواء المناسبة لأبنائهم مع المتابعة المستمرّة لهم.

٣ ـ توعية المربّين بأهميّة اتّصافهم بصفات المربّي الفعّال، وأثر ذلك في تربيتهم.

وبناء على ذلك يجب الاهتمام البالغ بإعداد المربّين وتأهيلهم، ويتحقّق ذلك بما يلي:

- إنشاء معاهد لإعداد المربّين؛ يركّز فيها على الجانب العلميّ التَّربويّ التَّدريبي.
- إقامة دورات لتطوير المربّين أثناء عملهم في الميدان التَّربويّ.
- حثّ المربّين على الاطّلاع المستمرّ على كلّ ما هو جديد في طُرق وأساليب التَّربية.

٤ ـ توعية المربّين بأهميّة معرفتهم بالجوانب المكوّنة لشخصيّة المتربّين، ومحاولة بنائها باتّزان، بحيث لا يطغى جانب على آخر.

٥ ـ ضرورة التزام المربّين بالمنهجيّة الصَّحيحة في تربيتهم، والبعد عن الارتجال.

٦ ـ توعية المربّين بأهميّة الأسلوب، وتنوّعه، ووجوب التزام الأسلوب الحسن الَّذي يتناسب وحال المتربّي، ويتحقّق ذلك بما يلي:

- إقامة ندوات ودورات علميَّة تحت عنوان (أساليب تربويّة نبويّة) يستخلص من خلالها الدّروس والعبر.
- مطالعة سير العلماء والمربّين المسلمين قديماً وحديثاً، والاستفادة منها في تربيتهم لطلّابهم.

٧ ـ العمل على رأب الصّدع، وسدّ الفجوة بين علماء الأمّة ومفكّريها ودعاتها وشبابها، ويتحقّق ذلك عن طريق:

- دعوة العلماء والمفكّرين لزيارة المؤسّسات والمحاضن التَّربويّة، والملتقيات الشّبابيّة، وإطلاعهم على بعض الرؤى والمشاريع التَّربويّة.
- عقد لقاءات خاصّة للاستماع إلى هموم الشّباب ومشكلاتهم المعاصرة.
- الاستفادة من وسائل الإعلام ـ لا سيما القنوات الفضائيّة ـ في تقريب وجهات النّظر بين علماء الأمّة وشبابها، ويكون ذلك بطرح معتدل مقنع.

٨ ـ ضرورة استفادة المؤسسات التَّربويّة والمربّين والآباء والأمّهات من هذا البحث.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين

الفهارس

المصادر والمراجع.

قائمة المحتويات.

المصادر والمراجع[1]

القرآن الكريم.

١ ـ إبراهيم بن صالح الدّحيم: **أساليب نبويّة في التّربية والتّعليم، البيان**، العدد ٢٠٩، (المحرّم ١٤٢٦هـ).

٢ ـ إبراهيم بن صالح الدحيم: **من أجل تربية أفضل، البيان**، العدد ٢٠٢، (جمادى الآخرة ١٤٢٥هـ).

٣ ـ إبراهيم مصطفى، وأحمد حسن، وحامد عبد القادر، ومحمّد علي: **المعجم الوسيط**، إستانبول، المكتبة الإسلاميّة.

٤ ـ ابن الأثير: **النّهاية في غريب الحديث**، د.ط، بيروت، المكتبة العلميّة، د.ت.

٥ ـ أحمد بن حنبل: **المسند**، القاهرة، دار الحديث، ١٤١٦هـ.

٦ ـ أحمد الزبيدي: **مختصر صحيح البخاري**، الرّياض، دار المؤيّد، الطّبعة الثّانية، ١٤٢٣هـ.

٧ ـ أحمد الشّايب: **الأسلوب «دراسة بلاغيّة تحليليّة لأصول الأساليب الأدبيّة»**، ط٧، القاهرة، مكتبة النّهضة، ١٣٩٦هـ.

٨ ـ أحمد بن فارس: **المقاييس في اللّغة**، بيروت، دار الفكر، ١٤١٥هـ.

٩ ـ أحمد فهمي: **«صفات المربّي دراسة تحليليّة»، البيان**، لندن، العدد ١٤٣ (رجب ١٤٢٠هـ).

١٠ ـ أحمد القاضي: **معالم في البناء التّربويّ، البيان**، العدد ٢٠٣، (رجب ١٤٢٥هـ).

١١ ـ أحمد بن محمّد الفيّومي: **المصباح المنير**، بيروت، مكتبة لبنان، ١٤٢١هـ.

١٢ ـ أبو إسحاق الشّاطبيّ: **الموافقات في أصول الشّريعة**، د.م، دار الفكر العربي، د.ت.

(١) سيتمّ تجاهل (أل) التّعريف و(ابن) عند ترتيب المصادر والمراجع.

١٣ ـ إسماعيل بن كثير القرشي: **تفسير القرآن العظيم**، القاهرة، دار الريَّان للتُّراث، ١٤٠٨هـ.

١٤ ـ الافتتاحيَّة: **التَّربية وأثرها على الدّعوة**، **البيان**، العدد ١٦٥، (جمادى الأولى ١٤٢٢هـ).

١٥ ـ أكرم ضياء العمري: **المجتمع المدنيّ في عهد النبوَّة**، خصائصه وتنظيماته الأولى، المدينة المنوّرة، إحياء التراث، ١٤٠٣هـ.

١٦ ـ الاستيرهيروان: **التَّخطيط لرعاية الطّفولة وتربيتها في البلدان النَّامية**، (ترجمة مكتب اليونسكو)، الرّياض، مكتب التَّربية، د.ت.

١٧ ـ بدر الدِّين بن جماعة: **تذكرة السَّامع والمتكلِّم في أدب العالم والمتعلِّم**، د.ط، لبنان، بيت الأفكار الدوليّة، ٢٠٠٤م.

١٨ ـ أبو بكر الجزائريّ: **هذا الحبيب يا محبّ**، المدينة المنوّرة، مكتبة العلوم والحكم، ١٤١٤هـ.

١٩ ـ ابن تَيْمِيَّة: **مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة**، الرّياض، مطابع الرّياض، ١٣٨١هـ.

٢٠ ـ الحاكم النيسابوري: **المستدرك على الصَّحيحين**، د.ط، بيروت، دار المعرفة، د.ت.

٢١ ـ أبو حامد الغزالي: **إحياء علوم الدِّين**، د.ط، بيروت، دار الكتب العلميّة، د.ت.

٢٢ ـ ابن حجر العسقلاني: **الإصابة في تمييز الصَّحابة**، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤١٥هـ.

٢٣ ـ ابن حجر العسقلاني: **فتح الباري في شرح صحيح البخاريّ**، مصر، دار مصر.

٢٤ ـ حمد بن ناصر العمّار: **أساليب الدّعوة الإسلاميَّة المعاصرة**، الرّياض، دار إشبيليا، ١٤١٦هـ.

٢٥ ـ خالد بن عبد الله القرشي: تربية النَّبيّ ﷺ **لأصحابه في ضوء الكتاب والسنَّة**، مكّة المكرّمة، دار التَّربية والتّراث، ١٤٢١هـ.

٢٦ ـ خليل بن عبد الله الحدري: **التَّربية الوقائيّة في الإسلام ومدى استفادة المدرسة الثَّانويَّة منها**، مكّة المكرّمة، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، ١٤١٨هـ.

٢٧ ـ خولة درويش: **تعويد الأطفال تحمّل المسؤوليّة**، **البيان**، العدد ٣٧، (رمضان ١٤١١هـ).

٢٨ ـ أبو داود سليمان بن الأشعث: **سنن أبي داود**، د.ط، بيروت، دار الفكر، ١٤١٤هـ.

٢٩ ـ ديفيد جونسن، وروجر جونسن، وأديث جونسن: **التعلُّم التّعاوني**، ترجمة مدارس الظّهران الأهليّة، الدمّام، دار الكتاب التّربويّ، ١٤١٦هـ.

٣٠ ـ الرَّاغب الأصفهاني: **المفردات في غريب القرآن**، بيروت، دار المعرفة.

٣١ ـ زكيّ الدِّين المنذري: **مختصر صحيح مسلم**، ط٦، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٧هـ.

٣٢ ـ زياد محمود العاني: **أساليب التَّربية والدّعوة في السنّة النَّبويَّة**، عمَّان، دار عمّار، ١٤٢٠هـ.

٣٣ ـ سالم البطاطي: **المعايشة التَّربويَّة**، الرّياض، دار مدار الوطن، ١٤٢٧هـ.

٣٤ ـ ابن سعد: **الطَّبقات الكبرى**، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤١٠هـ.

٣٥ ـ سعيد إسماعيل عليّ: **أصول التَّربية الإسلاميَّة**، القاهرة، دار السَّلام، ١٤٢٦هـ.

٣٦ ـ سعيد إسماعيل، ومحمَّد بن معجب، وعبد الرَّاضي إبراهيم: **التَّربية الإسلاميَّة المفهومات والتّطبيقات**، الرّياض، مكتبة الرّشد، ١٤٢٥هـ.

٣٧ ـ سلمان بن فهد العودة: **العزلة والخلطة**، ط٢، الدمّام، دار ابن الجوزي، ١٤٢٦هـ.

٣٨ ـ سليمان بن عبد الله: **تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التَّوحيد**، ط٦، بيروت، المكتب الإسلاميّ، ١٤٠٥هـ.

٣٩ ـ سيِّد قطب: **في ظلال القرآن**، ط٢٤، بيروت، دار الشّروق، ١٤١٥هـ.

٤٠ ـ السيّد محمَّد نوح: **توجيهات نبويّة على الطَّريق**، المنصورة، دار اليقين، ١٤١٨هـ.

٤١ ـ السيّد محمَّد نوح: **شخصيَّة المسلم بين الفرديّة والجماعيّة**، ط٣، المنصورة، دار الوفاء، ١٤١١هـ.

٤٢ ـ ابن سيّد النَّاس: **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والعبر**، ط٣، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ١٤٠٢هـ.

٤٣ ـ شاكر السّروري: **أنت قادر على العطاء**، البيان، العدد ١٣٥، (ذو القعدة ١٤١٩هـ).

٤٤ ـ صالح أحمد الشَّامي: **السِّيرة النَّبويَّة تربية أمَّة وبناء دولة**، ط٢، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٢٣هـ.

٤٥ ـ صالح بن حميد، وعبد الرَّحمٰن بن ملوح: **موسوعة نضرة النَّعيم في مكارم أخلاق الرَّسول الكريم ﷺ**، ط٤، جدَّة، دار الوسيلة، ١٤٢٦هـ.

٤٦ ـ صفي الرَّحمٰن المباركفوري: **الرَّحيق المختوم**، الرِّياض، مكتبة العبيكان، ١٤٢٣هـ.

٤٧ ـ عبد الله بن فهد السّلوّم: **في ظلال التَّربية**، الرِّياض، دار المسلم، ١٤٢٥هـ.

٤٨ ـ عبد الحميد محمود طهماز: **معاذ بن جبل (إمام العلماء ومعلّم النَّاس الخير)**، ط٢، دمشق، دار القلم، ١٤٠٨هـ.

٤٩ ـ عبد الرَّحمٰن حسن الميداني: **الأخلاق الإسلاميَّة وأسسها**، دمشق ط٣، دار القلم، ١٤١٣هـ.

٥٠ ـ عبد الرَّحمٰن صالح، حلمي فودة: **المرشد في كتابة البحوث التربويّة**، مكّة المكرّمة، مكتبة المنارة، ١٤٠٨هـ.

٥١ ـ عبد الرَّحمٰن عبد الخالق: **شيخ الإسلام ابن تَيميَّة والعمل الجماعيّ**، د.م، جمعيّة إحياء التّراث الإسلامي، ١٤١٠هـ.

٥٢ ـ عبد الرَّحمٰن عبد الخالق الغامدي: **مدخل إلى التَّربية الإسلاميَّة**، الرِّياض، دار الخريجي، ١٤١٨هـ.

٥٣ ـ عبد الرَّحمٰن بن ناصر السَّعديّ: **تيسير الكريم الرَّحمٰن في تفسير كلام المنَّان**، بيروت، دار ابن حزم، ١٤٢٤هـ.

٥٤ ـ عبد الرَّحمٰن النّحلاوي: **أصول التَّربية الإسلاميَّة**، ط٣، دمشق، دار الفكر، ١٤٢٣هـ.

٥٥ ـ عبد الرَّحمٰن النّحلاوي: **التَّربية الاجتماعيَّة في الإسلام**، دمشق، دار الفكر، ١٤٢٧هـ.

٥٦ ـ عبد الستّار الشَّيخ: **عبد الله بن مسعود (عميد حَمَلة القرآن وكبير فقهاء الإسلام)**، دمشق، دار القلم، ١٤٠٢هـ.

٥٧ ـ عبد السَّلام هارون: **تهذيب سيرة ابن هشام**، د.ط، الكويت، دار البحوث العلميّة، د.ت.

٥٨ ـ عبد العزيز محمَّد النغيمشي: **علم النَّفس الدَّعويّ**، ط٢، الرِّياض، دار السَّلام، ١٤٢٤هـ.

٥٩ ـ عبد الكريم بكّار: **بناء الأجيال**، الرّياض، المنتدى الإسلامي، ١٤٢٣هـ.
٦٠ ـ عبد الكريم بكّار: **حول التّربية والتّعليم**، دمشق، دار القلم، ١٤٢٢هـ.
٦١ ـ عبد الكريم زيدان: **أصول الدّعوة**، ط٢، بيروت، مؤسسة الرّسالة، ١٤٠٧هـ.
٦٢ ـ عبد الوهاب الديلمي: **العمل الجماعي محاسنه وجوانب النّقص فيه**، صنعاء، مكتبة الإرشاد، ١٤١٨هـ.
٦٣ ـ عدنان العرعور: **منهج الدّعوة في ضوء الواقع المعاصر**، المدينة المنوّرة، جائزة نايف بن عبد العزيز العالميّة.
٦٤ ـ ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، (د.ط)، بيروت، دار الفكر، ١٤١٥هـ.
٦٥ ـ علي الحمّادي: **٢٠٠ حكمة قياديّة ووصيّة إداريّة**، ط٢، بيروت، دار ابن حزم، ١٤٢٣هـ.
٦٦ ـ عليّ محمّد سعيد: **التّربية الجماعيّة من منظور قرآني**، شبكة المشكاة الإسلاميّة، مقال نشر بتاريخ ٦/٥/١٤٢٨هـ.
٦٧ ـ علي بن محمّد الماوردي: **الأمثال والحكم**، الرّياض، دار الوطن، ١٤٢٠هـ.
٦٨ ـ علي مصطفى أبو العينين: **القيم الإسلاميّة والتّربية**، المدينة المنوّرة، مكتبة إبراهيم حلبي، ١٤٠٠هـ.
٦٩ ـ الفيروزآبادي: **القاموس المحيط**، د.ط، بيروت، دار الفكر، ١٤١٥هـ.
٧٠ ـ ابن قيّم الجوزيّة: **إعلام الموقّعين عن ربّ العالمين**، الرّياض، دار طيبة، ١٤٢٧هـ.
٧١ ـ ابن قيّم الجوزيّة: **تحفة المودود في أحكام المولود**، بيروت، دار ابن حزم، ١٤٢١هـ.
٧٢ ـ ابن قيّم الجوزيّة: **زاد المعاد في هدي خير العباد**، ط٢٩، بيروت، مؤسّسة الرّسالة، ١٤١٦هـ.
٧٣ ـ ابن قيّم الجوزيّة: **الفوائد**، ط٣، دمشق، مكتبة دار البيان، ١٤١٧هـ.
٧٤ ـ ابن قيّم الجوزيّة: **مفتاح دار السّعادة**، د.ط، المنصورة، مكتبة الإيمان، د.ت.
٧٥ ـ ابن ماجه: **سنن ابن ماجه**، د.ط، بيروت، دار الفكر، د.ت.
٧٦ ـ مازن عبد الكريم الفريح: **الرائد (دروس في التّربية والدّعوة)**، ط٢، جدّة، دار الأندلس الخضراء، ١٤٢٥هـ.

٧٧ ـ مالك بن أنس: **الموطأ**، ط٢، بيروت، مؤسّسة الرِّسالة، ١٤١٣هـ.

٧٨ ـ محمَّد بن أحمد الذَّهَبِيّ: **سير أعلام النُّبلاء**، ط٢، بيروت، مؤسسة الرِّسالة، ١٤٠٢هـ.

٧٩ ـ محمَّد أحمد الرَّاشد: **فضائح الفتن**، ط٣، طنطا، دار البشير للثّقافة والعلوم، ١٤١٩هـ.

٨٠ ـ محمَّد بن أحمد القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، د.ط، بيروت، دار الفكر، ١٤١٥هـ.

٨١ ـ محمَّد بن إسماعيل البخاريّ: **صحيح البخاري**، الرِّياض، بيت الأفكار الدّوليّة، ١٤١٩هـ.

٨٢ ـ محمَّد أمحزون: **منهج النَّبيِّ ﷺ في الدَّعوة من خلال السِّيرة الصَّحيحة**، ط٣، القاهرة، دار السَّلام، ١٤٢٧هـ.

٨٣ ـ محمَّد بن أبي بكر الرَّازي: **مختار الصِّحاح**، (د.ط)، جدّة، دار القبلة للثّقافة الإسلاميّة، ١٤٠٦هـ.

٨٤ ـ محمَّد بن جرير الطَّبري: **تفسير الطَّبري**، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤١٢هـ.

٨٥ ـ محمَّد جلال الدِّين القاسمي: **محاسن التَّأويل**، بيروت، دار إحياء التّراث العربي، ١٤١٥هـ.

٨٦ ـ محمَّد سعيد البوطي: **فقه السِّيرة**، د.ط، بيروت، دار الفكر، ١٤١٠هـ.

٨٧ ـ محمَّد الصَّادق عرجون: **محمَّد رسولُ الله ﷺ منهج ورسالة بحث وتحقيق**، ط٢، دمشق، دار القلم، ١٤١٥هـ.

٨٨ ـ محمَّد بن عبد الله الدويش: **التَّربية الجادّة ضرورة**، الرِّياض، دار الوطن، ١٤١٥هـ.

٨٩ ـ محمَّد بن عبد الله الدويش: **تربية الشباب؛ الأهداف والوسائل**، الرِّياض، دار الوطن، ١٤٢٣هـ.

٩٠ ـ محمَّد عبد الله الدويش: **التَّكامل في التَّربية بين مفهومين**، البيان، مرجع سابق، العدد ٢٠٤، (شعبان ١٤٢٥هـ).

٩١ ـ محمَّد بن عبد الله الدويش: **الصَّحوة والتَّربية المنشودة**، الرِّياض، دار طيبة، ١٤٢٠هـ.

٩٢ ـ محمَّد بن عبد الله الدّويش: **معالم في المنهج التَّربويّ النَّبويّ**، **البيان**، العدد ١٢٥، (المحرّم ١٤١٩هـ).

٩٣ ـ محمَّد بن عبد الله الدويش: **مقالات في التَّربية**، الرِّياض، دار طيبة، ١٤٢٠هـ.
٩٤ ـ محمَّد عبد الرؤوف المناوي: **فيض القدير شرح الجامع الصَّغير من أحاديث البشير النَّذير**، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤١٥هـ.
٩٥ ـ محمَّد عبد العظيم الزّرقاني: **مناهل العرفان في علوم القرآن**، (د.ط)، بيروت، دار إحياء التراث، د.ت.
٩٦ ـ محمَّد عزيز شمس وعلي عمران: **الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة**، مكّة المكرّمة، دار عالم الفوائد، ١٤٢٠هـ.
٩٧ ـ محمَّد بن عيسى التّرمذيّ: **سنن التّرمذيّ**، الرِّياض، مكتبة المعارف، د.ت.
٩٨ ـ محمَّد الغزالي: **فقه السِّيرة**، د.ط، مكّة المكرّمة، النّدوة العالميّة للشّباب الإسلامي، د.ت.
٩٩ ـ محمَّد قطب: **منهج التَّربية الإسلاميَّة**، بيروت، دار الشّروق، ١٤٠٩هـ.
١٠٠ ـ محمَّد ناصر الدِّين الألباني: **السِّلسلة الصَّحيحة**، ط٤، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ.
١٠١ ـ محمَّد ناصر الدِّين الألباني: **صحيح الأدب المفرد للإمام البخاريّ**، ط٢، الجبيل، مكتبة الرّيّس، ١٤١٧هـ.
١٠٢ ـ محمَّد ناصر الدِّين الألباني: **صحيح الجامع الصَّغير**، ط٣، بيروت، المكتب الإسلاميّ، ١٤٠٨هـ.
١٠٣ ـ محمَّد ناصر الدِّين الألباني: **صحيح سنن التّرمذيّ**، الرِّياض، مكتبة المعارف، ١٤٢٠هـ.
١٠٤ ـ محمَّد ناصر الدِّين الألباني: **صحيح سنن أبي داود**، ط٢، الرِّياض، مكتبة المعارف، د.ت.
١٠٥ ـ محمَّد ناصر الدِّين الألباني: **صحيح سنن النَّسائي**، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٨هـ.
١٠٦ ـ محمَّد يسري: **معالم في أصول الدَّعوة**، الرِّياض، سلسلة كتاب البيان، ١٤٢٤هـ.
١٠٧ ـ محيي الدِّين النَّووي: **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجّاج**، بيروت، دار المعرفة، ١٤١٤هـ.
١٠٨ ـ مسلم بن الحجَّاج النّيسابوري: **صحيح مسلم**، بيروت، دار ابن حزم، ١٤١٦هـ.

١٠٩ ـ مقداد يالجن: **معالم بناء نظريَّة التَّربية الإسلاميَّة**، الرِّياض، دار عالم الكتب، ١٤١١هـ.
١١٠ ـ منَّاع القطَّان: **مباحث في علوم القرآن**، ط٨، الرِّياض، مكتبة المعارف، ١٤٠٨هـ.
١١١ ـ ابن منظور: **لسان العرب**، بيروت، دار إحياء التُّراث، ١٤١٦هـ.
١١٢ ـ مهدي رزق الله أحمد: **السِّيرة النَّبويَّة في ضوء المصادر الأصليّة**، الرِّياض، مركز الملك فيصل، ١٤١٢هـ.
١١٣ ـ أبو نعيم الأصفهاني: **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، بيروت، دار الكتب العلمّية، ١٤١٨هـ.
١١٤ ـ هاشم الأهدل: **التَّربية الذَّاتيَّة من الكتاب والسنَّة**، مكّة المكرّمة، دار التَّربية والتراث، ١٤٢١هـ.
١١٥ ـ ابن هشام: **السِّيرة النَّبويَّة**، ط٢، بيروت، دار الخير، ١٤١٦هـ.
١١٦ ـ ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، بيروت، دار صادر، ١٣٩٧هـ.
١١٧ ـ يُوسف بن عبد البرّ: **جامع بيان العلم وفضله**، الدمّام، دار ابن الجوزي، ١٤١٤هـ.
١١٨ ـ يُوسف القرضاوي: **ثقافة الدَّاعية**، ط٦، بيروت، مؤسّسة الرِّسالة، ١٤٠٣هـ.
١١٩ ـ يُوسف القرضاوي: **الخصائص العامّة للإسلام**، د.ط، الدَّار البيضاء، دار المعرفة، د.ت.

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
آية كريمة	٥
حديث شريف	٦
إهداء	٧
الفصل الأوَّل	
الإطار العام	٩
المقدِّمة	١٠
موضوع الدِّراسة	١٣
أهميَّة الدِّراسة	١٥
الفصل الثَّاني	
الإطار المفهومي للتَّربية الجماعيَّة	١٩
مفهوم التَّربية الجماعيَّة	٢٠
١ ـ تعريف التَّربية في اللُّغة والاصطلاح	٢٠
أ ـ التَّربية في اللُّغة	٢٠
ب ـ التَّربية في الاصطلاح	٢٣
٢ ـ تعريف الجماعيَّة في اللُّغة والاصطلاح	٢٤
أ ـ الجماعيَّة في اللُّغة	٢٤
ب ـ الجماعيَّة اصطلاحاً	٢٥
٣ ـ تعريف التَّربية الجماعيَّة	٢٦
الجماعيَّة في واقع الحياة وفي الإسلام	٢٧
١ ـ مكانة الجماعيَّة في الحياة	٢٧
أ ـ الجماعيَّة فطرة في المخلوقات	٢٧
ب ـ الجماعيَّة ضرورة اجتماعيَّة	٢٨
٢ ـ مكانة الجماعيَّة في الإسلام	٢٩
أ ـ الدَّعوة إلى الاجتماع ونبذ الفرقة	٢٩

الموضوع	الصفحة
ب ـ وصف المؤمنين بالتّلاحم والتّرابط	٢٩
ج ـ إقامة جُلّ الشّعائر التّعبديّة جماعة	٣٠
د ـ الحضّ على مخالطة النّاس والصّبر على أذاهم	٣١
هـ ـ استحباب الجماعيّة حتّى في الشؤون العاديّة من الحياة	٣٢
العلاقة بين الفرديّة والجماعيّة في التّربية	٣٤
١ ـ طبيعة الفرديّة والجماعيّة وعلاقتهما بالتّربية	٣٤
٢ ـ الفرديّة والجماعيّة في ظلّ المذاهب الوضعيّة المتناقضة	٣٥
٣ ـ منهج الإسلام في التّوفيق بين الفرديّة والجماعيّة	٣٦
خلاصة	٣٧
الفصل الثّالث **مكانة التّربية الجماعيّة في الإسلام**	٣٩
تمهيد	٤٠
التّربية الجماعيّة في القرآن الكريم	٤١
النّموذج الأوّل: تولّي طالوت المُلك في بني إسرائيل	٤١
الدّروس التّربويّة المستفادة من قصّة طالوت مع بني إسرائيل	٤٣
النّموذج الثّاني: قصّة أصحاب الكهف	٤٤
الدّروس التّربويّة المستفادة من قصّة أصحاب الكهف	٤٥
النّموذج الثّالث: غزوة أُحد	٤٦
الدّروس التّربويّة المستفادة من غزوة أُحد	٤٧
النّموذج الرّابع: حادثة الإفك	٤٨
الدّروس التّربويّة المستفادة من حادثة الإفك	٤٩
التّربية الجماعيّة في السنّة النّبويّة المطهّرة	٥٢
١ ـ نماذج من التّربية الجماعيّة في السُّنَّة النّبويّة	٥٢
النّموذج الأوّل: دار الأرقم بن أبي الأرقم	٥٢
النّموذج الثّاني: أهل الصُّفَّة	٥٥
٢ ـ التّربية على التّعلُّم الجماعيّ	٥٨
٣ ـ التّربية على العمل الجماعي	٥٩
أ ـ العمل الجماعي في التّخطيط للهجرة النّبويّة	٦٠
ب ـ العمل الجماعي في حفر الخندق	٦٠

الموضوع **الصفحة**

التَّربية الجماعيَّة عند السَّلف والمربّين المسلمين ٦٢
١ ـ بعض أقوال السَّلف والمربّين المسلمين في التَّربية الجماعيَّة ٦٢
أ ـ بعض ما جاء في أهميَّة اتّخاذ الإخوان ٦٢
ب ـ بعض الآداب الَّتي يجب أن يتحلّى بها العالم مع طلبته ٦٣
ج ـ بعض الأقوال المتعلِّقة بأهميَّة التَّربية الجماعيَّة ٦٤
٢ ـ بعض الممارسات العمليَّة للتَّربية الجماعيَّة في حياة السَّلف الصَّالح ٦٥
فوائد التَّربية الجماعيَّة ٦٩
١ ـ الكشف عن مواطن الضّعف والقصور في شخصيَّة الفرد، ومساعدته في التَّخلّص من ذلك ٦٩
٢ ـ تزويد الفرد بكثير من الخبرات والتَّجارب التَّربويَّة والدّعويّة ٧٠
٣ ـ زيادة النَّشاط للعمل ومضاعفة الجهد فيه ٧١
٤ ـ تحصيل فضيلة لزوم الصَّالحين، والتَّواصي بالحقّ وبالصَّبر معهم ٧١
٥ ـ الحماية من كيد الشَّيطان ومكره ٧٢
٦ ـ البعد عن اليأس، وبثّ الأمل في النَّفس ٧٣
٧ ـ توظيف طاقات الفرد بما يحقّق التّكامل والتَّوازن في شخصيَّته ٧٣
خلاصة ٧٤

الفصل الرَّابع
أركان التَّربية الجماعيَّة ٧٥

تمهيد ٧٦
المُربِّي ٧٧
أهمّ صفات المربّي الفعّال ٧٩
١ ـ العلم الشَّرعيّ ٧٩
٢ ـ الزَّاد الإيماني ٧٩
٣ ـ الثَّقافة الواسعة ٨٠
٤ ـ القدرة على القيادة ٨٢
٥ ـ القدرة على المتابعة ٨٣
٦ ـ القدرة على التَّقويم ٨٤
٧ ـ الاستقرار النَّفسيّ ٨٥
٨ ـ الاعتدال والاتّزان ٨٥

الموضوع | الصفحة

٩ ـ الخبرة والمعرفة الجيّدة في المجال التّربويّ ٨٦
١٠ ـ المعرفة الواسعة بشخصيّة المتربّي وأحواله ٨٧
١١ ـ حسن العطاء ٨٨
١٢ ـ المهارات التّواصليّة ٨٩
١٣ ـ المرونة ٩١
١٤ ـ القدرة على بناء العلاقات الإنسانيّة ٩١
أخطاء يقع فيها بعض المربّين ٩٢
١ ـ عدم الاعتراف بالخطأ أمام من يربّيهم ٩٢
٢ ـ عدم الإغضاء عن الهفوات والزّلّات الصّغيرة ٩٢
٣ ـ التّركيز على بعض المتربّين دون البعض في إسناد المهام ٩٣
٤ ـ التدخّل الزائد في كلّ كبيرة وصغيرة من خصوصيّات المتربّي ٩٣
٥ ـ عدم التفطّن إلى أنّ رأي المربّي في المتربّي له أثر على شخصيّته ٩٤
٦ ـ السّطحيّة والافتقار إلى العمق ٩٥
٧ ـ إضعاف روح المبادرة الذّاتيّة لدى المتربّي ٩٥
٨ ـ المركزيّة في العمل ٩٦
المتربّون ٩٧
أهمّ الجوانب المكوّنة لشخصيّة المتربّي ٩٨
١ ـ الجانب الإيماني ٩٨
٢ ـ الجانب العلميّ ٩٨
٣ ـ الجانب العقليّ ٩٩
٤ ـ الجانب الخُلقيّ ١٠٠
٥ ـ الجانب الاجتماعيّ ١٠٠
٦ ـ الجانب النّفسيّ ١٠١
٧ ـ الجانب الدّعويّ ١٠٢
٨ ـ الجانب الجسميّ ١٠٣
منهجيّة التّربية الجماعيّة ١٠٥
١ ـ الانطلاق من خطط مدروسة وأهداف واضحة ١٠٥
٢ ـ التّدرّج وفقه الأولويّات ١٠٧
٣ ـ الشّمول والتّكامل ١٠٨
٤ ـ مراعاة الاختلاف والتنوّع ١١٠

الموضوع | الصفحة

٥ ـ الموازنة بين العلم والتَّربية والدّعوة ١١١
٦ ـ الوعي والبصيرة ١١٣
٧ ـ الولاء للأمّة الإسلاميَّة وليس لطائفة أو جماعة معيّنة ١١٤
خلاصة ١١٦

الفصل الخامس
أساليب التَّربية الجماعيَّة ١١٧

تمهيد ١١٨
مفهوم الأسلوب ١١٩
١ ـ المعنى اللُّغويّ للأسلوب ١١٩
٢ ـ المعنى الاصطلاحيّ للأسلوب ١١٩
الأسلوب في القرآن الكريم، والسنَّة النَّبويّة ١٢١
١ ـ الأسلوب في القرآن الكريم ١٢١
٢ ـ الأسلوب في السُّنّة النَّبويّة ١٢١
في ذكر أهمّ أساليب التَّربية الجماعيَّة ١٢٤
١ ـ التَّربية بالقدوة ١٢٤
٢ ـ التَّربية بالتَّواضع وحسن المعاملة ١٢٧
من صور التَّواضع وحسن المعاملة ١٢٨
أ ـ الحفاوة وحسن الاستقبال ١٢٨
ب ـ التَّبسّط وإزالة الحواجز ١٣٠
٣ ـ التَّربية بالقصّة ١٣٢
٤ ـ التَّربية بالحوار ١٣٤
٥ ـ التَّربية بالأحداث ١٣٩
٦ ـ التَّربية بالتَّحفيز ١٤٢
أ ـ الثَّناء والتَّشجيع ١٤٢
ب ـ التَّدريب ١٤٤
٧ ـ التَّربية بالتَّوجيه غير المباشر ١٤٦
٨ ـ التَّربية بالتَّعويد على تحمّل المسؤوليَّة ١٤٩
من الأساليب الَّتي تعوّد المتربّين على تحمّل المسؤوليَّة ١٥٠
أ ـ مشاورتهم وتعويدهم إبداء الرأي ١٥٠

الموضوع **الصفحة**

ب ـ تعويدهم على المشاركة والعمل ١٥١
٩ ـ التَّربية بالمعايشة والمصاحبة ١٥٣
الرِّحلات والمخيّمات ١٥٤
١٠ ـ التَّربية بالعقوبة ١٥٥
أ ـ التَّربية بالإعراض بالوجه ١٥٦
ب ـ التَّربية بالتَّأنيب التَّعليميّ ١٥٧
خلاصة ١٥٩

الفصل السَّادس
المجموعة التَّربويّة الفعّالة ١٦١

تمهيد ١٦٢
خصائص المجموعة التَّربويَّة الفعّالة ١٦٣
١ ـ تقوم على اكتشاف الطَّاقات وتنميتها ١٦٣
٢ ـ بناء المهارات الاجتماعيَّة اللازمة للوصول إلى التَّعاون ذي الجودة العالية ١٦٤
٣ ـ التَّفاعل الإيجابي، والمشاركة الوجدانيّة بين الأعضاء ١٦٥
٤ ـ شعور الفرد بأنّه مسؤول عن كلّ عضو من أعضاء المجموعة ١٦٥
٥ ـ التَّفاوت وعدم التَّجانس بين الأعضاء ١٦٦
٦ ـ إدارة الخلافات والصِّراعات بين الأعضاء بطريقة هادفة ١٦٨
٧ ـ إنتاج مشاريع علمية ودعويّة مشتركة بين الأعضاء ١٦٨
٨ ـ مشاركة جميع الأعضاء في التَّقويم المستمرّ للمجموعة ١٦٩
ضوابط المجموعة التَّربويَّة الفعّالة ١٧١
١ ـ أن يُربَّى أعضاء المجموعة على التَّعلّق بالمنهج لا بالأشخاص ١٧١
٢ ـ ألّا يؤدّي الارتباط بالمجموعة إلى إشغال المتربّي معظم الوقت وعزله عن واقعه ومجتمعه ١٧٢
٣ ـ ألّا يؤدّي الارتباط بالمجموعة إلى ضمور الشخصيّة الفرديّة المميّزة ١٧٢
٤ ـ ألّا يطول أمد ارتباط المجموعة بمربٍّ دون سواه ١٧٤
٥ ـ ألّا تتحوّل التَّربية على الحوار وحريّة التَّعبير إلى الجدال والمراء ١٧٥
٦ ـ الحذر من التَّعصّب المذموم للمجموعة ١٧٦
٧ ـ الحذر من الطَّاعة غير المبصرة (الاتّباع الأعمى) ١٧٦

الموضوع **الصفحة**

العوامل الَّتي تعيق أداء المجموعة التَّربويَّة الفعّالة ١٧٨
١ ـ الافتقار إلى نضج أعضاء المجموعة ١٧٨
٢ ـ العدد غير المناسب لأعضاء المجموعة ١٧٨
٣ ـ اختفاء بعض الأفراد في وسط المجموعة، وعدم المشاركة الفعلية مع باقي الأعضاء ١٧٩
٤ ـ الرَّغبة في الزّعامة والتطلّع للصّدارة ١٧٩
٥ ـ التَّطرّف في الآراء والمبالغة في الحماس لها ١٨٠
٦ ـ الإكثار من المزاح والهزل والخروج فيه عن حدّ الوقار والهيبة ١٨٠
٧ ـ ندرة المربّين الأكفاء ١٨١
خلاصة ١٨١
النتائج ١٨٤
التَّوصيات ١٨٩
المصادر والمراجع ١٩٢
قائمة المحتويات ٢٠٠